الهمُّ القوميّ في القصيدة الأُردنيّة المعاصرة

من:(١٩٦٧-١٩٩١م)

إعداد

طارق عبدالقادر عطالله المجالي

جامعة مؤتة

١٩٩٥

الهمُّ القوميّ في القصيدة الأُردنيّة المُعاصرة

من: (١٩٦٧-١٩٩١م)

إعداد:

طارق عبد القادر عطالله المجالي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة

الماجستير في اللغة العربية

من جامعة مؤتة

المشرف:

د. محمد المجالي

تاريخ تقديم الرسالة: ٥ / ١١ /١٩٩٥م

تاريخ مناقشة الرسالة: ٣ /١٢/١٩٩٥م

لجنة المناقشة:

١- الدكتور محمد أحمد المجالي رئيساً ومشرفاً

٢- الأستاذالدكتور سالم الخمداني عضواً

٣- الدكتور شفيق الرقب عضواً

الإهداء

- إلى أقمار فلسطين التي تنيرُ دروب المُدْلجِـــين.
- إلى أبرياء العراق الذين مازالوا مُحاصَريـــــن.
- إلى من يرى أنّ للعروبة عليه حقّاً في كلِّ حـين.
- إلى أبناء الأردن أنصاراً ومهاجرين، الذين لـــم يكونوا يوماً من غزيّة إن غـوَت غَــوَوْا، وإنْ رشَدَتْ كانوا من الرَّاشدين.

أهدي إليهم تعبي، وتعب السنين.

طارق المجالي

شكر وتقدير

قبل أن أضع هذه الأطروحة العلمية بين يدي اللجنة الكريمة المشكّلة لمناقشتها، وقبل أن يغادر القلم ساحل الورقة، لا بد لي من أن أتقدّم بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان إلى كل من قدّم لي يد العون والمساعدة لإخراج هذا العمل إلى حيز الوجود.

وأخصّ بالشكر أستاذي الفاضل المشرف على هذه الرسالة الكتور محمد أحمد المجالي، الذي تابع هذا البحث منذ أن كان فكرة إلى أن أصبح عملاً متكاملاً، ولم يبخل بوقتٍ أو جهد في تدقيق هذا العمل وتصويب أخطائه، فأبدى من الملاحظات القيّمة التي أثرت هذا البحث كثيراً، فجزاه الله عني كل خير.

كما أودّ أن أشكر الدكتور الفاضل شفيق الرقب الذي تلطف بقراءة هذه الرسالة، فأبدى من الملحوظات الهامة ما كان محل عنايتي واهتمامي.

وأخيراً أشكر مدير مكتبة جامعة مؤتة، وموظفيها على ما بذلوه من جهد، ويسّروه لي من مصادر ومراجع أعانتني في عملي كما أشكر موظفي مكتبة الجامعة الأردنية وبخاصة (المايكروفلم) الذي ساعدني في استخراج ماأريده من الصحف المحلية بسرعة فائقة.

وأخيراً أتقدم بالشكر إلى اللجنة المشكلة لمناقشة الرسالة على تلطفهم بمناقشتها وإبداء الملحوظات عليها، فلهم مني جزيل الشكر.

والحمد لله أولاً وآخراً

طارق المجالي

فهرس المحتوى

مُقدّمــة

ترجع صلتي بهذا البحث إلى أيام كنت أدرس على أستاذي الدكتور محمد المجالي مادة الأدب الحديث ولمّا كان عليّ أن أقوم ببحث في موضوع تلطّف أستاذي بأن خيّرني بين موضوعات عدة كان من بينها هذا الموضوع. فتقدمت به إلى قسم اللغة العربية وتمت الموافقة على قبوله.

تناول هذا البحث الموسوم بـ : «الهمّ القومي في القصيدة الأردنية المعاصرة» من (١٩٦٧- ١٩٩١م) فترة من أخصب الفترات السياسية التي عاشها عالمنا العربي المعاصر بفعل تنامي الأحداث التي أثرّت في واقع أمتنا السياسي والاجتماعي والثقافي تأثيراً كبيراً؛ ففي الفترة المخصصة للبحث شهد العالم العربي صراعات وحروباً منها: نكسة حزيران عام ١٩٦٧م، حرب تشرين عام ١٩٧٣، الحرب اللبنانية عام ١٩٧٨، الحرب العراقية- الإيرانية عام ١٩٨٠، الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٨٧، وأخيراً حرب الخليج الثانية على العراق عام ١٩٩٠م.

ولهذا فقد ركّز البحث على دراسة المضامين القومية في هذه الأحداث القومية دون غيرها من عناصر القومية التقليدية الأخرى كاللغة والدين والعادات...

واخترتُ بقعة محددة هي المملكة الأردنية الهاشمية بحدودها السياسية المعروفة لتكون مجال الدراسة المكاني؛ إذ كان السبب في اختياري هذا البحث أنّ كثيراً من الظلم وقع على هذا البلد، لأنني لم أجد دراسة أو أيّ إشارة إلى جهود الأردن القومية تضاف إلى جهود عربية أخرى في المجال الأدبي وبخاصة الشعر، لذلك عقدت العزم على التصدي لمثل هذا، وإبراز دور الأردن القومي من خلال شعر شعرائه الذين لم يكن الشعور القومي عندهم يمثل اتجاهاً عابراً فحسب، وإنما كان هماً راسخاً في وجدان الشاعر لازمه منذ بدايات الحركة الشعرية الأردنية وحتى يومنا هذا.

ويهدف هذا البحث إلى رصد مسار التيار القومي في الشعر الأردني المعاصر في الفترة المخصصة للبحث، كما يهدف إلى ربط حلقة كانت مفقودة في الدراسات القومية العربية والتي لم تعطِ الشعر القومي حقّه من الدراسة.

واقتضت خطة البحث أن تكون في بابين يشتملان على ستة فصول وتمهيد ومقدمة وخاتمة.

وكان **الباب الأول** دراسة في المضمون، وقد اشتمل على ثلاثة فصول: الفصل الأول: الصراع العربي- الصهيوني والقصيدة الأردنية المعاصرة، وأشار في هذا المجال إلى نكسة حزيران، الانتفاضة الفلسطينية، والحرب اللبنانية وكان هذا الفصل محوراً رئيساً في هذا البحث.

الفصل الثاني: تناول الصراع العربي- الفارسي . المتمثل في الحرب العراقية- الإيرانية التي استمرت ثماني سنوات وإن كانت جذور هذا الصراع قد سبقت هذه الفترة بكثير. أما الفصل الثالث فتناول الصراع العربي- الغربي، والخلافات العربية- العربية في حرب الخليج الثانية عام ١٩٩٠م.

أمّا **الباب الثاني** فكان دراسة فنية، اشتمل على ثلاثة فصول: الفصل الأول خصص لدراسة الأسلوب وفيه درست الألفاظ والتراكيب والموسيقا وبعض الظواهر اللغوية كالتكرار والرمز والأسطورة...

وفي **الفصل الثاني**: تناولت الصورة الشعرية.

أمّا **الفصل الثالث والأخير**: فكان في توظيف التراث الديني والتاريخي والأدبي في القصيدة،وأنهيت البحث بخاتمة لخصّت فيها أهم ماتوصل إليه البحث ثم ذكرت أهمّ مصادرِ البحث ومراجعه.

اعتمدَ البحث على مصادر ومراجع شتّى منها: مايبحث في القومية ونشوئها مثل: نشوء القومية العربية لزين نورالدين زين، ونشوء الفكرة القومية، وآراء وأحاديث في القومية العربية لساطع الحصري..

ومنها ما يبحث في التاريخ، نحو: يقظة العرب لجورج انطونيوس، وتاريخ الأردن المعاصر لعلي محافظة، وغيرهما.

ومنها ما يبحث في المصطلحات والتعريفات كمعاجم اللغة والموسوعات الميسّرة؛أما مصادر البحث الأصيلة فكانت دواوين الشعر العربي والمجموعات الشعرية والأعمال الكاملة لمجموعة من الشعراء الأردنيين الذين وفّروا عليّ الوقت والجهد في متابعة دواوينهم المنتشرة، إضافة إلى صعوبة الحصول عليهاجميعها. ومن هذه المجموعات الشعرية: الأعمال الكاملة لعبدالرحيم عمر، وأعمال حيدر محمود الشعرية الكاملة، وأعمال خالد محادين الشعرية، وأعمال عزالدين المناصرة الشعرية وغيرها.

ومن مصادري كذلك الدوريات الأردنية والعربية، والصحف المحلية ؛ كصحيفة الرأي والدستور وصوت الشعب.

وكم كانت الرحلة شاقة بين هذه الصحف التي استغرقت قراءتها وقتاً طويلاً، ومما سهل عليّ مراجعتها الاعتماد على قسم (المايكرو فيلم) في الجامعة الأردنية فأعانني على تصوير مايلزمني من هذه الصحف.

أما منهجي في هذه الدراسة فاعتمد على المنهج التكاملي اعتماداً كلياً؛ للإفادة من الجوانب التاريخية والاجتماعية والنفسية والجمالية منه، وذلك لرصد الأحداث التاريخية الهامة، ومعرفة صلة الشعر بواقع الحياة العربية، وسبر ما في نفس الشاعر من جوانب نفسية مختلفة

وفضلاً عن ذلك فإنّ هذا الاتجاه نحو المنهج التكاملي يمليه النص الشعري نفسه فلكل نصّ -كما هو معروف - خصوصية معينة تتطلب منهجاً معيناً، كما أنه منهج يستقي أدواته في التعبير والتحليل والربط من شتى فنون المعرفة ويلائم الأفكار والأساليب الفنية المتعددة.

ولم أقف على دراسة متخصصة تناولت المضامين القومية في شعرنا الأردني المعاصر بصورة تفصيلية وجلية، وكل ما عثرت عليه دراسة لمحمود

مهيدات بعنوان: «اتجاهات شعراء شمال الأردن» تعرّض فيها الباحث بشكل موجز لأبرز شعراء شمال الأردن، ممن ظهرت عندهم بعض المنازع القومية في الفترة المحددة للبحث من (١٩٢٠- ١٩٨٠).

كما وقفت على دراسة تناولت الاتجاه القومي بعنوان: «الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث» للدكتور عمر الدقاق، وأعترف أنني أفدت منها كثيراً، إلاّ أنه لم يتعرّض فيها إلى الشعر القومي الأردني في فترة الدراسة، الأمر الذي زادني إصراراً على أن أخصّ الشعر القومي الأردني بهذه الدراسة، مع أنني على يقين تام أن تحديد بقعة جغرافية أمرٌ غير محمود في الدراسات القومية بشكل خاص فكان من بين أهدافي في البحث أن أربط حلقة مفقودة تجاهلها الباحثون عن قصد أو عن غير قصد.

وبعد، فأرجو أن يكون هذا البحث مساهمة متواضعة في خدمة الأدب الأردني؛ لأنه من الأبحاث القليلة في هذا المجال. ولعلّه يلفت أنظار الدارسين لمواصلة الطريق، وأن يزيدوا عليه ما اعتوره من نقص أو خلل.

كما أنني لا أدّعي فيه كمالاً، فالكمال لله وحده، ولكن حسبي منه أني أخلصت النية وبذلت غاية الجهد، والله من وراء القصد، وهو وليّ التوفيق، هو ربي عليه توكلت وإليه أنيب.

وصدق الثعالبي إذ قال: إنّ من تُعدُّ سقطاته هو الكامل، وإنّ من تحسب هفواته فهو سعيد.

القوميّة:

وضع كثيرٌ من الباحثين الذين تصدوا للدراسات القومية تعريفات مختلفة للقومية، وهي وإن كانت صحيحة إلاّ أنها غيرُ شاملةٍ مظاهر القومية كلّها. ولهذا فإنّه من غير اليسير إيجادُ تعريف شامل لها، إذا ما أضفنا إلى ذلك اختلاف المصطلح عند الغرب عنه عند العرب، فإذا كان مصطلح القومية عند الغرب (Nationalism) مأخوذ من (Nation) بمعنى الأمة، وعلى هذا يكون معناها (الوطنية)، فإن القومية عند العرب مأخوذة من كلمة (قوم) التي استعملت بمعنى الأمة، واشتُقّ منها مصدرٌ صناعيّ هو القومية، وكان الأصحُّ أن يُشتقّ المعنى من الأمة، فعدل عن ذلك خوفاً من اللبس (بالأمية) التي تترك في الذهن معنىً مغايراً وهو الجهل بأمور الكتابة والقراءة.

ولهذا يجب التفريق بين الوطنية والقومية؛ «فالوطنية هي حب الوطن، والشعور بارتباط باطني نحوه؛ والقومية هي حب الأمة، والشعور بارتباط باطني نحوها، فالوطن من حيث الأساس، إنما هو قطعة من الأرض، والأمة في حقيقة الأمر إنما هي جماعة من البشر. والقومية هي ارتباط الفرد بجماعة من البشر تعرف باسم الأمة»[(١)].

إن أساس القومية هو الشعور والإحساس الذي غالباً ما يكون إيجابياً ظاهراً، وقد يكون خفياً يصعبُ على صاحبه مُسمّاه «إنّ هذا الشعور قد يكون خفياً كامناً في الأعماق لا تعبر عنه الكلمات غير أنّه في الغالب يظهر واضحاً في المواقف الإيجابية، ويكون قوة في التعبير والتماسك تجاه التحديات»[(٢)].

ومهما يكن من أمر في الاختلاف حول مصطلح القومية، فإنّ الباحثين متفقون على« أنّها شعور جماعة من الناس بما يربطهم من روابط مشتركة من

---

(١) ساطع الحصري: آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٥٧، ص٧.

(٢) صالح أحمد العلي: تطور الفكر القومي العربي (بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية)، بيروت، ط١، ١٩٨٦، ص١٨.

الثقافة، والنسب يتميزون بها، وترجع

مواقف موحدة في كثير من المواجهات الرئيسة في

الأولى، وفي الميادين الثقافية بالدرجة الثانية»[1].

القومية العربية:

القومية العربية هي«مجموعة الصفات والمميزات والإرادات التي بين العرب وكونت منهم أمة: كوحدة الوطن واللغة والثقافة والتاريخ والمطامح والآلام، والجهاد المستمر والمصلحة المادية والمعنوية المشتركة»[2].

والقومية العربية شعور يجمع العرب ويؤلف بينهم ليكوّنوا أمة واحدة متميزة من سائر الأمم لما يوجد بينهم من دعائم واقعية من التاريخ والروابط الاجتماعية والثقافية والتي تجعل وحدتهم أمراً طبيعياً؛ ولهذا كانت القومية العربية محلّ اعتزاز عند العرب؛ لأنهّم بها تميزوا من غيرهم وبها نهض مجدهم الحاضر.

وشاع مصطلح القومية العربية على الألسنة حتى غدت تعبِّرُ عما يُعبِّرُ عنه المصطلح الأجنبي، وأخذ« ينمو وتتسع معانيه حتى صار كتّاب العرب والباحثون في القومية العربية يضعون تحت عنوانه الفصول التي يصنعها كتّاب اللغات الأجنبية عندما يبحثون في نشوء القومية وتدرجها في التاريخ»[3]

ثم ظهرت القومية العربية في مطلع القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين كحركة سياسية قومية وكعقيدة لدى الفرد تهدف إلى تحقيق استقلال العرب استقلالاً تاماً، وبعثِ الحضارة العربية، وتحقيقِ الوَحْدة بين الشعوب لتشكل أمة واحدة، ودولةً واحدة إضافة إلى أنها:«إيمان وشعور داخلي موجود

---

(١) المرجع السابق ص١٨.

(٢) معن أبو نوار:بين القومية والوطنية، دار اللام، لندن، ١٩٩١، ص١٨٩.

(٣) بويد شيفر: القومية (عرض وتحليل)، ترجمة جعفر قصاب، عدنان الحميري، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (بلاسنة وطبعة)، ص١٨.

عند الفرد العربي كوّنهُ المزيج من العوامل المختلفة خلال التاريخ الطويل»[١].

وهي قادرة على التصدي لمواجهة أيٍّ عدوان يستهدف النيل من مرتكزات الأمة العربية القومية.

بواكير النزعة القومية العربية:

ليس من أهداف هذا البحث تتبُّع المراحل التاريخية التي مرّت بها القومية العربية؛ لإنّ المجال يضيق عن مثل هذا، إضافة إلى أن هذا هو شأن الدراسات التاريخية لا الأدبية، إلاّ أنّه يمكن القول إنّ القومية العربية شعور داخلي لازم العرب في جاهليتهم، ومما يؤكد هذا الشعور وقوفهم صفّاً واحداً أمام غارات الأحباش على عرب الجنوب، وفي وقعة ذي قار وغيرها.

وبعد أن جاء الإسلام بتعاليمه السمحة أخذ يؤكد على حقيقة الوحدة، ويحذّر من الفرقة والتمزق، فجمع العرب والمسلمين تحت لواء واحد، واجتمعت كلمة العرب على قيم الحياة الروحية الإسلامية، وكان لهم شرفُ السَّبق إلى الدين الجديد، الذي أعزّهم الله سبحانه به، ووحّد كلمتهم بعد أن كانوا أشتاتاً.

ومنذ القرن السادس عشر الميلادي خضعت البلاد العربية للحكم العثماني حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وحاول العثمانيون أن يعزلوا العرب عن تيارات السياسة الدولية فأصاب البلاد العربية ما هومعروف عن تاريخ الحقبة من تأخر وجمود، فضعفت الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر مما جعلها مطمعاً لدول أوروبا التي أطلقَتْ عليها اسم (الرجل المريض). وسَعَت الدولة العثمانية إلى صبغ البلاد العربية وثقافتها بالصبغة التركية وهو ما عُرف بحركة التتريك.

غيرَ أن العرب تمكنوا من الاحتفاظ بثقافتهم العربية باعتبارها مُقوِّماً أساسياً لكيانهم وشخصيتهم، وأخذت القومية العربية تتحرك شيئاً فشيئاً بعد أن خفتت في بدايات الحكم العثماني؛ لأنّ العرب كانوا ينظرون إلى الأتراك على

(١) سعدون حمادي وآخرون: دور الأدب في الوعي القومي العربي (بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي أعدها ونظمها مركز دراسات الوحدة العربية)، بيروت، ط٢، ١٩٨٢، ص٣٠.

أنهم مسلمون يحكمونهم بأمر الدين، ولم يحاول العرب طوال سني حكم الأتراك أن يعبّروا عن قوميتهم العربيّة إلاّ بعد أن تسلمت زمام الأمور جمعية الاتحاد والترقي التي ضيّقت الخناق على العرب، وحاولت تتريكهم بشتى الوسائل، ولم تكتفِ بهذا، بل راحت إبّان الحرب الكبرى تعدم أحرار الشام على أيدي السّفاحِ جمالِ باشا، وكان هذا العمل نقطة التحول في مشاعر العرب القومية، إذْ فتحَ عيون العرب على عامل قويّ جديد غير عامل الدين ألا وهو عامل القومية العربية، وأخذ العرب يفكرون جدّياً بإصلاح الأمور أولاً ثم محاولات الإنقضاض على الإمبراطورية المتداعية في فترات لاحقة.

ومن هنا كان اتصال بعض أقطار المشرق العربي في أوائل القرن التاسع عشر بأوروبا يزداد شيئاً فشيئاً عن طريق الخبراء والإرساليات التبشيرية، وعن طريق الطلاب الذين يدرسون في الخارج، وأخذ هذا الشعور القومي يقوى نتيجة الاحتكاك المباشر بالقوميات الأخرى، وأخذت أفكارهم تتسع حتى صمموا على الانفصال عن الدولة التركية.

وعندما جاءت الحرب العالمية الأولى انضمَّ العرب إلى جانب الحلفاء أملاً في الحصول على الاستقلال الذي وُعِد به الشريف حسين بن علي مفجّر الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦م، ولكن مطمع الاستعمار في الوطن العربي أدى إلى تقسيم البلاد العربية بين إنجلترا وفرنسا، وبذلك خدعَ الاستعمارُ العربَ خُدعةً كبرى حين اطمأنوا إلى وعود كاذبة، كُشفت بعد إعطاء اليهود وطناً قومياً في فلسطين، وظهر ذلك في وعد بلفور المشؤوم سنة ١٩١٧م.

ومن هذه الفترة بدأت القومية العربية مرحلة نضاليةً جديدة عن طريق الكفاح للحصول على الاستقلال الوطني في كل بلد عربي على حِدة، وقامت الثورات الوطنية في مختلف أجزاء الوطن العربي تناضل من أجل التخلص من الاستعمار(١) .

(١) ينظر محمد مصطفى زيدان، محمود محمد بلال: القومية العربية بين القوميات والمذاهب السياسية المعاصرة، منشورات منشأة المعارف، الأسكندرية، ١٩٦٧، ص٣٣.

يتبين ممّا مرّ أنّ القومية العربية شعور كامن في نفس كل عربيّ إلاّ أنّ التحديات القومية والصراعات التي مرّت بها جعلتها تنشط، وتتحرك لمواجهة الخطر الداهم إلى أن ظهرت كحركة سياسية منذ أواخر القرن التاسع عشر ونشطت في منتصف القرن العشرين، وتهدف إلى استقلال الوطن العربي وتحريره من الاستعمار.

وإذا كانت القومية العربية قد نشأت كرد فعل لاتجاهين برزا بقوة وهما: الظلم التركي والاستعمار الغربي فإنها الآن تواجه أعتى الأخطار المتمثلة في الصراعات الخارجية والداخلية التي تستهدف اقتلاع الأمة العربية من جذورها، وطمس هويتها الحضارية والقومية، وإذا كان لها من المجابهة ينبغي -على أقل تقدير- أن تركز على عنصر الوحدة العربية ضمن الجهود القطرية لكل دولة عربية والسعي نحو تكثيف الجهود لمقاومة الصراعات الدائرة، وهذه التحديات، بروح قومية جماعية.

__صلة النزعة القومية بالشعر العربي:__

إنّ تتبع نشوء فكرة القومية العربية في عصورها المختلفة من شأن الدراسات التي تبحث في الميدان التاريخي، كما أوضحت سابقاً، وإنما يتناول هذا البحث جانباً من الأدب هو الشعر ليُرى في خطوط عريضة تطور هذا المفهوم في الشعر العربي.

ما من شك بأن الأحداث التاريخية والصراعات القائمة تؤثر في الشعر، وتهيء للشعراء فرصاً لبلورة شعورهم، والتعبير عن روح الأمة وليس أقرب من الشعر القومي للتعبير عن واقع الأمة وطموحها، وهو الوسيلة الملائمة للتعبير عن مشاعر الإنسان الداخلية المتعلقة بانتمائه القومي.

ونظراً للظروف السياسية التي مرّ بها الوطن العربي في القرن التاسع عشر بدأت تظهر في الشعر العربي النزعة القومية، وعلى هذا فإن بواكير

الشعر القومي بنزعته العربية الصافية ظهرت في بلاد الشام والعراق وبلاد المهجر لدى عدد من الشعراء العرب وبخاصةٍ المسيحيين الذين لم يستشعروا بحكم عقيدتهم أية صلةٍ -دينية أو قومية- تربطهم بالأتراك، ولذلك كانت طائفة منهم أسبق من سائر المواطنين العرب إلى تحسس المشاعر القومية العربية[1]

وبدأ الشعور القومي بالتفتح مع بدء عصر النهضة، وظهر التيار القومي في الأدب العربي الحديث منذ أواخر القرن التاسع عشر، مع بدء التصدي للطغيان التركي ووضحت بداياته في شعر الشعراء اللبنانين، ثم أصبح غرضاً قائماً بذاته بعد أن كان جزءاً من الشعر الحماسي «في حين اقتصر شعراء مصر على العنصر الوطني والجامعة المصرية وَحْدَهَا أي على التحرر فحسب دون أي شيء آخر»[2].

«إنّ الشعرَ مثّلَ دوراً فعالاً في تعريف العرب بمبادىء القومية ونشرها ولا شك في أنّ ثقافة الشعراء الغربية، وكثرة أسفارهم وتأثيرهم في الجماهير جعلهم من دعاة هذه النزعة الجديدة وقد وجهوا اهتمامهم إلى اللغة والتراث وواكبوا المساعي السياسية الهادفة إلى اتحاد الشعوب العربية وطرد الأجنبي المستعمر، وزيّنوا الشهادة في مبادئهم القومية »[3]

والحقّ أن الطغيان التركي، والأعمال الوحشية، وسياسة التتريك، وظهور الجمعيات السرية التي تنادي بالوحدة، ومن ثم الثورة العربية الكبرى بوصفها الثورة الطليعية في الوطن العربي، والحرب العالمية الأولى، والاستعمار... كل هذه الحوادث أمدّت الشعر القومي بوقود مستمر، وألهبت مشاعر العرب وحققت هويتهم الوطنية العربية الحرة، وأنها أذكت في العرب روح الكفاح المسلح، وأيقظت في العرب القدرة على القتال والنصر.

(١) ينظر عمر الدقاق: الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٨٥، ص٢١.

(٢) المرجع نفسه، ص٦٩.

(٣) وليم الخازن: الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٨، ص٩٦.

ظهرت أولى الصرخات ضد الظلم التركي في القصيدة المشهورة لإبراهيم اليازجي التي يقول في مطلعها:(١)

تنبّهوا واسْتَفيقوا أيُّها العَرَبُ فَقَدْ طَمَى الخَطْبُ حتى غاصتِ الركبُ.

وكانت جمعية الاتحاد والترقي -هذه المنظمة السرّية التى أنشأها الشبان الأتراك(تركية الفتاة) في سالونيك- تهدف إلى القضاء على استبداد السلطات، وكانت خليطاً من أجناسٍ وأديانٍ مختلفة، الكثرة الغالبة فيها من الأتراك ويليهم اليهود»(٢) .

هذه الجمعية من الأسباب التي فتّحت عيون العرب على ظلم الأتراك، ومحاولتهم طمس اللغة العربية لغة القرآن الكريم، لهذا نجد مجموعة من الشعراء العرب يتصدون لهذه الجمعية. بعد أن ظهر العداء واضحاً بين الحركة الطورانية والاتجاه القومي للعرب(٣).

ومن الذين انتقدوا سياسة الاتحاديين معروف الرصافي الذي بيّن مساوئهم قائلاً:(٤)

قد استأثروا بالحكم وارتزقوا به وسدّوا على مَنْ حولهم منبعَ الرِّزقِ

كأنّا لهم شاءٌ فهم يحلبوننا وكم مخضوا أوطانَنا مخضةَ الزِّقّ

ولم نكُ ندري لاهتضام حقوقِنا أنحن من الأحرار أم نحن في رقٍّ؟

والشاعر فؤاد الخطيب من الشعراء العرب الذينغلّف شعرَهم غشاوةٌ من الحزن والمرارة، عندما تحامل الأتراك على اللغة العربية، يقول:(٥)

(١) إبراهيم اليازجي: العقد، دار مارون عبود، طبعةجديدة، ١٩٨٣، ص٢٥.

(٢) جورج أنطونيوس: يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد، إحسان عباس، بيروت، ط٢، ٩٦٦، ص١٧٥.

(٣) ينظر سهيلة الريماوي: الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، ١٩٩٢، ص٤٣.

(٤) ديوان معروف الرصافي، المجلد الثاني، دار العودة. ١٩٨٦، ص٢٤٥.

(٥) ديوان فؤاد الخطيب، دار المعارف، مصر، ط١ . ١٩٥٩، ص٢٥.

جاروا على (لغة القرآن) فانصدعت   له القلوبُ وضجَّ البيتُ والحـرَمُ
فالقدسُ باكيةٌ والشّامُ شاكيــــةٌ   وفي الحجازِ يكادُ الرُّكنُ يَنْحَطِـمُ.

إلاّ أنّ من أعظم الأحداث التي ساهمت في دفع الشعر القومي إعلانَ الدستورِ العثماني عام ١٩٠٨م والذي كان له رنةُ فرح في أرجاء الوطن العربي إذ استبشر به العربُ خيراً بعد عصر سادَ فيه الظلمُ والطغيانُ وسيطرت فيه الحركةَ الطورانية. لقد سوّى الدستورُ بين العرب والعثمانيين، واعترف ساسة الترك لأول مرة رسمياً بالكيان العربي. وعن هذه الفرحة يقول فؤاد الخطيب:[1]

بلغنا الآمال ما كان قاصيــاً   ورُضْنا من الأيام ما كان عاصيـاً
وشدّ بنو عثمان كلّ عزيمــةٍ   فما اتّبعوا الأعمى ولا المتعاميـا
فلا غلّ بعد اليوم يُوغِرُ صدرهم   فقد نزعوه واستعاضوا التصافيا.

وممن فرح بالدستور عندما ارتفع شعارُ العدلِ والحرية والمساواة جميلُ صدقي الزهاوي، ومما قاله:[2]

إن العدالة، ويكَ اليوم في الطلبِ   يا ظلمُ فاستخفِ أو فالجأ إلى الهربِ
قد كانت العينُ قبل اليومِ باكيةً   من الأسى وهي تبكي اليومَ من طَربِ
البرقُ أهدى لنا بُشرى بها هدأت   أرواحُنا بعد طولِ الخوفِ والرَّهَبِ

ونتيجةً للآثار السلبية التي أعقبت العدول عن الدستور الجديد، بدأت بوادرُ الشعر القومي الذي يحضُّ على الاتحاد، واستنهاضِ الهمم إلى تحرير العرب من هذا الكابوس الجاثم على صدورهم، وبدأنا نلحظُ تركيزَ الشعر القومي على الوحدة العربية، فالشاعر حافظ إبراهيم يؤكد على أنّ أبناءَ الوطن العربي أمةٌ واحدة، وله في هذا قصيدةٌ مشهورةٌ حفظها أبناءُ الوطن العربي عن

(١) المصدر السابق، ص١٥- ١٦.
(٢) ديوان جميل صدقي الزهاوي، المجلد الأول، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩، ص٦٧١.

ظهر قلب:[1]

لمصرَ أم لربوع الشام تنتسبُ   هنا العلا وهنـاكَ المجدُ والحسبُ
ركنان للشرق لازالت ربوعُها   قلبُ الهـلالِ عليهـا خافقٌ يجِبُ
إذا ألمّت بوادي النيل نازلـةٌ   باتت لها راسياتُ الشام تضطَرِبُ
وإن دعا في ثرى الأهرام ذو ألمٍ   أجابه في ذُرا لبنـــان مُنتحِبُ
لو أخلصَ النيلُ والأردنُ ودَّهما   تصافحتْ منهما الأمواهُ والعُشُبُ

والشاعر خليل مردم يتساءل عن سبب القطيعة بين العرب مع أن عناصر القومية تتمثل فيهم، يقول[2]

فيم التقاطع والأرحام واشـجةٌ   والدارُ جامعــةٌ والملتقـى أممُ
تأبى وشائجُ من قرباكم اشتبكت   أن يُنْقَضَ العهدُ والميثاقُ والذِّممُ
أواصرٌ عندنا من وصلها نِعَـمٌ   بقطعِ أسبابها تُستَنزَلُ النِّقَـمُ

وتناول الشعراءُ العرب عناصَر القوميـة المختلفة وكان أبرزَها اللغةُ العربية التي تعدُّ من أهم عناصر القومية لأنها التي تجمعُ العرب:[3]

أم اللغات غداة الفخر أمهما   وإن سألت عن الآباء فالعربُ

وإذا ما تعرضت الوحدة العربية في بعض الفترات إلى الركود أو التمزيق، نجد الشعر القومي يواكب الحدث، فيُقَرِّعُ متسببيهِ، ويبين خطورة ما يفعلون، وفي هذا المعنى يقول محمد مهدي الجواهري:[4]

---

(١) ضحى عبد العزيز: حافظ إبراهيم حياته وشعره، داركرم، دمشق، ص٦٣-٦٤.
(٢) ديوان خليل مردم بك، تقديم جميل صليبا، المجمع العلمي العربي، دمشق، ص١٦٦.
(٣) ضحى عبد العزيز: حافظ إبراهيم حياته وشعره، ص٦٣.
(٤) عبد الكريم الدجيلي: الجواهري شاعر العربية، الجزء الأول، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ص٢٤٠، وينظر المعنى نفسه، ديوان معروف الرصافي، المجلد الثاني، ص٢٤٥، ٢٧٤، ٣٩٩، ٤١٠.

حتى مَ هذا الوعدُ والإيعـــاد وإلى كم الإبراق والإرعاد
إنْ إنْ أجنَّ وأن أبوح ففي فمي ماءٌ وبين جوانحي إيقادُ
يا نائمين على الأذى لا شامُكم شامٌ ولا بغدادكم بغـــدادُ

وها هو الشاعر أحمد محرم يدعو إلى الوحدة العربية بعد أن نجح الاستعمار الصليبي في مساعيه بتفتيت وحدة العرب، وتقسيم الوطن العربيّ إلى دويلات صغيرة متناحرة فيما بينها، فعندما دارت المعارك بين الوطنيين العرب والمستعمرين الفرنسيين والإنجليز في بلاد الشام والعراق عام ١٩٢٠، نجد شاعرنا يسارع في قصيدة بعنوان (مصر والشام والعراق) إلى القول:(١)

يأمة في ربوع الشام يوحشها عيشٌ جديبٌ ورَبْعٌ للمنى خَــرِبُ
طاحت بآمالها الخضر اللدانِ يدٌ خضرُ الحدائق في إعصارها حطبُ

ثم يذكرُ العراقَ وما ينتابه من اضطراب وفوضى وانقسام:(٢)

إنْ يُفرغ النيلُ والأردنُ ما بهما فبالفراتِ وشَطّيّ دجلةَ العَجَبُ
وَيْحَ العِراقِ، وقومٍ بالعراق علا ضجيجُهم وتمادى منهمُ الصَّخَبُ

إلاّ أنّ إعدامَ جمال باشا السفاح أحرارَ الشام إبّان الحرب العالمية الأولى كان نقطةَ التحول في مشاعر العرب القومية، إذْ نبّهت هذه الجريمةُ العربَ على أن الأتراك الذين حكموا العرب باسم الإسلام لابد من الانفصال عنهم. وفي هذا المعنى يؤكد جميل صدقي الزهاوي ذلك بقوله:(٣)

لَعَمرُكَ ليس الأمرُ ذنباً أصابَه قصاصٌ ولكنْ يَعْرُبٌ ومَغولُ

ثمّ استعرت المشاعرُ القومية في نفوس الشعراء العرب، تُذكرُ بالحدث

(١) ديوان أحمد محرم، الجزء الثاني، جمع وتحقيق، محمود أحمد محرم، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٩٨٤، ص٤٩٦.

(٢) المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص١٩٦.

(٣) ديوان جميل صدقي الزهاوي، المجلد الأول، ص٣٦٤.

الشنيع الذي ارتكبه جمال باشا في السادس من أيار عام ١٩١٦. ومن الذين وصفوا هذا الحادث الأليم بصورة مؤثرة الشاعر الزهاوي في قصيدته اللامية المشهورة،ومنها المطلع المشهور:[١]

على كلّ عودٍ صاحبٌ وخليلُ ... وفي كلّ بيت رنّةٌ وعويلُ
وفي كل عينٍ عَبْرةٌ مُهراقةٌ ... وفي كلّ قلبٍ حسرةٌ وغليلُ

وبعد هذه الواقعة المؤلمة التي هزت المشاعر القومية العربية بدأ التحرك القومي يأخذ طريقَ التنظيم والتخطيط، ونشطت في هذه الفترة الجمعيات السرية والعلنية المبثوثة في شتى أقطار العالم، إلى أن أخذت الأحداث المتسارعة في بلورة القومية العربية التي اتجهت إلى مطالب العرب في الاستقلال، وأخذوا يفكرون جدياً فيمن يتزعم ثورة عربية، فعُلّقت الآمال على الحجاز وعلى زعيم الحجاز الحسين بن علي لما يتمتع به من مكانة مرموقة عند العرب، ولما عُرف عنه من سخط على أعمال الأتراك في فتراتٍ ما قبل الحرب العالمية الأولى.

والثورة العربية الكبرى ثورة عربية خالصة اشتملت على ثوّارٍ من العرب ومن الحجاز ومصر والعراق والشام، وهي بحق الثورة التي أدت إلى الكفاح المسلح من أجل الاستقلال العربي، وهي أول تعبير عمليّ شاملٍ عن هذه المنازع القومية المضطرمة في نفوس العرب؛ لإنها كانت تهدف إلى تحرير العرب، وجمع شملهم في دولة عربية كبيرة، وهي« أول تغيير ثوري جذري في تاريخ النضال العربي ضد الدولة العثمانية، وقد انبثق هذاالتغيير من قلب العالمين العربي والإسلامي من الحجاز »[٢]

ولما تتمع به هذه الثورة من صدى في الشعر العربي كان لا بد من الإشارة إليها كحدثٍ قوميّ بارز مع أنها تحتاج إلى دراسات أشمل إضافةً إلى ما كُتِب

(١) المصدر السابق، ص٤٦٤.
(٢) سهيلة الريماوي: الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى، ص٧٤.

عنها قديماً وحديثاً.

ومن الشعراء العرب الذي هلّلوا وباركوا ثورة العرب بقيادة الشريف الحسين بن علي وأنجاله، الشاعر رشيد سليم الخوري، فأشاد بهم وبرفعة شرفهم بقوله:(١)

عاد الرشيدُ وعاد باهرُ عصره سبحانَ من بعث الحسين لنشره
الليلَ خيطٌ من حداد مغيبه والصبحَ سَهْمٌ من أشعةِ فجره
مابينَ مكةَ والشآمِ تنافسٌ هذي بغوطتها وتلك بذكره

وهي ثورةٌ شَعَرَ العربُ فيها بالاطمئنان فلبّوا نداء الثورة:(٢)

لبىّ فجرد سيفه من غمده بل قلْ فجرّد عزمَه مِن صَبره
ودعا الأسوَد من القفارِ فاقبلوا يتسابقون إلى إطاعة أمْره

وقال فؤاد الخطيب وهو في مكة المكرمة مخاطباً الأمة العربية خلال ثورتها:(٣)

لمن المضاربُ في ظلالِ الوادي رِيًا الرّحاب تغصُ بالوُرّادِ
اللهُ أكبرُ تلكَ أمةُ يعربٍ نَفَرَت من الأغوار والأنجادِ
ومشت تدكُّ البغيَ مِشْيةَ واثقٍ باللّهِ والتاريخ والأجدادِ
لبيكِ ياأرضَ الجزيرة واسمعي ماشئت من شدوي ومن إنشادي
أَنا لا أفرّقُ بين أهلِكِ إنّهم أهلي وأنتِ بلادُهم وبلادي
ولقد برئتُ إليك من وطنيةٍ ليست تُجاوزُ موطن الميلادِ

---

(١) أحمد مطلوب: القروي شاعر العروبة في المهجر، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٥، ص١٢٥.

(٢) المرجع نفسه، ص١٢٥.

(٣) ديوان فؤاد الخطيب، ص٤١٦-٤١٧. وينظر جميل بركات: فلسطين والشعر، منشورات دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٨٩، ص١٢٧.

وعند مخاض الثورة العربية الكبرى نرى إبراهيم اليازجي يحثُّ العرب على ترك اللهو واللعب، والانخراط في صفوف الثورة، التي ستنقذ العرب من الذل، وترجع الحقوق إلى أهلها:(١)

دَع مجلسَ الغيد الأوانس   وهوى لواحظها النّواعسْ
واسلَ الكؤوسَ يُديرهـا   رشأٌ كغصنِ البانِ مائسْ

إلى أن يقول :

أولستم العُرْبَ الكرا   مَ ومَنْ هُمُ الشمُّ المعاطسْ
فاستوقدوا لقتالهـم   ناراً تروِّعُ كلّ قابـسْ
وعليهِم اتّحدوا فكلكمُ   لِكلكمُ .... مُجانـسْ

وفي الثورة العربية الكبرى يقول أبو الفضل الوليد:(٢)

لقد كثرت من العربِ الضّحايا   ولم يهتزّ في الغمدِ الحسامُ
ألا ياأيُّها العربُ استـذِلّوا   مُذلِّيكم فحتامَ الخصـامُ
أنبقى ساكتين بلا حـراك   وللثورات حولينا اضطرام
فثوروا الثورةَ الكبرى وقولوا   لهم إنّا نموتُ ولا نَنَـامُ

وشارك الشعراء العرب في الثورات العربية كثورة عام ١٩٥٢ في مصر، والثورة السورية، وثورات فلسطين في عام ١٩١٩م، و١٩٢٠م، و١٩٣٦م، وثورة العراق والجزائر، واليمن، وغيرها من الثورات التي تهدف إلى نيل الاستقلال(٣).

ولم تشغلِ العربَ في هذا القرن قضيةٌ كقضية فلسطين لإنها الجرح الدامي في صدر كلّ عربيّ، والفزع الأكبر الذي يهدد كيان الأمة الحضاري، منذ

---

(١) إبراهيم اليازجي: ديوان العقد، ص٨٣-٨٤.

(٢) جميل بركات: فلسطين والشعر، ص٥٥.

(٣) ينظر للتمثيل على ذلك ديوان رشيد سليم الخوري، الجزء الثاني، بيروت، ط٥، ١٩٧٨، ص٥٢٨. كما ينظر عبد الرحيم زلط: العروبة في شعر المهاجر الأمريكي الجنوبي، دار الفكر،ط١، ٩٧٢، ص٧٤، ٧٥، ٧٧.

أن أعلن بلفور وعده المشؤوم إلى يومنا هذا.

وإذا ما استعرضنا دواوين الشعراء العرب نجدُ أنهم قد أفاضوا في الحديث عن فلسطين ونكبتها،بقصائد تفيض حسرة وألماً. ومن الشعراء الذين أحسوا بالخطر الصهيوني، أحمد محرم إذ يقول:(١)

في حمى الحق ومن حول الحرم   أمة تُؤذىٰ وشعبٌ يُهتضَمْ

فزِعَ القدسُ وضجّت مكـــةٌ   وبكت يثربُ من فَرطِ الألمْ

ومن تحدثوا عن نكبة فلسطين، ونادَوْا لإنقاذها رشيد سليم الخوري الذي بدأ غيرَ مكترثٍ عندما جاءَه نعيُّ أمِه في المهجر، فبعد فقدان البلاد لم يعد للفرد قيمة، وهذا يدل على إحساس الفرد بآلام قومه، فيقول:(٢)

كفى الميْتُ منّا أن يحسَّ له فقد   أبعد هلاكِ الجمعِ يُفتقدُ الفردُ

أبعد فلسطينٍ يناحُ على فتــىً   وهل فــي مُقلــةٍ دمعــةٌ بعـدُ

ويشير الشاعر جورج صيدح إلى مأساة الفلسطينين، وتشردهم في البلاد بقوله :(٣)

بنو فلسطينَ قطعانٌ مشــردةٌ   من الحياة ملاكُ الموتِ راعيها

وكفُّ صهيونَ بالأقداس عابثةٌ   كأنما اللهُ أمــرٌ ليس يعنيهـا

خطيئةَ العرب لا الأردنُّ يغسلهَا   ولا صبا بردى بالنّشرِ يَطويها

ومن الذين تناولوا بدقة ثورة فلسطين(١٩٣٦- ١٩٣٩) الشاعر وديع البستاني (١٨٨٨-١٩٥٤) الذي يرى أنها ثورة شاملة تساقط فيها الشهداء الأبرار، وصوّر أحداثها من إضراب عام، ونفي، وسجون، ومعتقلات، وهدم

(١) ديوان أحمد محرم ، الجزء الثاني، ص٤٩٧.

(٢) عبد الرحيم زلط: العروبة في شعر المهاجر الأمريكي الجنوبي، ص٨١.

(٣) المرجع نفسه، ص٨١.

للبيوت، ودفن للأحياء، وغازات مسيلة للدموع إلاّ أنها ثورة المظلوم الذي لابد أن ينتصر:[1]

ثورة المظلوم ياظالمــــهُ زِده ظلماً تزد النارُ استعاراً

ثورةَ ابنِ الدار ياغاصبها تُفتحُ الفردوسُ للثائـر دارا

ثورة الحق على الباطل يا باركَ اللّه بها نوراً ونــــارا

ومما أثار حزن الشاعر خير الدين الزركلي (١٨٩٣- ١٩٧٦) ما حدث في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين من مآسٍ وعذاب:[2]

دموع من تلك التي تُذرَفُ وقلبُ من هذا الذي يُوْجَفُ

إن كان إنساناً فهلاّ صغى إليه من يرحمُ أو يرأفُ

ومن الشعراء الذين بينوا ما جرّه قيام دولة إسرائيل من وبال على فلسطين والعالم العربي شفيق جبري (١٨٩٨-١٩٨٠)، كما انتقد مجلس الأمن في موقفه الظالم ضد الشعب الفلسطيني:[3]

أيعيث اليهود في حرم القـــد سِ فساداً والنومُ يأخذُ منّـا

لفظتهم جوانبُ الأرض شـــذا ذاً فتاهوا القرون قرناً فقرناً

مجلس الأمن هل ترى الأمن يغني ما تراه عن المجازر أغنـــى

نسمعُ الجعجعات تلقى إلينا بصداها ولا نشاهدُ طحنــاً

وواكب الشعراء العرب القضية الفلسطينية من بدايات المؤامرة عليها عام ١٩١٧، وحتى يومنا هذا، وكان لوعد بلفور أثرٌ قوميٌّ عظيمٌ في الشعر إذ

---

(١) المرجع السابق، ص٧٣. كما ينظر ص ٢٣٢، ٢٩٦.

(٢) المرجع نفسه، ٨٣.

(٣) المرجع نفسه، ١٠٣.

تناول الآثار المترتبة على هذا الوعد كثير من الشعراء[1] ومنهم خليل السكاكيني (١٨٧٨-١٩٥٣) الذي يخاطب بلفور بقوله:[2]

بلفور إنّا أمـــــة لايستباح حقهـا
لا خير في العيش إذا ما كان فيه رقها
بلفور إنّا أمـــــة طامحة إلى العلا
سنستمر في الجهـاد أو ننال الأمـلا

وعندما بلغت قضية فلسطين ذروتها نظم محمد مهدي الجواهري قصيدة منها:[3]

ردُّوا إلى اليأس ما لم يتسعْ طمعاً شرٌّ من الشرِّ خوفٌ منه أن يقعا
يا نادبين فلسطيناً وعندهــــمُ علمٌ بأن القضاءَ الحتمَ قد وقعـا

وفي قصيدة (بعد الكارثة) لفدوى طوقان نلمس الصرخة المدوية من الأعماق:[4]

يا هذه الأقدارُ لا ترحمـي فرائسَ الضعف، بقايا الرِّمـم
بالمعولِ المحمومِ أهوي على تلك الجذوعَ الناخراتِ الحُطَـم
كوني أتيّاً عارماً واجرفـي كلّ ضعيفِ الروحِ واهي القدم
لن يقعدَ الأحرارُ عن ثأرِهم وفي دمِ الأحرارِ غلي النِّقَـم

وإذا ما خضنا في دواوين الشعر العربي قلّ ألاّ تجد ذكر فلسطين في قصائد قومية غطت مراحل نضالها المختلفة منذ بدايات هذا القرن. وحتى يومنا

(١) ينظر في ذلك حسني رشيد الكيلاني: أطياف وأغادير، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط١، ١٩٣٦، ص٣٦.
بلال التل: الأردنيون وفلسطين، دار البيرق للنشر، عمان، ١٩٩٢، ص١٠٥. ويعقوب العودات: عرار شاعر الأردن، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠، ص٨.
(٢) جميل بركات: فلسطين والشعر، ص٦٢.
(٣) المرجع نفسه، ص١٢٨
(٤) المرجع نفسه، ص٢٤٢.

هذا، ولا غـرابة في ذلك، فـفلسطين بؤرة الصـراع القـومي والديني في هذه المنطقة، لذا نرى كثيراً من الشعراء العرب يتسابقون إلى تسجيل كفاح الشعب الفلسطيني وبطولاته ومآسيه وتضحياته الجسام، ويصورون في أشعارهم إصراره على مواصلة الكفاح والمقاومة إلى أن يحصل على حقوقه المشروعة فوق أراضيه.

مما مرّ يتبين أنّ الشاعر العربي كان سجلاً حافلاً للأحداث القومية التي خاضها العرب في مراحل تاريخهم المختلفة، فلقد واكب الشعر القومي بدايات الحكم التركي، وشارك في بناء الدولة على أساس الدين الذي يربط بين العنصرين: العرب والترك، ولمّا تنكب الاتحاديون للدستور العثماني سنة ١٩٠٨، وبدأوا بسياسة التتريك، ومحاولة طمس اللغة العربية،رأينا الشاعر العربي يقف في وجه الظلم، ويُعبّرُ عن ذلك بقصائد تستنكر الأعمال السيئة التي تؤثر على مسيرة المشاركة مع العثمانيين في دولة واحدة.

إلى أن جاء اليوم الذي لم يستطع العرب الاستمرار مع الأتراك في دولة نقضت عهودها ومواثيقها، فوجدت نفسها أمام ثورة عربية تنطلق من الحجاز، فارتفعت أصوات الشعراء مهنئة بالثورة، وفرِحَةً لقدومها، وأخذ الشعراء يمدحون أبطالها، والمشاركين فيها إلى أن استطاعت أن تبني مملكة عربية في سورية ساهم العرب من شتى أقطارهم في بنائها.

إلاّ أن الفرحة لم تتم إذ كانت الدول الاستعمارية متفقةً على تقسيم الوطن العربي، فثار الشعر مرة أخرى يقاوم الاحتلال، ويندد بمطامعه، ويستنهض الهمم من أجل التحرير والاستقلال. إلى أن دخلت القضية الفلسطينية تاريخنا المعاصر كحدث قومي بارز، وكان لها- وما يزال- النصيب الأكبر في الشعر القومي، وما من شاعر إلاّ وتناول جانباً من جوانبها المختلفة.

وفي هذا التمهيد قُدّمتْ لهذه المراحل التاريخية القومية أمثلةٌ ونماذجُ من الشعر القومي الذي ساير هذه المراحل المختلفة، على أن الإحاطة والشمول

بكافة التفصيلات يحتاج إلى دراسات أكثر تفصيلاً.

صلة النزعة القومية بالشعر الأردني قبل عام ١٩٦٧:

« كانت المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم (شرقي الأردن) جزءاً لا يتجزأ من بلاد الشام، ارتبطت بها عبر القرون، فخضعت للعثمانيين في مطلع العصور الحديثة (١٥١٦م) وعاشت في ظل حكمهم مدة أربعة قرون »(١).

ولم يكتسب شرقي الأردن أثناء حكم العثمانيين أهمية إلاّ لأنه طريق الحج الشامي، ولذلك حَرَصت الدولة العثمانية على إنشاء بعض القلاع والبرك والمحطات في بعض المواقع لتأمين حماية الحجاج وتسهيل سفرهم.

وفيما عدا ذلك كان الحضورُ العثماني اسمياً الأمر الذي أدى إلى تردي أحوال المنطقة وسيطرة الفوضى عليها مما أثّر على معيشة السكان سلباً، إضافة إلى حالة الصدام المستمر مع الدولة العثمانية التي أدى بالتالي إلى فرض الضرائب الباهظة على السكان المحليين، وإهمال أوضاعهم العامة(٢).

وعندما تقدمت الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ إلى بلاد الشام، وجد الأردنيون الفرصة مواتية إلى الانخراط في الثورة- بعد بعض التردد في البدايات- ولقد كانت الظروف مهيأة ليشارك الأردنيون مشاركة فعالة في ثورة العرب التي أعلنها شريف مكة، وهو صاحب التاريخ النضالي ضد مظالم الإدارة العثمانية.

«ونستطيع القول أيضاً بأنّ الأردنيين هم أول شعب عربي قام في العصور الحديثة لا لأجل استقلال إقليمي بل من أجل استقلاله القومي، فقد كان الثائر الأردني يدافع عن سوريا والعراق وفلسطين، مثلما كان يدافع عن سهول الأردن وصحاريه »(٣).

---

(١) علي محافظة: تاريخ الأردن المعاصر(١٩٢١-١٩٤٦)، مركز الكتب الأردني، عمان، ط٢، ١٩٨٩. ص٥.

(٢) ينظر بلال التل: الأردن محاولة للفهم، منشورات دار اللواء للصحافة، ١٩٧٨، ص٧—٩.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٦.

فمنذ أن ذاع قدوم عبدالله بن الحسين إلى معان من الحجاز بقصد استئناف النضال في سبيل تحرير سوريا والانتقام للعهد الفيصلي الذي تفرق رجاله أخذوا يقصدون عمان الذي حطّ الأمير عبدالله فيها رحاله في التاسع من آذار عام (١٩٢١)(١).

وبعد أن انتصرت الثورة العربية الكبرى، واستطاعت تحقيق أهدافها في الوحدة والحرية صار فكرُ الثورة هو الأُساس والمنطلق لمعظم التيارات السياسية التي ظهرت في المشرق العربي بعامة، وفي شرقي الأردن بخاصة، فقد كان هذا الفكر خلاصة الاتجاه القومي العام الذي ولد في الربع الأخير من القرن الماضي وترعرع في مطلع القرن الحالي(٢).

وكانت أول إشارة إلى النزعة القطرية في شرق الأردن في تموز عام ١٩٢١ أي منذ تأسيس إمارة شرقي الأردن التي حمل لواءها أمير البلاد الأمير عبدالله بن الحسين، واستطاع تثبيت أركان الحكم العربي الهاشمي فيها.

وفي أعقاب القضاء على المملكة السورية عام ١٩٢٠ ظهرت النزعة القومية في الأقطار الشامية بعد أن قسّم الاستعمار الفرنسي والبريطاني هذه الأقطار إلى كيانات سياسية عديدة، وغذّى هذه الكيانات من أجل تثبيت الاقتسام، وتوطيد نفوذه في المنطقة.

أما الحركة الأدبية -وبخاصة الشعر- في شرقي الأردن، فقد نشأت وترعرعت في بلاط الأمير عبد الله بن الحسين، بعد أن كان الشعر -في أغلبه- بدوياً، على شكل أهازيج ومقطعات عامية.

إلاّ أنه أخذ بالنضج والاستواء منذ تأسيس الإمارة الأردنية، فنجد أن الأمير عبدالله الذي كان شاعراً وأديباً وناقداً يحيط الشعراء بعطفه ومحبته ويشجع

---

(١) ينظر محمد دروزه: حول الحركة العربية الحديثة، الجزء الثاني، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٤٩، ص٢٩.

(٢) علي محافظة: الفكر السياسي في الأردن، مركز الكتب الأردني، ط١، ١٩٩٠، ص٢٨. كما ينظر ناصر الدين الأسد: الشعر الحديث في فلسطين والأردن، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، ١٩٦١،ص٨٧.

الشعراء بمنحهم الجوائز والحوافز، فغدا بلاطه (صالوناً أدبياً) يتوافد إليه الشعراء من جميع الأركان، وتوافد إلى بلاطه الشعراء العرب ومن هؤلاء: فؤاد الخطيب (شاعر الأمير وشاعر الثورة العربية الكبرى من قبل)، وعمر أبو ريشة، ووديع البستاني، وعبد المحسن الكاظمي، وعبد المنعم الرفاعي، وغيرهم.

«ومن المجالس الأدبية، وفي رعاية الأمير الشاعر انطلقت الحركة الأدبية والشعرية، تنشرها وتوسّعُ أصداءَها الصحافةُ اليومية والأسبوعية»[١] .

وقد سار الشعر في بدايات تأسيس الإمارة في صنع الحياة الأدبية والسياسية معاً، وسار في مسارين: مسار الشعر الغزلي والطبيعة والمرأة، ومسار الشعر الوطني والقومي وهو الذي يهمنّا تتبع بعض ملامحه.

ومنذ بدايات الإمارة الأردنية شارك الشعراء في الدعوة إلى الوحدة العربية، وصار الشعر القومي معبراً عن آمال الأمة العربية وطموحها في التحرر والنضال، وأخذ الشعراء الأردنيون يساندون الوحدة السورية، كما كانوا يساندون الثورات العديدة التي قامت في فلسطين من سنة ١٩٢٩-١٩٤٨.

ومن أوائل الشعراء الذين واكبوا الشعر القومي وعبّروا عن الحالة السيئة التي يعيشها العرب في الدولة العثمانية بعد تبني جمعية الاتحاد والترقي سياسة التتريك الشاعر حسني فريز الذي يقول:[٢]

هبت لتتريك العناصرِ عصبةٌ   لم تدرِ أن الأمرَ أخشن مركباً

وقال إبراهيم المبيضين مشيراً إلى بداية الثورة العربية الكبرى، وما كان لها من أثر طيب في إنقاذ الشعوب العربية التي كانت واقعة تحت نير الطغيان التركي المتمثل بجماعة الاتحاد والترقي:[٣]

من البيت العتيق علا النداءُ   ومن شُرفاتِهِ انبثَقَ الضِّيـاءُ

(١) عيسى الناعوري: الحركة الشعرية في الضفة الشرقية من المملكة الأردنية الهاشمية، وزارة الثقافة والشباب، عمان، ١٩٨٠، ص٦.

(٢) حسني فريز: هياكل الحب، الجزء الثاني، مطبعة الشرق، عمان، ط١، ١٩٨٦، ص٥٤.

(٣) فوزي الخطبا، حسن المبيضين: إبراهيم المبيضين، حياته وشعره، عمان، ١٩٨٦، ص٨٢.

ومِنْ بطحاءَ مكةَ من جديـدٍ بدت أنوارُها وعلـت ذكاءُ
وأشرق نورَ أحمَد في بنيـه من الأشرافِ وانبجَس السّناءُ
ليوثٌ من بني الزهراءِ هبّوا إلى الجُلّى وقد برحَ الخفـاءُ
أثاروا الثورَة الكبرى بحـقٍ لرفع الضّيم وانكشفَ الغِطاءُ

والشاعر حسني فريز يدعو إلى الانخراط في جيش الثورة العربية الكبرى، وهي دعوة إلى العرب الأباة رافضي الظلم والاستكانة:(١)

لا تستنيموا ياأباة فإنهـم لن ينصروا ونصيرهم لن يغلبـا
وإذا تركتم للزمانِ أمورَكـم فترقبوا برقاً ولكن خُلّبـا
شدّوا على الجردِ العتاقِ واطلعوا جيشَ العروبة في الدّياجي كوكباً
ها قد تنادت للكريهة نخبـةٌ فتيانُ صدقٍ يُنْجِبون الأنجبـا
اليعربيون: الألى صَدقوا الوغى وتمرّسوا فيها فكانوا قُلّبـا

وهو يدعو إلى الثورة ويصمم عليها بقوله:(٢)

لا بدّ من حربٍ يكونُ وَقودُها مَنْ كانَ ظلاّما غبّياً أخيبا

وامتدح قائدَ الثورةِ المتحدِّرِ من سلالة المصطفى عليه السلام:(٣)

ابن النبي المصطفى في مكة عالٍ ودانٍ برُّه لن يُحجبـا
هذا نبيُّ الحقّ فامضِ بنورِه مِنْ بعدِه نورُ العروبةِ ماخبا

والشاعر الأردني يرى أن العروبةَ دمٌ يسري في عروقه، وهي القادرة على لم شعث الأمة، وتجميع طاقاتها في دولة واحدة، وفي هذا المعنى يقول

(١) حسني فريز: هياكل الحب، الجزء الثاني، ص٥٤– ٥٥.
(٢) المصدر نفسه، ص٥٥.
(٣) المصدر نفسه: ص٥٥.

توفيق أبو الرب من قصيدة بعنوان إيه عروبة:[1]

إيه عروبة : إن حبّك في دمي | يسري لهيباً حارقاً كالنارِ
إيه عروبة : إن قلبي مشفق | متألمٌ من مجدِك المنهارِ
فمتى أرى أبناءَ شعبِك أمةً | لاحدَّ يَفصِلُ واحداً عن جارِ
ومتى أرى أمصارَ أرضِك دولةً | فيها التقدمُ مطمحَ الأمصارِ

ومعظم ما قيل من شعر في بدايات تأسيس الإمارة كان شعراً يتغنى بالثورة العربية الكبرى، ويمتدح قادتَها، ويستنهض الهمم من أجل التحرير والاستقلال .

وساند الشعرُ القوميُّ الأردني الثورةَ السورية (١٩٢٥-١٩٢٧) على الاستعمار الفرنسي وكلّ الانتفاضات السورية التي تلتها، وهكذا كان الشعر في الأردن مع الحركة الوطنية ضد التسلط البريطاني، -وهذا ما ظهر في أشعار مصطفى وهبي التل- أو خارج الأردن في كلّ بلد عربي يعمل على التحرر من الحكم الأجنبي البريطاني والفرنسي، ومن ذلك قول حسني فريز من قصيدة بعنوان: عيد الجلاء الأول[2]

تبسّمَ العيدُ للفيحاء والعرب | وكانَ همُّ المنى والمجد والحقب
كنا نناجيه من أعماق محنتِنا | وننتضيه بليلِ الويل والحرَبِ
وقد بذلنا له في كلِّ ناحيـة | دماً ودمعاً وأعلاماً من النشبِ
عيد الجلاء أرى الحريةَ انبثقت | ولذَّ فيك لها أنشودةُ الطّربِ

والشاعر الأردني يفتخر بلغته العربية كما افتخر بوحدته العربية لأنها مظهر قوميته. يقول جميل علوش:[3]

---

(١) توفيق أبو الرب: قراءات في الأدب الأردني، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٨٠، ص٥٩.

(٢) حسني فريز: هياكل الحب، الجزء الثاني، ص٦٤.

(٣) مختارات من الشعر الحديث في الأردن، منشورات دار البيرق، عمان، ط١، ١٩٨٣، ص٦٠.

عربيات قوافيَّ التـــي زغردت في حومةِ الحق الصراح

عربياتٌ سيوفي ورماحي عربياتٌ ميادينـي وساحـــي

عربياتٌ فصاحٌ أحرفـــي برئت من أحرفٍ غيرِ فصـــاح

ويرى الشاعر محمد الشريقي أن اللغة العربية هي التي تجمع العرب دون أن يفرقهم دينٌ أو قطرٌ أو نسب.[1]

كما أن الشاعر الأردني كان يدقُّ ناقوس الخطر حالةَ وقوعه، وهو لا يخاف من أن يوجّه النقدَ اللاذعَ أحياناً إلى الدول العربية التي كانت كثيرةَ العدد إلاّ أنها لم تستطع مواجهة الهجمة الشرسة فاندحرت في ميادين القتال، ويبين أن السببَ في ذلك الخيانةُ وعدمُ الإخلاص في القتال:[2]

سبعون مليوناً وسبعُ ممالك وجيوشها؟ يا خيبةَ الإحصـاءِ

سبعون مليوناً أمامَ عصابـةٍ رعديدةٍ ونَذلٌ في الهيجـــاءِ

سبعونَ مليوناً... أحقاً أننـا سبعونَ مليوناً من الأحيـــاءِ

لولا الخيانةَ لم تُشرّدْ أمتـي كي يستظلَّ الخصمُ تحت سمائي

وفي هذا المعنى يقول مصطفى وهبي التل[3]

إني أرى سبب الفناء وإنما سببُ الفناءِ قطيعةُ الأرحام

فدعوا مقالَ القائلينَ جهالةً هذا عِراقيٌّ وذاك شآمــــي

ويدرك الشاعرُ الأردني منذ بداية المؤامرة الاستعمارية والصهيونية على فلسطين أن فرقة العرب من الأسباب الرئيسة لضياع فلسطين، يقول حسني فريز:[4]

(١) عيسى الناعوري: الحركة الشعرية في الضفة الشرقية، ص٤٨- ٤٩.

(٢) المرجع نفسه، ص٨.

(٣) مصطفى وهبي التل: عشيات وادي اليابس، المؤسسة الصحفية الأردنية، عمان، ١٩٧٣، ص٣١٤

(٤) بلالألتل، الأردنيون وفلسطين، ص١٠٦.

لا تحسبوا أن سيف الغدر يقتلنا   وإنما سيفنا أعدى أعادينا
لكل قطر من الأقطار مشكلـــة   لا يدّعي حلها إلاّ أعادينـــا

وكان الشاعر يقسو على أبناء أمته أحياناً فيلجأ إلى الاستفهام الاستنكاري[1]

العربُ تحملُ هذا الجرحَ صامتـــةً   فكيف تصبرُ من آلامِهِ العَـــرَبُ ؟
فلاهمُ اتحدوا بل أصبحوا فرقـــاً   ولا تفجّرَ صوتُ الثأرِ والغضـــبُ
ماذا دهى العُرْبَ هل ترضى كرامتُهم   بالاحتلالِ فيحمي القدسَ مُستلِبُ ؟

وبدأ صدى النكبة الفلسطينية يتردد في الشعر الأردني عند الرواد الأوائل الذين عاصروا النكبة، فأثرت على الشعر الأردني، ومن خلال تصفح بعض عناوين الدواوين صرتَ تجدُ عناوينَ تتعلق بالنكبة الفلسطينية مثل: الهوان، عودة اللاجىء، عيد الأمل، نقمة، ثورة الروح، النكبة، التشرد، الهوان ... وصار الشعراء الأردنيون يحملون هموم القضية الفلسطينية باعتبارها قضيتهم وقضية أمتهم العربية، وغدت النكبةُ نبعاً ثراً للأدب الأردني بعامة والشعر بخاصة.

ومن الثورات العربية التحررية التي تناولها غيرُ شاعر أردني الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦-١٩٣٨)، الثورة التي اشتعلت ضد الاستعمار والصهيونية. ومن مطولة بعنوان:(نقمة)للشاعر عيسى الناعوري التي نظمها في تاريخ الجهاد الفلسطيني ابتداءً من الثورة العربية إلى مابعد الثورة الفلسطينية الكبرى ومنها:[2]

(١) المؤتمر الثقافي الوطني من ١٩-٢٢ تشرين الأول ١٩٨٥، الجامعة الأردنية، عمان، ط١، ١٩٩٦، «بحث عبد الله الشحام: الشعر الأردني في مواجهة الخطر الصهيوني»، ص١١٤.
(٢) عيسى الناعوري: أناشيد أخرى، دائرة الثقافة والفنون، عمان، ١٩٨٣، ص٥.

في فلسطين صيحةٌ تتعالى ردّدتها الأرجاء في إيمــان
إنها ثورة تُشبُّ على الظلم لتمحوَ عارَ الخَنا والهــوانِ
إننا أمةٌ تحنّ إلى المجــد وتصبو إلى قِراع النضــالِ
قد نذرنا نفوسَنا للمعالي وأبينا على الحمى أن يُضاما

ولقد ظلّ الشعراء الأردنيون يعكسون واقع الشعب، وهم يستصرخون الهمم لنصرة أهلها قبل أن تضيعَ أرضُها، وانعكس هذا الشعر عندما قاوموا وعد بلفور المشؤوم(٢)

ياوعد بلفور ياشؤم المواعيــد ياوصمة العار في أيامك السود
ما كان أسخاك فيما لست تملكه وما أشدّكَ إنجازاً لموعـــود!

وكذلك من الشعراء الذين حذّروا من وعد بلفور، ودعوا العرب إلى الترفع عن الطائفية مصطفى وهبي التل في قوله(١)

ياربِّ إنْ بلفورُ أنفذَ وعــدَه كم مسلمٍ يبقى وكمْ نصرانــي ؟
وكيانُ مسجدِ قريتي من ذا الذي يبقى عليه إذا أُزيل كيانــي
وكنيسةُ العذراءِ أين مكانُهــا سيكونُ إنْ بُعِثَ اليهودُ مكاني؟

ولقد وقف الشاعر الأردني في وجه مستعمري وطنه ومن في صفهم، وهاجمهم بعنف، ودعا أبناء وطنه إلى مقاومتهم، وإلى المطالبة بحريتهم واستقلالهم، فها هو عرار يخاطب المعتمد البريطاني بقوله:(٢)

لا تحسب الجُرحَ فيمن لا يضجُّ أسى يا (كوكس) مندملاً فالضّيمُ نكّاءُ
والحقّ لا بدَّ من إشراقِ طلعتِــه مهما استطالت على أهليه ظلماءُ

(٢) حسني زيد الكيلاني: أطياف وأغاريد، ص٣٦.
(١) يعقوب العودات: عرار شاعر الأردن، ص٨.
(٢) ديوان عشيات وادي اليابس، ص٩٢.

ومن قصيدة ألقاها على كشافة طولكرم حين زاروا مدينة إربد نرى أن الشاعر ينظر ألى أقطار البلاد العربية دون تفريق:[1]

فبلادكم بلدي، وبعضُ مصابِكم همّي وبعضُ همومِكم آلامي

وكما على وادي الحوارثِ[2] دمعكم يهمي دماً فهنا الدموعُ هوامي

فديارُكم داري، وبعض تلادكم هو طارفي ومناكمُ أحلامي

وبعد أن خلصت البلاد العربية من نير الحكم التركي كان هناك المعتمد البريطاني الذي يدير الأمور من خلال مجموعة من رجاله جمعهم من أقطار عربية مختلفة يتحكمون بأبناء الأردن ويسومونهم أنواع الخسف، وحاول(عرار) إيقاظ بني قومه، وتصوير واقعهم المر تحت سلطة المعتمدين البريطانيين بقوله:[3]

قانون (هوبر) حال بعضُ جريضِهِ دون القريضِ ودون كلِّ بيان.

وكلما تكررت ذكرى الخامس عشر من أيار عام ١٩٤٨ يسترجع الشاعر الأردني بعضاً من أحداثها المؤلمة، فيرى فيها يوماً مشؤوماً لأنه اليوم الذي أعلنت فيه إسرائيل عن نفسها دولة بين دول العالم، فأذاعت في العالم كله: «أُنّ أرض إسرائيل هي مسقط رأس الشعب اليهودي ...»[4] وفي هذا اليوم انكشف العرب وبان ضعفهم وهوانهم. يقول عيسى الناعوري:[5]

يا صورةَ الجبن الأذلّ وأبغض الأيام طرّا

لاكنتَ من يومٍ به صارانتخاء العُرْبِ غدراً

ويكرر القول في قصيدة بعنوان (الذكرى السوداء) سنة ١٩٦٥، وينتقد

---

(١) المصدر السابق، ص٢١٦.

(٢) وادي الحوارث: شمالي غرب طولكرم .

(٣) المصدر نفسه، ص٢١٤.

(٤) المؤتمر الثقافي الوطني الثاني(بحث عبدالله الشحام)، ص١١٤.

(٥) المرجع نفسه، ١١٤.

العرب:[1]

أيارُ، ياعارَ العروبة كلِّهـــــا ... ومصيبها بالطعنةِ النجــلاءِ
كم ذا تدور وكم تعيدُ لأمتـــي ... ذكرى تجيء بأفــدحِ الأرزاءِ
غاصت رؤى الأمجادِ من تاريخنا ... وسيوفُنا عادت بغير مضــاءِ
صدئت لطولِ الحبس في أغمادِها ... دونَ القراعِ بحومةِ العليــاءِ
وخيولُنا ملجومةٌ في ساحِهـــا ... صمتت عن التّصهالِ في الهيجاءِ

وكان الشعر الأردني في بعض حالات التردي والهوان، وانسداد كُوى الأمل في السماء العربية يلجأ إلى تعنيف الأمة العربية زعماءَ وشعوباً في محاولة لجلد الذات ويوجه اللوم إلى الزعماء على وجه الخصوص. وفي هذا يقول عيسى الناعوري:[2]

دعني أغصُّ بأدمعي وشجونـــي ... عصفت مذلة أُمتي بيقيني
دعني أَذيبَ مع الدّموعِ حشاشتي ... وأُطيلُ للوطنِ المُضاعِ حنيني
ما في يدِ الأحرار بعد هوانهـــم ... غيرُ الدموع وزفرةُ المحزونِ

وعن الاحتلال الإسرائيلي لأرض الأنبياء، وأثار النكبة، يتحسر الشاعر عيسى الناعوري على الأباةِ والأحرار والبلدِ السليب بقوله:[3]

أرض الأباة وموطن الشهــــداء ... لهفي عليك طعينةَ الأحشــاءِ
لهفي على الأحرارِ كيفَ أذلَّهـــم ... عذرُ الصّحاب وصولةُ الغرباءِ
لهفي على البلدِ الحبيبِ وقد غدا ... بعد الجَمالِ مُمزَّقَ الأشـــلاءِ

ولقد شارك الشعر الأردني في معظم الثورات العربية كثورة اليمن،

---

(١) عيسى الناعوري: أناشيد أخرى، ص٥٤-٥٥.
(٢) المؤتمر الثقافي الوطني الثاني، ص١١٥-١١٦.
(٣) عيسى الناعوري: الحركة الشعرية في الضفة الشرقية ،ص٨.

ومصر ، وسوريا وحرب السويس، وثورة الجزائر، ومؤتمرات القادة العرب. فهذا حسني فريز يهنئ بولادة جمهورية اليمن الجنوبي بقوله:[1]

أدال اللهَ من خصمٍ عنيـــدٍ وقامت دولةُ اليمن السعيد

مضى عهدُ ذميمٌ وهو شِلـوٌ وجاءَ الشعبُ بالعهدِ الحميدِ

أليسَ هُمُ الألى نهبوا بلادي وأعطَوْها لأعلاجِ اليهـــود ؟

وشارك الشاعر الأردني العربَ من المحيط إلى الخليج كلّ ما يعتريهم من نوائب ومصائب، معتبراً أن العدوان على أيِّ بلد عربي هو عدوان على كل قطر عربي، فالشاعر نايف أبو عبيد -مثلاً- يَعدُّ العدوانَ على الجزائر عدواناً على البلاد العربية[2]

سلاماً لكم أيها الصامدون وراء الحديدِ بجوفِ السجون

مُغامِرُ باريس يا مجـــرمُ سنقتصُّ منكم ولن تسلمــوا

وفي ثورة اليمن يقول إبراهيم المبيضين[3]

تحولت لتوالي القصف مقبـــــرةً وجوُّها أفسدتهُ شدةُ النـــــتنِ

كم من عروسٍ بيوم العرسِ قد صنعت ثوبَ الزفافِ لها فاعتيضَ بالكفنِ

وأشاد الشعر الأردني بثوّار الجزائر الذين قارعوا المستعمرين والمحتلين ورسم صورة نضالية رائعة لأبطال الثورة أمثال بطلة الجزائر جميلة بوحريد ومن ذلك قول عيسى الناعوري:[4]

ولا كانَ للحلي أو للثيـــــاب بنفسك وقعُ ولا في العيـــونْ

خذوا -قلتِ للناسِ- صفوَ الحياةِ ولكن هبوني حمايَ الثمـــينْ

فليست تطيبُ بعيني الحيـــاةُ وفي موطني يرتَعُ الغاصبونْ

(١) حسني فريز: هياكل الحب، الجزء الثاني، ص١٢٧.

(٢) نايف أبو عبيد: أغنيات للأرض، مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ١٩٦٠،ص٤٩.

(٣) حسن مبيضين وزميله، إبراهيم المبيضين حياته وشعره، ص٦٩.

(٤) المؤتمر الثقافي الوطني الثاني، ص١١٨.

وكمثال على ابتهاج الشاعر الأردني للقاءات العربية في مؤتمرات القمة لأنها مظهر من مظاهر الوحدة العربية، ماقاله حسني فريز إثر انعقاد مؤتمر في القاهرة سنة ١٩٦٤ من قصيدة أذيعت من دور الإذاعات العربية في وقت واحد[١]

نَعم طافَ بالعروبةِ حالــــمْ ملءَ آفاقها وملءَ العوالــــم
قد حلمنا به دهوراً وهـــذا مهرجانُ الضياءِ في الناس قائمْ
أمتي أسرعي الخُطى واستعدّي مُليءَ الدربُ من نيوب الأراقــم
أنتم القادةُ الأباة وأنّ الشعبَ مـــاضٍ في ركبِكــم وهـو غانــمْ

ومن المشاركات القومية التي دارت على ألسنة الشعراء الأردنيين: الفخر بالأمة العربية، والترفع عن الإقليمية، والتحسر لما حلّ بالأمة العربية من رزايا، والافتخار بالوحدة العربية بين أي بلدين عربيين، وكلّها مناسبات قومية أفاض الشعر الأردني بوصفها وإبرازها[٢].

ثم لـمّا حلت النكبة الفلسطينية ملكت على الشاعر أحاسيسه ومشاعره فغدت الحدث الأكثر التصاقاً بواقعه، لخصوصية فلسطين بالنسبة للأردن، ولأنها بؤرة الصراع العربي-الغربي، ولقد ترك لنا الشعراء الأردنيون قصائد طافحة بالمجد، ومعطرة بأريج الشهادة، حتى إننا يمكننا القول بشيء من الاعتزاز: ما من شاعر أردني إلا وتناول القضية الفلسطينية في جانب من جوانبها وما من شاعر إلا وله فيها نصيب يُذكر.

---

(١) حسني فريز: هياكل الحب، الجزء الثاني، ص١٥٦- ١٥٧.

(٢) ينظر للاطلاع على بعض هذه المضامين القومية: محمود مهديات: اتجاهات شعراء شمالي الأردن، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٨٥، ص١٥٧، ١٦٥. يعقوب العودات: عرار شاعر الأردن، ص٢٨٥. سليمان عويس: العنقود، مطابع دار الشعب، عمان، ١٩٧٨، ص١١٤، ١١٧. حسني فريز: هياكل الحب، الجزء الثاني، ص٩٣- ٩٤. وحسين خريس: حكاية وجدان، المكتبة العصرية، صيدا، ٩٧٢، ص٢٠٢.

الباب الأول

دراسة في المضمون

الفصل الأول

الصراع العربيّ-الصُّهيونيّ

الفصل الأول

الصراع العربي- الصهيوني

فترة ما قبل نكسة حزيران عام ١٩٦٧م:

تحتل القضية الفلسطينية الاهتمام الأكبر من النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية؛ لكونها قضية العرب المركزية، وميدان الصراع التاريخي بين العرب واليهود منذ أقدم الأزمنة وحتى اليوم.

وبعد النكبة بدأت الصهيونية[1] تساندها الدول الاستعمارية في العالم تسعى إلى الاستيلاء على الأرض العربية التي تدخل ضمن نطاق (إسرائيل الكبرى) وهي من الفرات إلى النيل. وما فلسطين سوى نقطة ارتكاز تنطلق منها إلى بلدان أخرى في مراحل قادمة.

ولقد خاضت الأمة العربية منذ مطلع هذا القرن حروباً وثورات بضراوة وبسالة، ومنها: ثورة ١٩١٩م، ١٩٣٦، ثم جاءت نكبة فلسطين عام ١٩٤٨، التي ألقت بظلالها السوداء على أرجاء الوطن العربي والأردن بخاصة، إذْ أجبر كثير من أبناء الشعب الفلسطيني على النزوح من بلاده إلى الأقطار العربية المجاورة.

وكان الشعر الأردني من أوائل الشعر العربي الذي ندّد بالصهيونية ونبّه أبناء الامة العربياعلى خطورة الأوضاع، الأمر الذي يتطلب حشد الطاقات والإمكانات، والوقوف صفاً واحداً أمام التحديات والأخطار.

وشارك أبناء الأردن في الدفاع عن فلسطين في نكبتها الأولى عام ١٩٤٨، إيمانا منهم بأن الوطن العربي واحد، والمشاركة الجماعية في درء الخطر الصهيوني واجب قومي. ولقد عايش المجتمع الأردني نكبة فلسطين بكل أبعادها، وتحمّل أعباء هائلة، ولهذا كانت تجربة شعرائه عميقة ومعاناتهم صادقة إذ استطاعوا أن يعبروا عن معاناة الأهل المستمرة في الوطن المحتل، وأن يصوروا وحشية العدو الإسرئيلي وممارساتة القمعية تجاه أبناء فلسطين.

---

(١) الصهيونية: حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين، تحكم من خلالها العالم كلّه، واشتقت من اسم (جبل صهيون) في القدس، حيث تطمع الصهيونية أن تشيد هيكل سليمان، وتقيم مملكة لها تكون القدس عاصمتها. كما ارتبطت هذه الحركة بشخصية اليهودي النمساوي (هرتزل)الذي يعدُّ الداعية الأول للفكر الصهيوني الذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالم. «الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب المعاصرة، (الندوة العالمية للشباب الاسلامي)، الرياض، ط٢، ١٩٨٩»، ص ٣٣١ كما ينظر للتوسع بشأن هذه الحركة أنور الجندي: الموسوعة الإسلامية العربية، الجزء الرابع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ودار المصري، القاهرة،ط١، ١٩٧٩ ص٤٢٩.

إن الأردن منذ قدوم الأمير عبدالله بن الحسين وتأسيس الإمارة الأردنية عام ١٩٢١م بدأ بداية قومية تتجاوز الحدود والأقاليم، إذ عمد إلى تعيين بعض وزرائه ومعاونيه وقادة جيشه من أبناء الوطن العربي ولهذا انعكست المشاعر القومية على حياة أبنائه منذ الفترات الأولى، يثبت ذلك مشاركتهم في المؤتمر السوري العام وجاء إعلانهم يقول: «إننا نرفض مطالب الصهيونية بجعل القسم الجنوبي من البلاد السورية (أي فلسطين) وطناً قومياً للإسرائيليين»[١].

يتبين مما مرّ أن الشعر الأردني في مراحله الأولى، واكب الصراع من أجل الحفاظ على أرض فلسطين، وعرض منذ البدايات صوراً من مأساة الشعب الفلسطيني بعد أن وقعت بأيدي الغزاة، في الوقت الذي لم يقف منددا فحسب، بل شارك مشاركة فاعلة لوقف هذه الهجمة الشرسة إلى أن جاء الخامس من حزيران عام ١٩٦٧. ومن المواقف القومية البارزة التي تناولها الشعر الأردني في هذا الفصل: نكسة حزيران عام ١٩٦٧، وحرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣، والحرب اللبنانية عام ١٩٧٨، والانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٨٧.

أولاً: نكسة حزيران عام ١٩٦٧م كمحور رئيس من محاور الصراع العربي الصهيوني:[٢]

لم يعرف الشعب العربي الفلسطيني طعماً للراحة منذ أن اتضحت معالم السياسة الصهيونية التي هدفت إلى ابتلاع الأرض، مما أدى إلى معاودة النضال مرة أخرى بعد الثورات الفلسطينية التي توقفت مع نكبة عام ١٩٤٨، إلاّ أنها في هذه المرة جاءت بصورة منظمة هي صورة المنظمات الفدائية، إذ أخذ رجال المقاومة الفلسطينية يوسعون من نشاطاتهم ضد (إسرائيل)، ويلحقون خسائر فادحة في الأموال والمعدات، فازداد إعجاب العرب بهذه المنظمة الفتية، فراحت الجماهير العربية تنخرط فيها، وتشارك في النضال العادل والمشرّف مع

(١) بلال التل: الأردن محاولة للفهم، منشورات دار اللواء للصحافة، ١٩٧٨،ص١٧٢.

(٢) لمزيد من المعلومات: التاريخية والعسكرية عن حرب حزيران ١٩٦٧، ينظر سمير مطاوع: الأردن في حرب ١٩٦٧، عمرة للنشر والتوزيع، لندن-عمّان، ط١، ١٩٨٨.والموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني (ج-ش)، دمشق، ط١، ٩٨٤ ص١٧٨.

إخوانهم من أبناء فلسطين منذ نشأتها في اليوم الأول من كانون الثاني عام ١٩٦٥، وصدور بلاغها الأول يعلن عن بدء مرحلة جديدة من العمل في سبيل تحرير فلسطين.

إنّ قيام حركة التحرير الفلسطينية من أهم الدوافع لدى (إسرائيل) في شن حرب حزيران والتي تمكنت من تحقيق السيطرة العسكرية على ما تبقى من فلسطين، والاستيلاء على أجزاء من سوريا ومصر والأردن.

ونتيجة لحرب حزيران ١٩٦٧م كانت الضريبة التي دفعها الأردن باهظة جداً فقد حمّلته -وهو البلد المحدود الموارد- مزيداً من التبعات الاقتصادية أثناء استقباله أفواج النازحين، وتحمل أعباء إعادة قوته العسكرية على حساب مشاريعه الاقتصادية والإنتاجية، إلاّ أنه على الرّغم من كل هذا، حقّق نصراً مؤزراً على العدو الصهيوني عام ١٩٦٨ في معركة الكرامة التي أعادت الثقة للمواطن العربي بعد هزيمة حزيران المريرة[١].

ومن أهم المضامين القومية في الشعر الأردني بعد نكسة حزيران، والتي تناولها الشعراء من صور شتى ما يلي:

١- __مآسي السياسة الصهيونية في فلسطين:__

استطاعت الصهيونية العالمية، والصليبيّة الاستعمارية أن تفرض بريطانيا دولة منتدِبة (بكسر الدال) في فلسطين، وأعطتها في صك الانتداب حدوداً اتفقوا جميعاً عليها، وهي أن تكون مسؤولة عن جعل فلسطين في أحوال سياسية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي اليهودي فيها[٢].

إلاّ أنّ إسرائيلَ بعد نكبةِ حَزيران زادت من نشاطِها الاستيطانيّ العدوانيّ ليتسنّى لها استقطاب أكبرِ عددٍ من شتاتِ اليهود في العالم، وتوطينَهم على أرض فلسطين. ومما تناوله الشعر الأردني في هذا المجال: التشرد ومعاناة الأهل

---

(١) انظر: بلال التل: الأردن محاولة للفهم، ص٢٠١.

(٢) صالح مسعود أبو يصير: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ط٥، ٩٨٨، ص١١٤.

في فلسطين، الاعتداءات الإسرائيلية، الخيام، السجون......

وصف بعض الشعراء مالاقاه الأهل بعد نكبة حزيران من تشرد وضياع في شتى أنحاء العالم، واضطرارهم إلى مغادرة فلسطين، والنزوح عنها، وحمل كلٌّ منهم تشرّده، وبطاقة لم يكتب فيها إلاّ أنه نازحٌ مشرد لا اسم له أو عنوان وكأنه إنسانٌ من أرضٍ منسية. وفي هذا المعنى يقول خالد محادين:[١]

لم يحمل من أعوامٍ عشرين
غيرَ الويل، وبطاقةَ خبزٍ معجونٍ بدم الليل
لم يحملْ من أعوامٍ عشرين اسماً أو رمحاً أو هوية
إنسانٌ من أرضٍ منسية
ملقًى شرقَ الجسر بين الأسيافِ الخشبية.

وعلى الرغم من تشرد الشعب إلاّ أنه لم يتخاذل عن مواصلة كفاحه لاستعادة حقه في وطنه السليب، يقول محمد القيسي:[٢]

تشرّدتُم
ولكنْ ما تخاذلتُم
عن الأرضِ التي في قلبِها يوماً توحّدتُم
وها أنتم بلا أرضٍ ولا دار

وبعد أن نزح أبناء فلسطين عن أرضهم أظهر الشعراء الأردنيون صوراً من معاناة الأهل منذ لحظاتِ النزوحِ الأولى عند عبورِهم الجسر الذي يربط بين الضفتين: الشرقية والغربية، وصوّروا مدى ما تحمّله الشعب الفلسطيني من ألم وشقاء.

ومن صور هذه المعاناة أنّهم عند دخولهم إلى الضفة الشرقية ظلّوا لساعاتٍ طويلة تحت أشعةِ الشمس، لا مأوى ولا ظلّ.. يفترشون الغبراء

---

(١) خالد محادين: الأعمال الكاملة، مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية،عمان، ١٩٩٠،ص٣١.

(٢) محمد القيسي: الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٧، ص٥٧.

ويلتحفون السماء، كما أنّ محمداً القيسي أطلق على هذا الجسر جسر الدموع:[1]

على جسر الدموع وجدتكم، لا ظلّ لا مأوى
ولا زادَ، ولا سلوى
تمددتُم على وجعٍ
على عريٍ، رفضتم ذِلةَ الشكوى

كما ينتقد عبدالرحيم عمر الأمة العربية التي تركت أهل فلسطين منهم من كان تحت الأسر، ومنهم من نزح، فيلقي اللوم على العرب بعد أن تركوا الأهل في فلسطين أذلّة مما يعانونه من العدو الإسرائيلي:[2]

وعند الجسر قالوا: سجّلوا من أين:
وسجّلنا وأصبحنا كذا نازح
وخلّيناكم في الأسر، يملك أمركم فاتح
وخلّينا الجباه السمر تطرقُ في الثرى ذلّة

وبدأت رحلة الشقاء والموت الفلسطينية بعد أن سُجّلوا نازحين وقُدّمت إليهم الخيام والأسماء المزرية.. وكأن العشرين سنة التي سبقت النكسة لم تكن من أجل تجهيز الجيوش لتحرير فلسطين، وإنما كانت لطباعة مليون بطاقة غوث! يقول خالد محادين:[3]

ومضى مِثلَ سواه عبر الجسر
أعطَوْه الخيمةَ والظلمةَ والاسَم المزري الجارح
نازحْ
وكأنّا في الأعوامِ العشرين

(١) محمد القيسي: الأعمال الكاملة، ص٥٧.
(٢) عبدالرحيم عمر: الأعمال الكاملة، منشورات مكتبة عمان، ١٩٨٩، ص١٥٩.
(٣) خالد محادين: الأعمال الشعرية، ص٣٢.

لم نفعل شيئاً إلاّ أن نبدأ

وطبعنا مليون بطاقة

وكان لبطاقة وكالة الغوث وقعٌ مؤلم في الشعر، ومن ذلك قول نزيه القسوس:[1]

وبطاقة زيفٍ تلعنني

ووكالةُ غَوْثٍ تطعمني

خدراً وخنوعاً تطعمني

ويبدو محمد القيسي حزيناً على الأهل، وهم يعبرون إلى الضفة الشرقية، فلا يستطيع أن يُعبِّرَ عن مدى حزنِه لهول الكارثة:[2]

وأرْقبُ يا أحبائي خطاكم، وهي تعبرُ ضفة النهرِ

وفي عينيّ أحمل ما بأعينكم من الأحزان والقهرِ

فمي سدٌّ أمام تفجّر الكلمات.

ومن صور المعاناة الأخرى أنهم ارتكبوا الجرائمَ الفظيعةَ : من تشريدِ الولدان، احتلالِ الأراضي، تدميرِ المزروعات..... يقول عبدالرحمن شقير[3].

شَرّد الولدان والأيْـ	تامَ واحتل البطاحــا
دَمـّر الأخضرَ واليا	بسَ لم يُوقفْ نُباحا
فجّر الأرضَ جحيماً	ومضى يشربُ راحا
ملكَ الأرضَ وأجلى	شعبَنا ثم استراحــا!

(١) نزيه القسوس: يوميات حزيران، ط١، ١٩٧٢، ص٣١.

(٢) محمد القيسي: الأعمال الشعرية الكاملة، ص٥٧.

(٣) عبدالرحيم عمر: تيه ونار، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط١، ١٩٩٣(قصيدة لعبدالرحمن شقير بعنوان فسحة أمل مهداة لعبدالرحيم عمر)، ص٤٩.

وصوّر الشعر الأردني حياة الفلسطينين تحت الخيام التي لا تقي حرّاً، ولا تمنع برداً، فصُوِّرت على أنها خيمة سوداء رثّة تتجاذبها الرياح والعواصف في فصل الشتاء، كما في قول خالد محادين:(١)

وحيدين وتجمعُنا بقيةُ خيمةٍ رثّة
وحين تقهقهُ الأنواءُ خلفَ قماشِها البالي
أحِسُّ الخوفَ في عينيكِ يكتبُ لعنةَ الزّمنِ

كما رسم خالد محادين صورة لحالة النازح مع ولده الصغير تحت خيمة صغيرة تتجاذبها الرياح العاتية، بعد أن نام طفله الشاحب، وبقي هو حزيناً باكياً:(٢)

ونامَ الليلُ في عينيكَ يا ولدي وما نِمنا
فما زلْنا نساهرُ وحشةَ الأوتادِ والأوراق والشمعة
وتصفُرُ خلفَ خيمتِنا رياحُ الموت
تضربني، وتصفعني
فأحضِن كفّكَ الصفراءَ ألثُمها
وأذرِفُ فوقَها دمعة.

ويذكر يوسف العظم الخيمة التي عصفت بها الرياح، بعد أن أسلم من فيها للريح والموت والبرد والجوع:(٣)

في خيمةٍ عصفت ريحُ الزّمانِ بها ... لحتُ بعضَ بني قومي وقد سلِموا
فأسلموا لنيوبِ الموتِ ضاريـــةً ... البردُ والجوعُ والإذلالُ والألـــمُ

(١) خالد محادين: الأعمال الشعرية، ص١١٥.
(٢) خالد محادين: الأعمال الكاملة، مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية، عمّان، ١٩٩٠م،ص٢٥.
(٣) أحمد مرسى الخطيب (جمع وتقديم)،(ديوان الانتفاضة، منشورات لجنة الكتاب والصحيفة الفلسطينين، سفارة فلسطين، الرياض، ط٢، ١٩٩٢، ص١٤٢. وسيعرّف به فيما بعد بديوان الانتفاضة.

ولم تقتصر معاناة الفلسطينين على من نزح عن فلسطين، بل كانت معاناة الأهل في الداخل، تحت نير الاحتلال الصهيوني أشدّ وأقسى، كما مارس العدو معهم شتى صنوف الإرهاب والقسوة، ومن ذلك أن وحشيّتهم لم يسلم منها حتى الشيوخ وكبار السن الذاهبين إلى الصلاة كما في قول علي البتيري:[1]

رأيتهم بأمّ عينيَ الرؤوم

يُجرّدونَ شيخاً سارياً إلى الصّلاةِ من ثيابه

يُوضّئونَ وجهَه الجليلَ من زجاجةِ النبيذ

يُجفّفونَ بالسّيجار شعرَ ذقنِه

وفوقَ الشاربِ المحتل يبصقون

صورةٌ مؤلمةٌ تُظهر مدى الحقد الصهيوني، وأعمالَه الوحشية التي لا تقرّها شريعة، ولا يقبلها قانون.

إنّ (يهوذا) رمز الاحتلال الصهيوني لفلسطين، قد عاث في الأرض فساداً، أحرق، وأغرق، ومزّق... إنّه رمز الإجرام وشريعة الغاب، يقول أحمد نصرالله:[2]

(يهوذا) عادَ يا أقصى يمزِّقُ أمنَ أوطاني

ويعبثُ في معابدنا بإنجيلٍ وقرآنِ

يهوذا يَحرِقُ الأطفالَ يرميهم بنيران

ويُغْرِقُ أرضنا بالظلمِ يُعميها بطغيان

فهل ينزاحُ هذا الليلُ؟ يأتي فجرُ إيماني؟!

إنّ معاناة الأهل وحياة الضنك التي يعيشها الأهل في فلسطين عبّر عنها أبو فراس النطافي من خلال عرض إجراءات العدو القمعية والمضايقات التي

---

(١) مجلة أفكار، العدد ١٦، تموز ١٩٧٢، «علي البتيري: خطوات في ليل القدس»، ص٤١.

(٢) أحمد نصرالله: لعينيك يا قدس، دار الكتاب الذهبي للنشر والتوزيع، عمان، ط٢، ١٩٨٥، ص١٥.

يمارسونها على مراكز التفتيش، والحواجز فكأنها القيود التي لا يستطيع الفكاك منها، فيقول:[1]

وعلى الحدود حواجز يمنعننا ... من أن نمرّ لموطن الأجداد

ماهذه الأصفاد حولي كلّها ... أوليس لي فكاك من الأصفاد

لابد من هدم الحدود فلا أرى ... بين الأحبة مانعاً لجياد

ويتبع معاناة الأهل في فلسطين ما يلقاه العرب داخل السجون والمعتقلات الإسرائيلية التي غيّبوا فيها آلاف المواطنين- ومعظمهم من الشباب- وما من وسيلة إرهابية إلاّ واستخدموها معهم: تكسير العظام، سمل العيون، الجَلْد، العقوبة بالكهرباء، الجوع.... وقد صوّر الشعراءمدى ما يعانيه السجين جسدياً ونفسياً. ومن الشعراء الذين عبّروا عن هذه المعاناة داخل السجن على لسان السجين نفسه محمد القيسي في قصيدة له بعنوان (السجين) إذ يتحدث السجين فيها بأنَّ العدو الصهيوني أحكم عليه باب السجن، وأغلق الشبابيك ووضع عليها الستائر لكي يحجبوا عنه نور الشمس والحرية وأطفاله الذين يحبهم، وبعد ذلك قاموا بضربه على رأسه بأكعاب البنادق، فيقول:[2]

أحكموا البابَ عليَّ

أغلقوا كلّ الشبابيك، وجاؤوا بالستائر

حجبوا عني ضياء الشمس، والوجه الذي أهوى

وأطفالي الصغار

فتتوا ما كنتُ أحوي من سجائر

كسروا ظهري بعقب البندقية

وانثنوا ضرباً على رأسي بأكعاب البنادق

وبعد أن عذّبوه، وضعوا نعالَهم على رأسه، وهُم بهذه الأعمال يريدون أن يقتلوا فيه الكرامةَ والشهامةَ بعد أن رأوا إصراره على حقّهِ متحدياً أعمالهم الوحشية بصبر وثبات، فيقول محمد القيسي:[3]

---

(١) ديوان الانتفاضة، ص٥٩.

(٢) محمد القيسي: الأعمال الكاملة،ص٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٧٤.

وعلى صدرك ... شعرك... رأسك

آلاف الخوذات

آلاف الأحذية المهترئات... آلاف الحربات.

أمّا مأساة القدس فبرزت واضحةً في الشعر الأردني؛ لما تتمتع به هذه المدينة من مكانة دينية عند المسلمين والمسيحيين على السواء، لذا نرى صورتها المأساوية بعد الاحتلال تحتل جانباً مهماً في الأدب الأردني، من ذلك، صورة القدس وقد دنّس المحتلون طهارتها برجسهم:(١)

يا أمة عيسى ومحمد   ماذا في المهد وفي المسجد

رقص وغناءٌ يتـــردد   بين الهمسات المحمومـــة

وتظهر الحمية الدينية عند عبدالمنعم الرفاعي في قوله:(٢)

يا حماة الدين مسرى المصطفى   قد هوى في كفّ أبناء السفاحِ

وبعد الاحتلال الإسرائيلي يرى الشاعر أن نور التقوى، وصوت القرآن، ما عاد مسموعاً:(٣)

والتقى في المسجد الاقصى خبا   فإذا التنزيل يرثي للأذانِ

كما يذكّرُ الشاعر بحادثةٍ أليمة وهي حرق منبر صلاح الدين في القدس:(٤)

مسراك مسراك جال المعتدون به   والنارُ في المنبر المحزون تستعرُ

وها هوالمسجد الأقصى يبكي لهول ما أصابه:(٥)

---

(١) حسني فريز: هياكل الحب، الجزء الثاني، ص١٦٠-١٦١.

(٢) عبدالمنعم الرفاعي: المسافر، الدار المتحدة للنشر،ط١، ١٩٧٩، ص٧٩،.

(٣) المصدر نفسه ، ص١٠٣.

(٤) المصدر نفسه، ص٥١.

(٥) محمد أحمد موسى: عبدالمنعم الرفاعي: حياته وشعرة، ص١٠٥.

أتعيد إسرائيلُ حائطَ ندبها　　　ونعودُ نحنُ وكلّنا نُــدّابُ
والمسجدُ الأقصى يئنُّ لربِّــه　　　ويضجُّ منه الركنُ والمحرابُ

وتظهر القدس امرأة ثكلى تتقلب على الجمر، وقد قيدها الأنذالُ بعد أن دنسوا صخرتها:(١)

والقدس الثكلى في الأسرِ
تتقلّبُ من لذع الجمرِ
والأقصى يرزحُ بالأغلالْ
والصخرةُ دنّسها الأنذال
وصليبٌ يتشاكى وهلالْ

والشاعر عيسى الناعوري من شعراء الرواد- يرى أن الخزي والعار يكلل جبينه، أمام مناظر اللقطاء وهم يطؤون بنعالهم وأحذيتهم القذرة قدس الأقداس:(٢)

يالَجرحَ الشموخ فوق جبيني　　　وهواني حتى على اللقطاءِ
إذ أرى القدسَ في المذلّة تحيا　　　موطئاً للنّعالِ من أعدائي

وكان اهتمام الشاعر الأردني مُنصبّاً على مأساة القدس من الناحية الدينية من أجل حفز الهمة وإثارة الشعور الديني كما هو الحال عند يوسف العظم في قوله:(٣)

لقد جرعنا كؤوسَ الذل مترعةً　　　والقدسُ في العارِ والمحرابُ والحرمُ
والصخرةُ اليومَ باتت غيرَ شامخةٍ　　　لأنّ نجمةَ صهيون لها عَلَــــمُ

---

(١) نزيه القسوس: يوميات حزيران، ص٥٥-٥٦.
(٢) عيسى الناعوري: أناشيد أخرى، ص٦٢.
(٣) ديوان الانتفاضة، ص١٤١.

ووجود الطغاة في القدس ذلٌ وهوان على مفرق العروبة عند الرفاعي:[1]

والطغاة الطغاة في حرم القدس أباحوا رحابه وأغـــاروا
وعلى مقعد العروبة ظـــلٌّ من هوان وفي المفارق عارُ

ويحسُّ القارىء لأبيات أحمد نصرالله صورة القدس المؤلمة:[2]

تغيبُ الشمسُ يا أقصى وفي المحرابِ أحزانُ
وفوقَ المنبرِ المأســورِ أهاتٌ وأشجـــانُ
وقلبُ الصخرةِ الدامي يعربدُ فيه سكـرانُ
وفي الساحاتِ والأرواح أغرابٌ وعجمـــانُ
وقهقهةٌ وسخريـــةٌ إذا ما نـــاحَ آذانُ

وها هي الصخرة عند محمود الروسان تحكي للحرم المكيّ بأسى وحزن ماحلّ بها ؛ وتبث شكواها بعد أن عاث العلجُ فيها فساداً :[3]

ما ترى الصخرة تحكي للحرم بأسى مرٍّ وحزن وضـــرم
كيف يفري موطنَ المهد الألـمْ ويعيثُ العِلجُ في سهل وغاب

ومن الشعراء الذين شاركوا في وصف القدس: مآذنها وقبابها ومآسيها، حيدر محمود الذي كتب قصيدة بعد حرب حزيران بمناسبة الذكرى الثالثة لاحتلال القدس ويخاطبها قائلاً:[4]

يا قدس
لا يحزنكِ غيبةُ الأذان
وغيبةُ المصلين عن المساجد

(١) عبدالمنعم الرفاعي: المسافر، ص١٤٣.
(٢) أحمد نصرالله: لعينيك يا قدس. ص١٢.
(٣) جميل بركات: فلسطين والشعر، ص٢٧٣.
(٤) المرجع نفسه، ص٣٢٨.

يا قدس، لا يرهبك هذا الصمت

فإنّه خلفَه يلتهبُ البركان

في أعينِ الذين من أعينِهم يخافُ الموت

يمُرّ هذا الليل ... مثل غيرِه يمرّ

ويرحلُ الأعداءُ ... يرحلون

ويلتقي على رباكِ المؤمنون

يلتقون في صلاة الفجر

يتضح من هذا أن الشعر الأردني تناول مأساة القدس من الزاوية الدينية إذ عرض الشعر لما حلّ بها من تدنيس وإثم على أيدي الصهاينة، ولا غرابة في ذلك فالصراع مع الصهيونية صراعٌ دينيٌ حضاري، كما هو صراعٌ قوميّ أيضاً.

وكانت السياسة الصهيونية تهدف من وراء أعمالها في القدس طمسَ معالمِ الحضارة العربية الإسلامية، وهذا تؤيده الحفريات المستمرة، والتفجيرات داخل أسوار القدس، وإشعال النيران في منبره، وغيرها من الأعمال الوحشية.

وعرض بعض الشعراء الأردنيين صورة فلسطين الأم والذكرى، وسنوات الطفولة قبل الاحتلال، وقد مرّت بشرائط ذكرياتهم، فأخذوا يرددون هذه الذكريات والأيام الحلوة، كما يحسّ قارىء شعر هذه الفترة بمدى الحب والحنين والذكرى العطرة، والعلاقة الحميمة، والتناغم بين الشاعر ومحبوبته فلسطين بعد الاحتلال.

ففي قصيدة راية في الريح للشاعر محمد القيسي يتناول مرارة الغربة وفراق الأهل ويستعرض ذكرياته في فلسطين، فيقول:[1]

يعذبني الغيابُ فكيفَ يا أهلي تغربتم

عن الليمون والتين

وعن عشّ الحساسين

(١) محمد القيسي: الأعمال الكاملة، ص٥٦.

عن الزيتونة التي حفرتُ على أغصانها أسمى محبتكم

أما عبدالمنعم الرفاعي فله قصيدة بعنوان «عام» نظمها بعد مرور عام على نكسة حزيران ١٩٦٧، مصوّراً حزنه العميق وهو يذرف الدمع كلّما مدّ بصره نحو القدس:[1]

أذرفُ الدمعَ وجفني كلّما ... ملأ الدمعُ حواشيه سقاني

وأمدُّ السمعَ في الأفقِ فما ... غيرُ همسٍ وبقايا عنفوانِ

وظلالٌ ذابلاتٌ حولنا ... من شذى القدسِ وريّا عسقلانِ

وعلى إثر الاعتداءالوحشي على القدس عندما عمد مجموعة من الإرهابين والمجرمين الصهاينة على دخول الحرم القدسي الشريف عام ١٩٨٢، وأطلقوا الرصاص على المصلين فسقط عشرات الشهداء داخل الحرم، تناول عدد من الشعراء هذا العمل الإجرامي وصوّروا فظاعته، منهم دلال الخالدي، وهي من خلال استغاثاتها بتكرار: الله أكبر يا عرب، تعبّر عن مدى حزنها، وتدعو أهلها العرب للأخذ بالثأر، وعرضت صورةً مؤثرة: الدماء تُسفك على الثرى، الأشلاء تتناثر، النيران تُضرَم، الرصاص يدوّي ... في قولها:[2]

الله أكبر يا عربْ ... في قدسنا اشتعل اللهيبْ

الله أكبر يا عربْ ... في أرضنا فتك الغريب

فإذا الرصاص زلازل ... والنار تضرمُ بالمشيب

سفكوا الدماءعلى الثرى ... في ساحة الأقصى الرحيب

فتناثرت أشلاؤهم ... تشكو رحى العنف المريب

وتساقطت أطفالهم ... تروي صدى الجُرمِ الرهيبْ

---

(١) عبدالمنعم الرفاعي: المسافر، ص١٠٣.

(٢) دلال الخالدي: الأقصى الجريح، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٧،ص١٣-١٤.

كما تكررت بعض أوصاف العدو الصهيوني وهي صفات تقليدية نحو: الثعالب، الوغد، العلج، الأنذال، الدخيل، السجّان، الغول، الباغي ...[١]

مما مرّ يتبين أن الشعر الأردني عرض صوراً من مأساة الأهل في فلسطين وخارجها؛ إذ صوّر المعاناة التي يعانيها أبناءُ الشعب الفلسطيني داخل (إسرائيل): القتل، النفي، التشريد، حياة السجون والزنازين الانفرادية .. كما صور حياة البؤس والخيام التي يعيشها أبناء فلسطين خارج وطنهم. ورسم الشعر صورة للقدس الحزينة، وما تقاسيه من عذاب وقهر من قوات الاحتلال، وأبرز حادثة إطلاق النار علي المصلين في الحرم القد سي وقتل عشرات الأبرياء، وصوّر الشعر كذلك قباب القدس حزينةً متوقفة عن الأذان، بعد أن داس الصهاينة أركان الأقصى وأماكن العبادة فيه بأحذيتهم القذرة.

٢-استنهاض الهمم والإصرار على النضال لاسترجاع الوطن السليب:

إن مهمة تحرير الأرض المغتصبة مهمة لن يقوم بها إلاّ أصحاب الهمم العالية، الذين لا يبالون بالموت، ويصرّون على النضال، ومقاومة الأعداء، فاسترجاع الأوطان المغتصبة لا يتم بالتمني، وإنما يتم بشحذ الهمم والمشاركة الفعّالة في ميادين القتال، يؤيدهم حقّهم، وعدالة قضيتهم التي ينافحون عنها مهما طال الأمد.

وقضية فلسطين واحدةٌ من قضايا العالم التي يقف فيها الحق عارياً وجهاً لوجه أمام الباطل المستند إلى القوّة والظلم والعدوان. من هنا كان لا بد للشاعر أن يقف مع بني قومه، وهو يرى بأم عينه أعمال العدو الوحشية، منافحاً عن فلسطين بشعره الرافض الذلّ والخنوع، ويحث على القتال وحفز الهمم إلى أن ينتصر الحق العربي في فلسطين ويندحر الباطل الصهيوني ومساندوه.

والملاحظ على الشعر (الحزيراني) بعد النكسة أنه انطبع في فتراته الأولى بطابع الإحباط، وفتور الهمة بعض الشيء في الغالب، وهذا طبيعي فالصدمة

---

(١) ينظر للتمثيل على مثل هذه الصفات، محمد القيسي: الأعمال الكاملة، ص٦٤. عبدالمنعم الرفاعي: المسافر، ص٧٢.

كانت عنيفة اجتثت كل ما قيل منذ نكبة ١٩٤٨، واكتفى الشعراء بالصراخ والعويل، وعرض صور من مآسي الاحتلال. ومن الذين عرضوا صورة النكسة واكتفى بعرض أوضاع العرب، عطاالله أبو زياد في قوله:(١)

ونكّستُم الراياتِ دونَ ارتفاعها وأمعنتم هدفاً وقصرتم دعمـــاً
أصابعكم دقت بآذانكم وهـــل عويل المآسي السود يستنهض الصُّما

ومن الشعراء الأردنيين من يستغرب الإغضاء عن الجراح، وفلسطين في الأسر تستجير ، والنساء يصرخن، والخيول تفتقد فرسانها(٢)

أفأغضي والجراح استنزفت أرض آبائي ومهواي ومهدي
تستجير العهد من حطيّنها ثم ترتد على أوهن عهــد
بالصيحات السبايا هتكت ربقة الرق وفكت كلّ قيــد
الخيول استنفرت فرسانها والمواضي من يمانيّ وهنـدي
عودة للحومة الكبرى التي تردِ الأبطال فيها خيــر ورد

ويبدو خالد محادين متأثراً بمرارة الفاجعة، فاعتراه الحزن والتشاؤم، وما من منقذ أو مُخلّص:(٣)

مضى عامٌ، ولم ترقصْ على شفتيكَ أغنيةٌ.
وما مرت بهذا الساحِ يا ولدي حكاياتٌ.
مضغنا كلَّ ما فينا من الأحزانِ والشكوى.
ولم نشبعْ:
مضى عامٌ وما زلنا على الأبواب أشباحاً
وما جفت بأعيننا دموعُ الحزنِ لم تتعبْ

(١) أفكار، العدد ٦٥، تموز-آب ١٩٨٣، ص٣٣.
(٢) عبد المنعم الرفاعي: المسافر، ص٧٢-٧٣.
(٣) خالد محادين: الأعمال الكاملة، ص٢٦-٢٧.

ولم تمتدّ بالمنديل لو كفٌّ ضبابية.

وصورة النكسة التي دمرّت كل شيء ولّدت عند الشعراء إصراراً قوياً على الاستمرار في القتال، فالشاعر بعد أن قال:[1]

لكن النكسة لم تترك في البلدة لو غصناً من زيتون.

لو قطرةَ ماء........لو حبةَ نور.

لو خيطَ ضياء

لو خفقةَ حبٍّ وحنان.

لو طيرَ سلامٍ أو حسّون

بعد أن قال ذلك نراه أمام هذا الإحباط مُصرّاً أن يجتاز المرحلة المؤلمة، وأن يبدأ دورته من جديد بإصرار وتفاؤل وأمل، ويبدو ذلك في قوله:[2]

همُو قتلوا لك الأهلا.

وهم قتلوا لي الطفلا.

فمدّ يديك ولنبدأْ

بغير الموتِ والرشاشِ والنّبال والمدفع.

نظلُّ نلوبُ يا ولدي، ويُغلقُ دونَنا المرفأْ.

وهذا أديب نفّاع يحفزُ قومَه ويحثُّهم على استعادة الكرامة المفقودة، فيقول:[3]

بالله ياقومي أفيقوا وانظروا	فمصابنا قد فاق كلّ مُصاب
ماذا دهانا والبلايا جمـــــةٌ	أنظل نعدو خلف كل سراب
إن لم نثر في غضبة مضرية	سنظل رهنَ مهانةٍ وعذابِ

---

(١) المصدر السابق، ص٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٦.

(٣) أديب نفاع: قلبي عليك يا وطن، دار الكرمل، عمان، ط١، ١٩٨٨، ص٤٦.

وعدم نسيان الوطن، ومحاولة الشاعر ترداد ذكرياته الجميلة، تدفعه إلى الإصرار والثأر والتضحية من أجله؛ لأن صورة الوطن ماثلة بين عينيه لا تفارقه:[1]

فلن ننساك يا وطني
فما زال الوميضُ يُشعُ في الأحداق
وميضُ الرفض والإصرار والثورة
وما زال المشرّدُ في الطريق إليك يا حلمي ولن يثنيه
عذابُ الغربةِ المرّة
لأنك فيه أنتَ الروح، أنت الوهجُ والفكرة.

ثم تستعر جذوة التحدي والتصميم على القتال عند فايز التلاوي بقوله:[2]

أ قتلونا .... مزقوا أطفالنا
عذبونا .... شرحوا أكبادنا
ستشرب أرضنا يوماً..... من عبير دمائنا
وبذورنا .... يوماً ستنبت .... قصة من عارنا
وتثمر يومها .... من الزهر المضمخ بالشرف

وهذه قصيدة لأديب نفّاع يحث الأمة العربية على القتال وتجريع العدو كؤوس المرارة أقتطف منها هذين البيتين:[3]

ثوري على كل غازٍ مسّ تربتها   وجرّعيه كؤوس المرّ والألـــــم
وسطّري صفحاتِ المجد مشرقةً   وحققي النصرَ حلواً ثابت القدمِ

---

(١) محمد القيسي: الأعمال الكاملة، ص٦٦.
(٢) فايز التلاوي: بيروت تصرخ، مطبعة الصفدي، عمان، ص٢٥.
(٣) أديب نفاع: قلبي عليك يا وطن، ص٦٠.

ويبرز عنده التصميمُ على النصر حتى ولو عُلّق على أعواد المشانق:[1]

قد أقسموا أن يستعيدوا أرضَهم   حتى ولو رُفِعوا على الأعـواد
لن يسمحوا للمعتدي أن ينتشي   في الفوز أو في بهجةِ الأعيادِ

أما حبيب الزيودي فالقدس همّه الأول، حبُّها يسري في دمائِه، ويبدو إصرارُه في قوله مخاطباً القدس:[2]

يا قدسُ، يا وجعاً يعربدُ في دمي   مالي من الوجع الثقيلِ دواءُ
لا تيأسي لا بدَّ لي من جولـــةٍ   أخرى ومهما امتدت الظلماءُ
ليَ عندَ مسجدِك المهشمِ موعــدٌ   وعلى رباكِ الطاهراتِ لقـاءُ

ويؤكد الشاعرُ الأردني على أن الأمَة العربية إذا خسرت جولةً فإنِ الجولاتِ كثيراتٌ، وستبقى رايةُ الجهاد مرفوعةً، إلى أن يتمّ الحسمُ في جولة قادمة:[3]

ولتعلمْ إسرائيل أن أرضنـا   هي روحنا، هي قبلة الأنظار
فإذا خسرنا جولة فأمامنـــا   جولاتنا عربية الأقطـــــار
سنظل نمتشقُ الحسامَ لعودةٍ   لربوعنا، لترابنا، للـــــدار

وهذا ما يؤكده نزيه القسوس فيقول إنّ حتمية النصر في المعركة للعرب، وهو يوم تشيب لهوله رؤوس الفتيان، في يوم تنقضّ الأمةُ على العدو كالنسر الكاسر:[4]

ستشيبُ رؤوسٌ لم تشبِ
وتحيلُ الأرضَ إلى لهبٍ
بالجيش الحربي اللجب

---

(١) المصدر السابق، ص٤٢.

(٢) حبيب الزيودي: الشيخ يحلم بالمطر، شقير وعكشه للطباعة والنشر، عمان، ٩٨٦، ص٨٨.

(٣) أديب نفاع: قلبي عليك يا وطن، ص٣٧.

(٤) نزيه القسوس، يوميات حزيران، ص٧٠.

بالزحف الغاضب كالبركان.

والكوارث والأزمات هي التي تولد الثورةَ والتحرير، ولن يخبوَ نارُ المعركة مهما كانت جرائم العدو قاسية. ومثال ذلك ما حلّ بعمواس وهي قرية على الخطوط الأمامية هدمها الصهاينة بعد كارثة حزيران، ومع ذلك نلمح التصميم والتأكيد على متابعة النضال بعزيمة لا تلين، وفي ذلك يقول محمد القيسي:[(١)]

من الرماد يولد الرجالُ ياعمواس
من السقائفِ المهدمة
ترابُك المجبولُ بالدماء ما يزالُ مزهراً
يظلُّ يحمل الشذى
عمواسُ يا معذبة، عمواسُ يا مهدّمة
الرمحُ بعد ما انكسرْ

إنّ قوة الحق، والإصرار عليه أقوى من تطاول المتجبرين:[(٢)]

لا تخافي أن تستقرّ ذئابُ الذلّ ... يوماً على عروش الغابِ
إنّ في الغاب يا فلسطين أسداً ... سوف تحميه من غزاةِ الذئابِ
إن تكوني عزلاء فالحقّ أمضى ... من سيوفٍ مسنونةٍ وحرابِ

ويخصّصُ تيسير عطاالله بعضاً من قصائده في ديوان« قصائد من الخندق » لرسم صورة واقعية من حرب حزيران للجندي الأردني الذي قاتل ببسالةٍ على أسوار القدس حتى سقطَ شهيداً، ووَفْقاً للأعراف العسكرية قام العدو بدفنِهِ وأجرى له مراسيم عسكرية تقديراً لبطولته، وقد نشرت وسائل

(١) محمد القيسي: الأعمال الكاملة،ص.٧.
(٢) عيسى الناعوري: همسات الشلال، مطبعة الشرق، عمان، ط١، ١٩٨٤، ص٢١.

إعلام العدو ذلك[1].

أردني عربي النسب

عسكري في سلاحي عُرفا

باسل أبدى بطولة

في ثناء السور في القدس القديمة

في لهيب الشمس والنار المحيطة

رغم رمي القاذفات

ودويّ الطائرات ، وهجوم الكاسحات

وعندما نفذ عتاده:

لفظَ الشهادةَ وانحنى فوق السلاح

أخذَ الحريقُ عرينه ... سقطَ الشهيدْ

ومن الشعراء من تناول صورة الشهيد والشهادة، وذكر التكريم الذي يناله الشهيد الذي قدّم روحه رخيصة في ميدان الوغى. ومن هنا كان الواجب على الآخرين أن يأخذوا العبرة، ويُقدِّموا كما قدّم القواد الأوائل من أبطال فلسطين كعبد القادر الحسيني[2]

عهدٌ عليك وفَوْحُ عطـــرِك أوّلُ   أن لا تنامَ على الجراح القسطلُ

تلك الدماءُ على ضفافِ سفوحِها   سيظلُّ يرفدُها الجهادُ فتُجــزلُ

فالظاهريةَ والجليلَ ويعبـــدُ   تزهى وغزةُ هاشمٍ والكرمـــلُ

ومواكبُ الشهداءِ ما طوتِ المنى   من جحفلٍ إلاّ وأقبلَ جَحْفَـــلُ

ويؤكد حيدر محمود على أن الحرية لا تسقى إلاّ بدماء الشهداء، لذلك يخاطبُ أهلَه الذين يتمسكون بكل ذرة من ترابها، ويطلبُ منهم أُن لا يتركوا

---

(١) تيسير عطاالله: قصائد من الخندق، مديرية المطابع العسكرية، عمان، ط١، ١٩٨٤، ص٢١.

(٢) عبد المنعم الرفاعي: المسافر، ص١٤٥.

تراب الوطن نهباً للغرباء[1] :

يا أهلي، ضمّوا الأرضَ إليكم

ضمّوها لا تدعوها نهباً للغرباء

ضمّوها ... حبةُ رملٍ فيها

أغلى من كلِّ كنوز الكرة الأرضية

ياأهلي، شجر الحرية ... لا يسقى إلاّ بدماء الشهداء

أما محمد القيسي فيبدو مندهشاً ممن يصمّون آذانهم عن نداء الجهاد[2]

فكيف أصمُّ أذاني وأقعد عن نداء الأرض والشهداء

وفي عينيّ إصراري

وشاهدة كتبت حروفها من جرحي الناري

لتُرفع فوق قبري رايةً في الريح

« فلسطينية أرضي».

وعندما تضجُّ الأرضُ بصورة الموت اليوميّ، نرى عبد الرحيم عمر يدعو إلى الثورة التي تلد العواصفَ والرعود[3] :

عِيل صبرُ الأرضِ بالموت غُدُوّاً ورواحاً

فلِدي يا ثورةَ الأرضِ رعوداً ورياحاً

أمّا اليوميات الحزيرانية التي ظهرت عند كلٍّ من عبد الرحيم عمر، وخالد محادين فصوّرا فيها بشكل موجز الحالة قبل حزيران النكسة وبعده.

---

(١) حيدر محمود: الأعمال الكاملة، مكتبة عمان، عمان، ١٩٩٠، ص٣٩٣.

(٢) محمد القيسي: الأعمال الكاملة،ص٥٩.

(٣) عبد الرحيم عمر: تيه ونار، ص٥١.

فقبل حزيران في الرابع منه:[1]

أيّها السادةُ ما ضاعت فلسطين، وما ماتت منانا

والجماهير التي عشرين عاماً كابدت ذلّ التشرد

عرفت معنى التمرد

وعلى ليل قرانا، شعلة تومئ للدّ ويافا والجليل

ولتاريخ جليل، أبداً نمهره غالي دمانا.

ويؤكد على حتمية اندحار العدو مهما تمادى، وتجاوز حدّه [2]:

فليكن إن حشدوا كل سلاح في الوجود

ثم إن غالوا لبعض الوقت أوطانَ الجدود

فاطمأنوا سيداتي ..... سادتي

أمسنا الدابرُ ولّى .... لن يعود

ويتابع الشاعر سير المعركة يوماً بيوم، ويحفز بني قومه على الصمود والقتال، ولكنه سرعان ما يفاجأ بهول النكسة فيكتفي بإرسال بطاقات الاطمئنان عبر وسائل الإعلام، نحو[3] :

أنا اسمي منتهى عبد الكريم

من أهالي الجلزون، أنا في عمان

من عشرين يوم، أسكنونا في مخيم

فاطمئنوا أخوتي

هذه الدنيا حبتنا بالخيام

حيثما كنا فلا بدّ وأن نلقى مخيم

(١) انظر عبد الرحيم عمر: الأعمال الكاملة، ص١٧٤. قصيدة يوميات من حزيران. وخالد محادين: الأعمال الكاملة، قصيدة من مذكرات شهيد، ص١٠٨.

(٢) عبد الرحيم عمر: الأعمال الكاملة، ص١٧٥.

(٣) المصدر نفسه، ص١٨٠.

طمئنونا عن أبي ياأخوتي، وختاماً

ألف شكر للإذاعة !!

وبعد فترة غير قصيرة نرى أن الشاعَر يشحذُ همتَه من جديد، ويدعو إلى التفاؤل وعدم الاستسلام، والتفاعل مع قضية أهله بإيجابية فاستطاع أن يطرد الروح الانهزامية بقوله:[1]

إنهم إن هزمونا

وبَنَوْا فوق ذرى القدس حصونا

وأحالوا أرضَنا مستوطنات وسجونا

فهُمُ لن يفعلوا أكثرَ من (رينولد) أو ريتشارد فينا

إنّهم أنْ هزمونا فهم لن يقهرونا

وفي نبرة خطابية، مباشرة في التعبير، أكد أبو فراس النطافي على المواجهة لتحرير المغتصب من أرضنا، ورأى أن الأمة لا بد أن تستجيب لنداء الأرض وسيعود الثائر العربي إلى أرضه هادماً الحواجز بسلاحه وأن الأرض باقيةّ على الرّغم من أعمال الصهاينة الإجرامية[2]:

لا بدّ من هدم السدود فــلا أرى ... بين الأحبة مانعاً لجيـــادي

لبيك إني عائدٌ فترقبـــــــي ... عَوْدي إليك بعدّتي وعتادي

سأعودُ ياأمي وأهدمُ حاجـــزاً ... بيني وبينَكِ شامخَ الأطوادِ

أتون ياأمي لهيباً محرقـــــاً ... يكوي فؤاد الغاصب الجلادِ

لا يستطيعُ البطشُ وقفَ تقدمي ... مادامَ كفي ممسكاً بزنـادي

لا تحسبيني غائباً لا تُرتجـــى ... ليَ عودةٌ لأحبتي وبـــلادي

---

(١) عبد الرحيم عمر: قصائد مؤرقة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ٩٧٩، ص١٠٢-١٠٣.

(٢) ديوان الانتفاضة، «قصيدة للشاعر أبي فراس النطافي»، ص٥٩- ٦٠.

وكان الشاعرُ الأردني يرى في بداية حركة المقاومة الفلسطينية بداية انطلاقة التحرير، والبذرة التي لابد أن تتفتق عن مرجٍ من السنابل ممتلئة ثورة ونضالاً، ولذلك كثرت النماذجُ الشعرية الأردنية التي تمجِّدُ الحركةَ لأنها رأت في هذا العمل الثوري الطريق الصحيح نحو العمل الجادّ. فهذا حيدر محمود يقول عند اشتداد ساعد المقاومة في الأرض المحتلة:[1]

زغردن يابنات للأبطال

ومُرُّ ... واثق الخطى بُنَيّ مُرّ

وطاولِ التلالَ، عزةً

زغردن يابناتُ للذين يصنعونَ الفجر

ياربِّ كُنْ مع الرجال

كن مع الذين يصنعون الفجر.

والشاعر نفسه عام ١٩٧٩، يُعبِّرُ عن اشتدادِ حركة المقاومة، وإعجابه بها قائلاً:[2]

اطلع الآن سيفاً جديداً

وكفّاً جديداً

وقنبلةً يدوية

تفتح الصُّبح

للذاهبين إلى موطن الأنبياء

كما نرى الشاعر الأردني يُمجِّدُ الجنديَّ الأردني المغوار؛ لأنه رمز البطولة، والأمل الباقي في تحرير الأرض، ولا عجب بعد أن ظهر للعيان، دورُ الجندي الباسل في جميع معاركه التي خاضها بضراوة. وما معركة الكرامة إلاّ دليل

(١) جميل بركات: فلسطين والشعر، ص٢٣٢.

(٢) حيدر محمود: الأعمال الكاملة، ص٢٩٠.

صدق على التحام الجيش العربي والمنظمات الفدائية في أخوة حقيقية حتى استطاعا السيطرة على مجريات المعركة، ودحر العدو الغاصب، ولهذا كان إعجاب الشاعر بالجنديّ الأردني. يقول عبد الرحيم عمر مخاطباً الجنديَّ الأردني الذي أسقط أولَ طائرة (إسرائيلية) بعد حزيران:[1]

يا أيّها الجندي يا رمزَ البطولة والإباء
إنْ رُوِّع الأطفالُ في الوطن الجريح فمن سواك؟
يُرجى لمسح جراحهم وإذا النساءُ نادت وأعياها النداء
من يردعَ الغازين عن وطني سواك
سلمت يداك

وعلى العموم، ظهرت في الشعر الأردني بعد فترة النكسة بقليل صورةُ الشاعر المحبط الذي فقد الأمل في استرجاع ما اغتُصب من فلسطين، إلاّ أنه سرعان ما استجمع قواه مرة أخرى، وشحذَ الهمةَ، داعياً إلى مواصلة القتال، ومصمماً على الثأر. وهذا ما نلمسه في القصائد التي ظهرت بعد معركة الكرامة، وحرب تشرين عام ٩٧٣، والانتفاضة الفلسطينية. هذه المناسبات القومية التي شعرَ بها المواطن العربي بشيء من الزهو، مما دفعه إلى نبذ التشاؤم وأنّ النصرَ ليس بمستبعد إنْ أرادَ الشعبُ ذلك. ويمكن إيضاح الموقف التفاؤلي بعد فترة من حزيران بموقف خالد محادين الذي يقول[2]

قد تسقطُ من أجنحة النُّسر الريشة
لكنَّ النُسرَ يظلُّ النُسرْ
أبداً كالقمة فوق القمة
وأنا يا قدسُ، النُسرُ المطعونُ
وأنا طفلُك نَسْرُك يا قدسُ

(١) عبد الرحيم عمر: الأعمال الكاملة، ص١٥٨.
(٢) خالد محادين: الأعمال الكاملة،ص٤٦.

لم أُسْلِمْ للريحِ جناحي

حتى تولدَ فيك الشمس

٣- **الوحدة العربية:**

شكَّل الوطن العربيّ منذ أقدم الأزمنة رقعة واحدة، ولم يعرفِ العرب التجزئة إلاّ في عصور التخلف والهوان، في العصور المتأخرة، إذْ تكونت دويلاتٌ متنافرةٌ نتيجةً عواملَ سياسةٍ فرضتها قوى الاستعمار التي رأت أنَّ مِن صالحها تفتيت الكيان العربي إلى دويلات لتَسهلَ السيطرةُ عليه وامتصاص خيراته الطبيعية.

لكنَّ أبناءَ الوطن العربي حتى في أحلكِ ظروفِ حياتِهم سرعانَ ما يتوحدون أمام الأخطار، فتنتقلُ بين أقطار الدولة العربية لا ترى سدوداً وحواجزَ مصطنعة، فكان العربيّ يسيرُ من المحيط إلى الخليج، كما يسير الأردني داخل الأردن، والسوري داخل سورية. أما هذه الجنسية الضيقة كقولنا: أردني، لبناني، مصري، فلسطيني .. فلم تُعْرفْ إلاّ بعد الحرب العالمية الأولى حين فرض الاستعمارُ التجزئةَ على بلاد العرب وأقام بينها حدوداً مصطنعة.[1]

والأردن من البلدان العربية التي دعت إلى العمل العربي المشترك، وسعت إلى الوحدة، ولا عجب في ذلك؛ فالثورة العربية الكبرى التي قادها شريف مكة ثورةٌ تتطلعُ إلى توحيد الأمة العربية ضمن نطاق الدولة الواحدة، لكنَّ هذا الأمل الحلم سرعان ما تبدّد بلجوء الاستعمار إلى تفتيت الدولة العربية وتجزئتها إلى كيانات منفصلة بات من الصعب إعادة بناء الدولة الواحدة إلاّ بجهد جماعي، وإدراك عميق بأهمية الوحدة في ضوء المستجدات العالمية الجديدة.

والأردن -كما قيل سابقاً- سار على درب الوحدة منذ تفجر ثورة العرب الأولى، يؤيد هذا ما قاله الدكتور عبدالرحمن شقير:[2]

(١) انظر عمر الدقاق: الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث «نقلاً عن محاضرة للدكتور، محمد منيف الرزاز ألقاها في الكويت» ص٢٧٨.

(٢) عبدالرحمن شقير: حقائق وأهداف من خمائل الشعر، مطبعة التوفيق، عمان، ط١، ١٩٩٢، ص٤٦.

وعبدالله في الأردن نادى　　بأعلى صوته أن لا نحيدُ
فإنّا قد حملنا العبءَ يوماً　　وما زلنا له بدمٍ نجودُ

والوحدة أمل راود شعراء العرب، والشاعر الأردني يردد هذا بقوله:(١)

رضعتُ حُبَّ بلاد العرب من صغري　　فأصبحَ الحبُّ يسري في شراييني
وليس حب بلادي مانعي أبـداً　　من أن أُحِبَّ شعوبَ الهندِ والصينِ

وأمام الصراعات الخطيرة التي شهدتها الفترة ما بين ١٩٦٧-١٩٩١ نجد أن من بين هذه المضامين التي تكررت في الشعر الذي يدعو إلى الوحدة العربية: نبذَ الفرقة بين أقطار الوطن العربي، الدعوةَ إلى الوحدة العربية، الوحدةَ سبيل العرب إلى تحرير فلسطين، مشاركةَ الدول العربية بعضها بعضاً في أفراحها، التركيز على أن الحدود المصطنعة من صنع الاستعمار والصهيونية ..

وتناول الشعر الأردني -الداعي إلى الوحدة- جانباً مهماً وهو رصّ الصفوف ومواجهة التحديات التي تتعرض لها الأمة العربية، فالاتحاد الخطوة الأولى لتحرير الأرض التي عاث فيها ذئاب الغدر فساداً، ينشبون أظفارهم في الأرض العربية:(٢)

لا لَنْ تعودَ إذا لم نتحدْ فيكُن　　على الطغاةِ كسيفٍ ما به قِصَرُ
بالاتحادِ أيا قومي لنا أمـلٌ　　وبالتفرُّقِ بين الناسِ نُحتقَـرُ
يا قوم إن ذئاب الغدر منشبة　　أظفارها ولها في أرضنا وطرُ

والاتحاد عند عبدالرحمن شقير أمر ضروري بين الأقطار العربية لأنه ينهي المصائب التي حلّت بالأمة العربية، وكم كان حزيناً على اختلاف أمته:(٣)

---

(١) المصدر السابق، ص٦٦.
(٢) محمود مهيدات: اتجاهات شعراء شمال الأردن، ص١٦٥.
(٣) عبدالرحمن شقير: حقائق وأهداف من خمائل الشعر، ص٦٨.

إن اتّحاد القُوى ضد العدو غـدا — أمراً ملّحاً لشعبٍ غيرِ متّحدِ
قَوْمي وكم أنا أشجاني اختلافكمو — بالأمسِ لو أنتموفكرتمو بغدِ
قومي اتحادكمو ينهي مصائبكـم — فلو عقلتم لأمسكتم يداً بيـدِ

وكثيراً ما دقّ الشعر الأردني ناقوس الخطر محذراً من التفرقة التي تشتت جهود الأمة:[1]

يا عُرب، حسبكمو بالله تفرقـة — فقد غدونا كقطعانٍ من الغنمِ
يا أمتي طال عهدُ النوم فانتبهي — فقد تمادى علينا الخصم بالظُلمِ

وبعدها يطلبُ من أبناءِ أمتِه أن يتوحدوا في وجهِ الأعداء، فلن ترقى الأمة إلاّ بوحدة الصف:[2]

ووحّدي الصفّ في وجهِ العدا فغداً — بوحدة الصفّ نرقى عاليَ القممِ

وهذا المعنى يكرّرهُ علي الزعبي الذي يرى أن الوحدةَ تصنعُ النّصرَ كما في يوم الكرامة:[3]

وليس بغير وحْدتِنـا — نعيدُ الأهلَ للدارِ
ونصنعُ فجَرنا المرجـ ـوّفي يومٍ كـآذار

والشعرُ الأردني ميّالٌ إلى الوحدة بطبعه حتى وإنِ كانت وحدة جزئية بين شعبين من شعوب الأمة العربية كالوحدة الأردنية-الفلسطينية، وفيها يقول يوسف العظم:[4]

---

(١) أديب نفاع: قلبي عليك يا وطن، ص٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٠.

(٣) قاسم محمد الدروع: أدبيات معركة الكرامة، عمان، ١٩٩٣، ص٧٢.

(٤) المرجع نفسه، ص٧٢.

وحدةٌ بالدّمِ الزكي تجلّت　　　وإخاء لن ينْقِضوا إبرامـــه

كلُّ من رامَ صفّنا بشتاتٍ　　　سوفَ يلقىٰ واللهِ منّا الندامة

وتفرح الشاعرة عائشة الخواجا الرازم بمناسبة قيام مجلسِ التعاون العربي بين مصر والأردن والعراق واليمن فتقول:[١]

من فجرِ عمّانَ جاءتنا سرايانا　　　مرفوعةَ الرأس حلّ الزهوُّ ألوانا

هذي رحابُ الفِدا شُدّت بأربعةٍ　　　في كلِّ زاويةٍ قلبٌ ليرعانـــا

تلوحُ أذرعُهم يأتي لنا بهـــوىً　　　حتى نلوّحَ للأقصى بيمنانـــا

والوحدة عند نزيه القسوس مطلب العربِ الأكبر، وبغيرها لن نحقق النصرَ على الأعداء، متحديا العالَم كلّه على أن لا تكونَ هناك حدودٌ وهميةٌ بين الأقطار العربية:[٢]

الوحدةُ مطلبُنا الأكبـر　　　وبغيرِ الوحدة لن نثأرْ

فشعوبُ الأرضِ العربية　　　تتحدى كلّ البشريـــة

من غير حدود وهمية ......

ويحثُ الشاعرُ حيدر محمود أبناءَ الأمة العربية على الوحدة؛ لأنهم لو ائتلفوا لزلزلوا الكونَ، لكنّهم بتفرقهم يسيرون من تيهٍ إلى تيه، ومن هوان إلى هوان:[٣]

يا ألف مليون مخلوق لو ائتلفوا　　　لزلزلوا الكون قاصيه ودانيهِ

لكنهم أمم شتى مقطعـــــة　　　أوصالها فهي من تيه إلى تيهِ

ومن هوان على الدنيا وأنفسهم　　　إلى هوان وإذلالٍ وتسفيـــهِ

(١)　عائشة الخواجا الرازم: الأردن في الفكر والوجدان، دار الخواجا للنشر، عمان، ط١، ١٩٩٠، ص٢٩.

(٢)　نزيه القسوس: يوميات حزيران، ص٥٠-٥١.

(٣)　ديوان الانتفاضة، ص٩٦.

ويتغنى محمود الروسان بها فهي الضياء، والحياة:[1]

عشت أهواها ضياءً في المقل

وهي روحي، وحياتي والطلاب

وكذلك يستغرب من أن العرب رغم الجرح الغائر من احتلال الصهاينة للأقصى لا يفكرون في الجهاد ولا في الاتحاد:[2]

العرب تحمل هذا الجرحَ صامتةً فكيف تصبرُ من آلامه العربُ

فلاهُمُ اتّحدوا بل أصبحوا فِرَقاً ولا تفجّرَ صوتُ الثأرِ والغضبُ

والفرقة سبب في أوجاع الشاعر عطالله أبو زياد:[3]

فيا قومُ قلبي موجعٌ بمواجعي كُظِمتُ وما أصبحتُ أحتملُ الكظما

لنلقِ بأسبابِ الشقاقِ وويلها فهل من عُرىً إلاّ وعاشت بها فَصْما

ومصيبةُ أيةِ دولةٍ عربية مدعاةٌ للشاعر الأردني أن يشاركَ فيها، ويتفاعلَ معها، ومثال ذلك ما حلّ ببيروت، وبغداد، ودمشق، والقدس .. وفي هذا المعنى يقول عيسى الناعوري:[4]

يا فلسطينُ لستِّ وحدَكِ في الميدان إن الإخوانَ في ميدانـــك

لا تراعي، كلّ العروبة أضحـــت عند هذا الجهادِ من أعوانك

ومن الشعراءِ الأردنيين من تغنّى باجتماع القادةِ العرب في مؤتمرات القمة العربية،فهذا الشاعر أديب نفّاع يعبّرُ عن فرحهِ بمناسبة مؤتمر القمة العربي الذي عقد في فاس، وفيه اجتمعت مع القادة العرب قلوبُ الملايين من

(١) جميل بركات: فلسطين والشعر، ص٢٧٤.

(٢) محمود مهيدات: اتجاهات شعراء شمالي الأردن، ص١٥٧.

(٣) أفكار، العدد ٦٥، تموز -آب ١٩٨٢،«قصيدة للشاعر عطالله أبو زياد»، ص٢٣-٣٤.

(٤) عيسى الناعوري: همسات الشلال، ص٢٨.

أبناء الأمة العربية:[1]

«يا فاسُ» حطّمي صخرةَ الأحقادِ وأزيلي حاجزَ فرقةٍ وبعـادِ
وأعيدي للعربِ سماءً صافيـــاً بلقاء قادة أمتي وبـــلادي
قد أدركوا أن التباعدَ خِنجـــرٌ قد غاصَ بالأحشاء والأكبـادِ
وتيقنوا أن الخلافَ معــــاولٌ هُدمتْ صروحَ العزِّ والأمجادِ

ومن أمثلة ذلك ما قاله عبدالمنعم الرفاعي في مؤتمر القمة العربي في أيلول ١٩٦٧.[2] وكذلك ما قاله عيسى الناعوري في قصيدة: عمان أخت الرباط وغيرها.[3]

إلا أن الشاعر يؤكد حتمية الوحدة العربية لأنها مطلب جماهيري بها نستطيع استرداد حقوقنا المغتصبة، ونعيد أمجادنا الغابرة:[4]

إن آجلاً أم عاجلاً نفدي الحمى ونسير خلف جحافل الآســادِ
ونوحدُ الصف القويّ بهمـــةٍ ونزيل ما فينا من الأحقــادِ
ونثورُ ثورةَ أمةٍ عربيـــــةٍ فيها القضاءُ على قوى الأوغادِ

من هذا يظهر أن الشاعر الأردني يرى الوحدة طريقاً إلى النصر، وطريقاً إلى الخلاص وهو يتطلع إلى اليوم الذي تُطوى فيه الأعلام والحدود، والذي يصبح فيه الشعب العربي قابضاً لزمام أمره، يَظْهرُ هذا في الموضوعات التي تناولها في شعره كالتركيز على وحدة الوطن العربي منذ القدم، وسخط الشعراء على التجزئة وعوامل الفرقة، مبشرين بدولة عربية واحدة من المحيط إلى الخليج، وهو يوم آتٍ -بإذن الله- لا محالة مهما طال الزمن، أمام واقع لا بقاء فيه إلاّ للتجمعات الكبرى، والاندثار والزوال للدول القطرية الأحادية.

(١) أديب نقاع: قلبي عليك يا وطن، ص٤٣.
(٢) انظر عبدالمنعم الرفاعي : المسافر ،ص٧٩.
(٣) انظر عيسى الناعوري: أناشيد أخرى، ص٦٦.
(٤) أديب نقاع: قلبي عليك يا وطن، ص٤٢.

٤- نقد الحكام والشعوب:

أصابت نكسة حزيران عام ١٩٦٧ المواطن العربي بخيبة أمل عظيمة، وهزّت كيانه القومي بعد أن اعتقد أن نكبة ١٩٤٨ لن تتكرر ثانية، وهو يسمع كلّ يوم من خلال وسائل الإعلام المختلفة أن النصر آتٍ، ولن تعود الايام المريرة وغير ذلك من شعارات كثيرة كانت مرفوعة في البلدان العربية المختلفة.

إلاّ أن المواطن العربي أدرك أن كلّ ما ظنه ماء لم يكن إلا سراباً خادعاً، فكانت نكسة حزيران التي ألقت بظلالها الشاحبة على كل شيء، ومن ذلك الشعر الأردني،فافقدت النكسةُ الشاعرَ توازنه النفسي الذي عبّر عن قلقه بعد النكسة بطرق مختلفة.

ولهذا سادت في الشعر الأردني موجةٌ من الغضب، والنقد اللاذع للحكام والشعوب، فأخذ الشاعر يلقي اللوم على الحكام الذين تخاذلوا عن نصرة فلسطين وعرضوا في شعرهم شتى صنوف الظلم والاستبداد، وبينوا مفاسد بعض الزعامات، كما أنهم رأوا أن وسائل الإعلام كانت من أهم أسباب تردي الأمة،ومن بين الأسباب التّي أدت إلى الهزيمة أنها كانت ترفع شعارات جوفاء خالية من المضامين العملية.

كما نقَدَ الشاعرُ الشعوبَ العربية التي كانت تركن إلى الدَّعة والراحة على حين أن العدو الصهيوني كان يعمل ليل نهار في سبيل تحقيق غاياتة، وأكد الشاعر في نقده حقيقة أن النصر ليس ملازماً الكثرة العددية، وأنّ الدموع التي تذرفها على ضياع الوطن لا تفيده شيئاً ما لمْ تعمل على تقويته بشتى الوسائل.

ومن الشعراء من نقد الأوضاع العربية السلبية التي تركز على اجترار الماضي، والاعتزاز بما فعله الآباء والأجداد، دون أن يعملوا لأمتهم شيئاً، وأكدوا أيضاً أن الكلام لا يجدي نفعاً، وأنّ من أسباب ضعف العرب أنهم يتكلمون أكثر مما يعملون، فانقطعت الصلة بين لغتهم وتفكيرهم حتى هانوا وذلّوا.

كما مال بعض الشعراء إلى النقد القاسي، فلجأ إلى الشتم والسبّ

والقدح وتخصيص النقد إلى شخص بعينه. والنقد في كل ذلك يواكب الأحداث المتنامية فكلما تعرضت الأمة إلى الهزائم كان نقد شعرائها أكثر إيلاماً، ويخفُّ النقد السلبي في حالات النصر أو ظهور ما يردع العدو، لأن النقد يسير مع واقع الأمة سلباً أو إيجاباً

إلاّ أن الشاعر وهو ينتقد وضعاً أو حاكماً أو شعباً كان همُّه الإصلاح لا الإحباط وكان هدف النقد اللاذع التقويم لتبصير الأمة على عيوبها من أجل إصلاحها.

ومن شعرائنا الأوائل الذين واكبوا هزيمة حزيران حسني فريز فيقول:[1]

عارٌ أن نُغْلب في يونيو

عارٌ أن نبقى مغلوبين

العارُ العارُ يجلّلنا

والأرضُ تضِجّ بمحنتنا

ثم يوجِّه نقده إلى أبناء أمته محذراً من عاقبة المصير:[2]

يا قومُ كفانا خذلانا

يا قوم كفاكم بهتانا

الويل لكم مما كانا

والويل القادم يغشانا

وبعد أن وقعت النكسةَ راحَ بعضُهم يبكي على واقع الأمة، فجاء الشاعر الأردني خالد الساكت ليقول لهم: كفّوا عن البكاء الذي لا يجدي نفعاً، ولن يعيد ما احتُلّ من الأرض:[3]

(١) حسني فريز: هياكل الحب، الجزء الثاني، ص١٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ص١٦١.

(٣) خالد الساكت: المخاض، عمان، ١٩٨٧، ص٧٦.

هل الشمس التي ترتدُ للظلمة

هل الدمعَ الحماسيَّ الذي إن جاش

يَروي تربة الوطنِ المكبل

طعنة في ظهر من وقفوا

بوجه التيهِ والعتمة

وترتفع نبرةً نقده المؤلمِ لواقع الأمة التي أضحكت أفعالُها الأمَمَ الأخرى، وهي أمةٌ ضعيفة، تفرُّ من المعركة قبل بَدْئها، وصارت أعمالها السيئة ظاهرة للعيان:[1]

(يا أمة ضحكت من عارها الأمُم)

وجيشها قبل بدء الحرب ينهزم

أضحت رصيفاً معرّى فخذها علمُ

وللعدو إذا ما هلّ تبتسمُ

ومما نقده الشاعر الأردني: إحياء الحفلات، موائد الخمور، الوعود الكاذبة، الشعارات والبيانات الكاذبة، وللتمثيل على ذلك، هناك قصيدة للشاعر خالد محادين تذكر ذلك، يقول:[2]

يا صديقي لستُ أرجو المعذرة

نحنُ شعبٌ يتقنُ الرصفَ وتنميقَ الحروف

وأحاديثَ المصاطب

نحن شعبٌ لا يحارب

إلى أن يقول:

نسأل العالَمَ عن خبزٍ وعن عودةٍ نسأل

وبأيدينا البطاقة .. وبأيدينا السيوف

غير أنّا لم نعد نتقن غير الرصفِ والنظمِ وتنميق الحروف.

---

(١) المصدر السابق، ص٧٩.

(٢) خالد محادين: الأعمال الشعرية، ص٥٤.

ويوجه الشاعر عطالله أبو زياد نقده إلى الشعوب العربية عامة دون تخصيص، لأنه رأى الهزيمة التي حلّت بالأمة العربية ليست من تقصير طرف دون طرف وإنّما هي مسؤوليةٌ قوميةٌ مشتركة:[1]

فيا عرباً يندى جبينُ زمانِهم ... بهم قد ملأتم صدرَ أمتكم غمّا
ونكّستم الراياتِ دونَ ارتفاعِها ... وأمعنتمُ هَدْماً وقصّرتمُ دعماً
أصابعكم دُقّتْ بآذانِكم وهلْ ... عويلُ المآسي السودِ يستنهضُ الصُّمّا؟

أمّا الماضي فهو عزيزٌ ولا مانع من التغني به على أن لا يكونَ على حساب واجبِنا القومي تجاه الأجيالِ العربية القادمة، إذْ من العيب الركونُ إليه، ونتكاسل أمام العدو الذي احتلّ الأرض، وليس علينا إلاّ أن نقابل كلّ هذا بالشكاوى والتنديد بأعمال العدو من خلال الصُّحفِ : (٢)

مازلنا أحفادَ الماضي
والمجدَ الكائن .. في الماضي
ووعوَد الزحف .. إلى الوطن
وعدّو اللهِ برصاص الغدر يجندلنا
فنقدمُ شكوى .. (أمنيّة)
وتزمجرُ صُحُفٌ عربية .. بسباب السخطِ الورقية.

وبيّن نزيه القسوس بعض عوامل الضعف منها أنّ العرب اهتموا بقشور الحضارة دون لبها، وانْكَفَوْا على الراح والليالي الملاح، واكتفَوْا بالأقوال دون الأفعال:[3]

وبقينا نمضغها الكلمات
نجترُّ قشورَ النظريات

(١) أفكار، العدد ٦٥، تموز -آب، ١٩٨٣، ص٣٢.
(٢) نزيه القسوس: يوميات حزيران، ص٣٨.
(٣) المصدر نفسه، ص١٠-١١.

نبني أبراجاً عاجية

ونخوضَ حروباً وهميةً بسيوفِ الشِّعر الخشبية.

ويقارن الشاعر بين حالة الشباب في الوطن العربي والكيان الصهيوني؛ فشبابنا مالوا إلى التقليد الأعمى في الوقت الذي مال أبناءُ صهيون إلى البناء والتدريب، ففي الوقت الذي يقضي فيه شبابُ العرب لياليهم في الصالات، نجدُ أن بناتهم تبني الاستحكامات للمقاتلين:[1]

وبنات عدوي المنحرفات

تبني في أرضي الاستحكامات

وشباب بلادي في الصالات

يتلقف أخر تقليعات

ومن المقارنات اللطيفة عند عبد الرحيم عمر، أن الإذاعات كانت قبل المعركة تطلق الشعارات الرنانة، وإرسال السلامات عبر (البث المباشر) إلى الأهل في بلاد الضياع[2]

ومن الأمور التي تعرّض إليها شعر ما بعد النكسة: حب الزعامات، الحفاظ على المناصب، ويظهرذلك في قول عيسى الناعوري من قصيدة بعنوان: جراح حزيران ألقاها سنة ١٩٦٩:[3]

الزعاماتُ يا جريمةَ قومي   مزّقت أمتي شظايا فناءِ

بـــين أهـــوائها المفرقـةِ   تلمّستُ في المذلةِ دائـــي

كما أنّ الشعارات هي سببُ البلاء:[4]

والشعاراتُ؟ أيَّ عمرٍ أضاعت   في اللجاجات والحديث الهراء

(١) المصدر السابق، ص٢٥.

(٢) ينظر عبد الرحيم عمر: الأعمال الكاملة، ص١٧٥-١٧٦.

(٣) عيسى الناعوري: أناشيد أخرى، ص٦٢

(٤) المصدر نفسه، ص٦٢.

وهذا المعنى نجده مكروراً في قول الشاعر حيدر محمود:[١]

وبُحَّ صوتي هتافات وأدعية   عساه يرجع لي يوماً عظام أبي

وكذلك نجده في قول نايف أبو عبيد:[٢]

نجـــترُّ شعاراتٍ هَزَلت   والقـول بـلا فعـلٍ يخـدعْ

أما الإذاعاتَ العربيةُ فكانت أبواقاً صاخبةً كاذبة، ترفعُ شعاراتٍ وتصدحُ بأهازيجِ النّصرِ فأوهمت الأمة بالنصر القريب؛ حتى إذا جاءت المعركةَ ولّوْا هاربين:[٣]

والإذاعات ياطبولَ الأكاذيب   تُدّوي صخابةَ الأصداءِ

هدهدتنا على حريرِ الأماني   بدويِّ البطولةِ الجوفاء

أوهمتنا أنّا مع النصرِ لا بـدّ   على موعدٍ قريبِ اللقاء

وأتى اليومَ .. فالوعيُد فـرارٌ   من لقاءِ العدوِّ كالجبناءِ

ومن الشعراء من نقد في العرب كثرتهم العددية لكنّهم في الحروب قليلون، فما العبرةَ إلاّ بالعزمِ والتصميم لا بالكثرةِ فحسب:[٤]

ستكونون كثيرين .. كثيرين .. كثيرين

ولكن .... لا أحد

وستمتدون (مثل الموج) في كلِّ بلد

ثم ترتدون (كالاسفنج)

ووضع عيسى الناعوري يدَه على موضعِ الداء عندما بيّن أن هزيمتنا كانت من كثرة الخصام بين الدول العربية، إضافةً إلى ذلك فقد استبدلوا الهزل

(١) ديوان الانتفاضة، ص٤٣.

(٢) المصدرنفسه، ص١٦٠.

(٣) عيسى الناعوري: أناشيد أخرى، ص٦٢.

(٤) حيدر محمود : الأعمال الكاملة، ص١٢٨-١٣٠.

بالجد، ولو أنهم سعوا إلى الجهاد بعزيمةٍ صادقة لما كان بإمكانِ الصهاينة أن يطأوا أرضنا:[١]

أترانا من قلةٍ قد هُزمنـــا　　أهُزمنا من كثرةِ الفُرقاء

بَدلَ الجد كان يهزلُ قومـــي　　ويرَوْن الحروبَ بالادِّعـــاء

ماالصهيونَ أن تدوسَ حمانا　　لو رأت عزمةً وصِدقَ بلاءِ

كما يعتذِرُ حيدر محمود للأقصى بأن لا يصدِّقَ أبناءَ العرب إذا ما قالوا له إنهم سيفدونَه، مؤكداً على أنّ العربَ ما هُم إلاّ غثّاء كغثاءِ السيل بل هم كالزبد فيقول:[٢]

لا تصدقنا .. إذا قلنا سنأتيك، لنفديك

فلن يأتي أحد ..

وإذا امتدت يدُ الهدم

فلن تمتد كي تبنيك من هذي الملايين التي تهدر يد

لا يغرنّك العدد

فهو (ياأقصى)

غثاء كغثاء السيل، لاوزن له

وهو .. زبد !!

أما أحمد نصرالله فيلجأ إلى الشتم بتكرير تبّاً بعد أن رأى أن الناس غرقى في ملذاتهم يَجْرونَ وراء شهواتِهم وبطونِهم، تاركين شعبَ فلسطين يرزح تحت وطأة الظلم بين الصّلبِ والحرقِ والسجن:[٣]

الناس في كل الدُّنى من حولهم يتلذذون

---

(١)　عيسى الناعوري: أناشيد أخرى،ص٦٢.

(٢)　حيدر محمود: الأعمال الكاملة،ص١٢٩.

(٣)　أحمد نصر الله: لعينيك ياقدس،ص١٧-١٨

الناس غرقى في الموائد واللذائذ والبطون

وهناك أهلي يصلبون ويحرقون ويسجنون

تباً لعصر فيه قومٌ للمذلةِ يركعون

وللهزيمةِ يسجدون

لا حسّ عندهم ولا يستنكرون

تباً لمن لدمائهم ولأرضِهم ولعرضِهم لا يثأرون

وعلى الرّغمِ من نداءاتِ الأقصى، ومرارة النكسة، لم تستطع هذه النداءاتُ أن تثيرَ فيهم إحساسَ النخوة؛ لأنّهم يغطُّون في سباتٍ عميق، وإذا ما أفاقوا ليس عندهم سوى الشجب والبلاغات والتصريحات النارية:[1]

تستغيث الأرضُ .... والأقصى ينادي

فمتى تصحو بدنيا العرب أمجادٌ ونخوة

ثلث قرن لم توحّدْنا الجراح

لم يثرْ (خالدٌ) لم يغضبْ (صلاح)

هل سنبقى في سباتٍ في نفاق ونفار وشتات ؟؟

بين تصريحٍ يُدوّي وخطابٍ واجتماع

واتّفاقٍ واختلاف

وفلسطينُ أسيرة !

وأخذت زيارةُ السادات للقدس في الثامن من تشرين الثاني عام ١٩٧٧م ودخوله المفاوضات (كامب ديفيد) مع إسرائيل جانباً من النقد السياسي في الشعر الأردني، من ذلك ما قاله إبراهيم زيد الكيلاني[2]

---

(١) المصدر السابق: ص٣٤.

(٢) مختارات الشعر الحديث في الأردن، ص٣٣. وانظر في المعنى نفسه حسني فريز: هياكل الحب، الجزء الثاني،ص١٥٩. وقصائد مؤرقة: عبد الرحيم عمر، ص١١٨.

سَقَطَ الربانُ في أوحالِهِ لاهثاً خلفَ خسيسِ المطلبِ
ينشدُ السِّلْمَ رخيصاً بائعاً ساحَةَ القدس ومعراجَ النبي
شعبُه جاعَ فهل تشبِعُهُ وِقفةُ الذلِّ بباب الأجنبي

وإذا ما أحسّ الشاعر الأردني بما يحيي أمله ويعيد ثقته بنفسه كظهور العمل الفدائي أو ماحققه الجيش الأردني في معركة الكرامة، أو اشتعال انتفاضة الحجر وغيرها، نجده يوجه النقد إلى الحكام بوصفهم عائقاً أمام استمرار الوحدة العربية. فعند تشكيل منظمة العاصفة يقول القيسي:[1]

اخفضوا الأصوات، خلّوا الساحَ خلواً
لتمرَّ العاصفة
فالهتافات وأزهار الوعود
لم تكن إلاّ ظلالاً زائفة
حان دور العاصفة.

ولأن أديب نفاع كان همه قومياً، لم يوجه نقده لحاكم أو شعب بعينه وإنما وجّه لومَهُ للعرب كافة فيقول:[2]

ياعربُ واللهِ غدونا أمةً كلّ الشعوب لحالنا تتهكّمُ
ماتت عزائمُنا ونام كفاحُنا ولدى المحافل نشتكي نتظلمُ
هذي هي حال العروبة أمرها يدعو إلى الأسف الشديد ويؤلمُ
سيظل يجمعنا خلافٌ قاتلٌ أسيافُنا من خلفِنا تتكلّمُ

ويقول إنّ الخلاف سبب تفرق كلمة العرب، فإن بقينا على هذه الحالة سنجد (شالوم) لغة وطننا العربي. ولا أدري هل تحققت نبوءة الشاعر في هذه

---

(١) محمد القيسي: الأعمال الكاملة، ص٧٦-٧٧.
(٢) أديب نفاع: قلبي عليك يا وطن، ٧١.

الأيام بقوله:[١]

هذا يكيد وذاك يلعن غيرها والخصم يبني مجده ويُدعّم

فإذا صحونا بعد نومٍ نسمعُ (شالوم) في أوطاننا تتكلمُ !

ومن الشعراء من نعى نفطهم الذي ساهم في تقوية العدو، وأضعف الموقف العربي كما عند حيدر محمود[٢]. ومنهم من نعى على العرب توسدهم السلاح فراحوا يغطون في سبات عميق، ونَسَوْا أن هناك أرضاً مغتصبة بعد أن تأكد العدو من أنّ سلاح العرب الوحيد البكاءُ والنشيج:[٣]

لمن تُدقُّ هذه الأجراس يارفيق

وحارس البوابة اللعين أحكم الرّتاج

وليس من سلاحنا إلاّ النشيج

وبعض قادتنا يثأرون لنا جهراً، لكنهم يطعنوننا من الخلف، كما أنّهم أسود علينا إلاّ أنهم في الحروب مع أعدائنا ضعاف أذلة:[٤]

يُسَوَّدُ فينا كلّ يوم منافق يثور لنا جهراً ويطعننا سراً

إذا واجهوا المحتل لانت قناتُهم وإن واجهونا أعملوا الناب والظفرا

ونسكتُ مغلوبين حتى كأننا قطيعٌ من الأسرى بعزته أزرى

ويؤكد عبد الرحيم عمر على أنّ أمة كالأمة العربية لم تُهزمْ هذه الهزيمة الساحقة لأنها غير قادرة على (إسرائيل)وإنّما السرّ يكمن في خيانة بعض العرب الذين نصبوا لها شركاً فوقعت فيه:[٥]

---

(١) المصدر السابق، ص٧١.

(٢) انظر حيدر محمود: الأعمال الكاملة، ص١٣٧.

(٣) عبد الرحيم عمر: الأعمال الكاملة، ص١٨٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٣٥.

(٥) المصدر نفسه، ص١٨١.

أيّ سرّ كان في ليل الهزيمة

أيّ شَرَكٍ كان من خلف الجريمة

لم نزل نحمله، لم نزل نجهله

لم نزل ننكره لولا جراح راعفة.

من كل ما مرّ نرى أن الشعرَ الأردني المتعلق بنقد الحكام والشعوب بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ يركز على حقيقة أساسية هي أن العدو الصهيوني كان يقابل دولاً بجهودها الفردية، منها من كان مخلصاً في المواجهة، ومنها من كان غير ذلك.

وكان العرب يقابلون الأحداث الجسيمة بشيء من الحماسة في بداية الأمر، ثم ما تلبث بالتناقص شيئاً فشيئاً إلى أن يخبو بريقها بعد ذلك.

ومهما يكن من أمر «فبعد نكسة حزيران توجهت القصيدة العربية إلى السياسية، وهيمنت عليها مفردات الحزن والكآبة وجلد الذات، وتوزيع، الإدانات، وأمعن الشعراء في الصراخ والشتيمة، حتى غدت القصيدة الأكثر شعبية وشيوعاً هي القصيدة الأكثر بكاءً وصراخاً وتعنيفاً أي القصيدة السياسية المباشرة التي تنفس عن هموم المواطن العربي الذي تشظت مشاعره جرّاء الشرخ النفسي الذي سببته النكسة»[1]

٥- نبرة الحزن والتشاؤم في القصيدة الحزيرانية:

لم تكن نكسة حزيران حدثاً عادياً، لهذا وجد المثقف العربي نفسَه وحيداً أمام هذا الزلزال الحقيقي الذي هزّ بنية الفكر والأدب هزّاً عنيفاً، ووجد نفسه أمام صور فظيعة من المأساة التي خلفتها حرب حزيران .

أمام هذا الواقع المؤلم والهزيمة التي لم تكن عسكرية فحسب، وإنّما كانت ثقافية واقتصادية وحضارية، تأثر الأديب العربي، وتفاعل مع الحدث، وهذا ما

(١) قاسم الدروع: أدبيات معركة الكرامة، ص٢١.

حصل مع الشاعر الأردني الذي واكب النكسة منذ بداياتها الأولى بحكم العلاقة القوية بين أبناء الضفة الشرقية والغربية، وأحسّ بشعور قومي قويّ وهو يرى أمام ناظريه صور المأساة من تشريد واحتلال وإجرام ....

كل هذه الأسباب جعلت الشعر الأردني يواكب هذه الأحداث، ويسجلها شعراً بحسرةٍ ومرارة؛ لأن الشاعر ابن بيئته، وظروفه، إضافة لما يتمتع به الشاعر الأردني من شعور قومي عميق تجاه أمته العربية.

كما يمكن أن يضاف إلى ذلك أن لحزيران طعماً خاصاً بالنسبة للعرب الذين اكتووا بنارالنكسة وبالتالي «أدت الهزيمة إلى نشوء حالة عامة من الانكسار في مستويات الاتجاه القومي كافة»[1]

وبالتالي «فإن المتتبع لاتجاهات الشعر بعد نكسة حزيران عام٩٦٧، يمكنه القول إنّ الشعر في معظمه كان حزيناً قانطاً يقطر أسى ولوعة على هذه الهزيمة التي حلّت بالأمة العربية»[2]

وتبدو النبرة الحزينة في عددمن القصائد الأردنية التي أعقبت النكسة فحزيران رقم محفور في الوجدان، وفيه ذكرى مُرّة عند نزيه القسوس: [3]

الخامس من شهر حزيران

رقم محفور في الوجدان، ببلادي يحترق الإنسان

للذكرى المرة... للخذلان

والشاعر عبدالرحيم عمر ترك الفرح إذ ترك فلسطين ولم يعد له عيد بعد النكسة:[4]

أحبائي، نشرت على الصخور البيض يوم رحلتُ أحلامي

---

(١) فهمية شرف الدين: الثقافة والايديولوجيا في الوطن العربي، دار الآداب، بيروت، ط١، ٩٨٣، ص٨١.

(٢) قاسم الدروع: أدبيات معركة الكرامة، ص٢١.

(٣) نزيه القسوس: يوميات حزيران، ص٤٤

(٤) عبدالرحيم عمر: الأعمال الكاملة، ص١٦٠.

ولم أرجع وما لملمت أحلامي

فمالي بعدكم عيدُ

وحزيران جرح غائر في الكبرياء، ونشيدٌ مُرُّ المذاق:[1]

من حزيران في فؤادي جرح غائر في الصميم من كبريائي

ونشيدي مرّ المذاق وملحٌ في لهاثي قصائدي وغنائي

وفي قصيدة لخالد محادين بعث بها إلى محمود درويش تظهر نبرة الحزن واضحة لما حلّ للعرب في حزيران ففي قلبه كثبان من الحزن، وانطفأت أغاني الفرح على شفتيه كما أنه توقف عن الكتابة، فيقول:[2]

فمنذُ الخامسِ الأسود

وفي قلبي من الأحزانِ يامحمودُ كثبانُ

وأوراقي بكفّ الرّيح ما زالت

ولم تخضّر أغنيةٌ على شفتيّ سجّان

ولم أسكب على الأوراق يامحمودُ لو قطرة

تسطّرُ في المدى فكرة

وجرحي لم يزلْ أخضر.

والذي يظهرُ من خلال القصائد التي كُتبت بعد نكسةِ حزيران أن معظم مضامينها متأثرة بالهزيمة، مغلّفة باليأس والتشاؤم والغضب من الوضع العربي السائد قبل الهزيمة. كما جاء الشعر حزيناً يظهر ذلك عند معظم الشعراء الأردنيين منهم: محمد القيسي، علي البتيري، محمود الشلبي، عزالدين المناصرة، وليد سيف، خالد محادين، عبدالرحيم عمر، وغيرهم.[3]

---

(١) عيسى الناعوري: أناشيد أخرى، ص٦٢.

(٢) خالد محادين: الأعمال الكاملة، ص٢٢.

(٣) ينظر عبدالفتاح النجار: التجديد في الشعر الأردني، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، =

ثانياً: حرب تشرين عام ١٩٧٣م:

تمثل حرب تشرين عام ١٩٧٣ مكانة خاصة في تاريخ الصراع العربي-الصهيوني نظراً لأنها الحرب التي كسر فيها العرب -لأول مرة- قاعدة إسرائيلية ألا وهي القاعدة التي عرفت بـ(أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يهزم).

كانت(إسرائيل) بعد ١٩٦٧ تنظر لنفسها على أنها القوة الوحيدة في المنطقة، وكان ظنها أن العرب لا يملكون تغيير مبدأ (القوة الإسرائيلية)، بعد أن استطاعت في حرب حزيران أن تبسط نفوذها على الضفة الغربية، والجولان وسيناء، وبعض الأراضي الأردنية، لكنها فوجئت في العاشر من رمضان عام ١٩٧٣ بحربٍ خاطفة إذ استطاع الجيشان: المصري والسوري تحطيم خط بارليف الحصين وعبوره في ست ساعات على ما فيه من تحصينات قتالية. وإنّ في سقوط هذا الحاجز دليلاً على قدرة المقاتل العربي إذا توافرت له فرصةٌ خوض معركة حقيقة.

ومن الجدير بالذكر أن الجيشين العربيين لم يبقيا وحدهما في المعركة فلقد تحمل عبء القتال معهما قواتٌ من الجيوش العربية التي سارعت لدعمهما كالقوات العراقية والجزائرية والمغربية والسودانية والفلسطينية والليبية...

« أما القوات الأردنية فقد اشتركت في الجولة الأولى بلواء مدرع على الجبهة السورية واشترك في التصدي لمحاولات الاختراق الإسرائيلية في الأسبوع الثاني ووضع لواء آخر مدرع في المعاونة المباشرة»(١).

أضف إلى ذلك، تدعيم الوحدة الوطنية والقومية في مصر والعالم العربي واستخدام النفط لأول مرة في معارك العرب، وإثبات فعاليته كسلاح

= إربد، ط١، ١٩٩٠، ص٩٥. وأمينة العدوان: دراسات في الأدب الأردني المعاصر، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، ١٩٧٦.

(١) مجلة المستقبل العربي "مقالة لعبدالمنعم خليل بعنوان حروب مصر المعاصرة"، ط١، ١٩٩٠، ص٢٤١. ويمكن الاطلاع على الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني (ج-ش)، ص١٩١.

هام ضد العدو[١].

ولقد كشف بعض قادة الصهيونية أهمية هذه المعركة، ومن ذلك ما قاله (إبراهام كاتزير) رئيس دولة إسرائيل عام ٩٧٣: "لقد كانت إسرائيل تعيش فيما بين(٩٦٧-٩٧٣) في نشوة لم تكن الظروف تبررها، بل كنا نعيش في عالم من الخيال لا صلة له بالواقع، وهذه الحالة النفسية هي المسؤولة عن الأخطاء التي حدثت قبيل الحرب، وفي الأيام الأولى منها".[٢]

ولو تتبعنا الأثر الذي أحدثته هذه المعركة في الشعر الأردني- مقارنة مع الشعر العربي في مصر وسورية- لوجدناه ضعيفاً، ولما وجدنا سوى بضع قصائد تتغنى بالمعركة باعتبارها حدثاً قومياً.

وكما يبدو لي أن قلة القصائد التي قيلت في حرب تشرين عام ١٩٧٣ يرجع إلى عدة أسباب منها:

- أن الأردن لم يكن طرفاً مباشراً في هذه الحرب، فاقتصرت مشاركته على إرسال قوات رمزية على الجبهة السورية في الجولان.
- لم يتم التنسيق بين قيادتي جيش مصر وسورية من جانب وقيادة الجيش الأردني أو أية دولة عربية من جانب آخر حفاظاً على عنصر المفاجأة أو المباغتة في المعركة.
- لم تستمر الحرب مدة طويلة، فما هي إلاّ أسابيع، وتوقف إطلاق النار بين الطرفين، في حين أن العرب كانوا يعتقدون أنها حرب شاملة تهدف إلى التقدم بعد سقوط (بارليف)، وتحرير الأرض المغتصبة. ولهذا فالشعر يحتاج إلى مدة كافية حتى يتفاعل مع الحدث، وهذا مالم يتوافر في حرب خاطفة كهذه.
- نتائج هذه الحرب لم تكن بالمستوى المؤمل في استعادة الأرض التي

(١) انظر الموسوعة الفلسطينية، ص١٩٥، للاطلاع على قرارات وزارة النفط بتاريخ ١٩٧٣/١٠/١٧.

(٢) حسن البدري وآخرون: حرب رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٥، ٩٨٧، ص٣٢٣.

سُلبت عام ١٩٦٧، وإنما كان أثرها محدوداً على الجبهتين: المصرية والسورية.

ومع هذا رأينا أنّ القوات العربية كلّها شاركت في الحرب، وأنّ سلاح النفط استعمل كسلاح مؤثر، ولو استمرت الحرب مع التنسيق العربي-العربي، ووضعت قيادة عربية موحدة، لكان لها في الشعر العربي شأن آخر.

ومهما يكن من نتائج فإنّ هذه الحرب استطاعت أن تحرز عنصر المفاجأة وذلك بفضل التخطيط السليم إذ اختير عيدٌ من أعياد اليهود لشن الحرب، فاستطاعوا تحقيق النصر على العدو بمهارة قتالية عالية.

ومن المواقف التي تناولها الشعر الأردني في هذه الحرب ما يلي:

١- تمجيد الانتصار:

كان لمجريات حرب العاشر من رمضان عام ١٩٧٣ رنة فرح كبرى في العالم العربي والأردن بشكل خاص، ففي هذه الحرب استطاع الجيشان: المصري والسوري من التقدم نحو العدو، واستطاعوا تحطيم خط (بارليف)،تلك الأسطورة المزعومة التي روّج لها العدو بأنّ أحداً لا يستطيع اقتحامه.

ولقد كان الشاعر الأردني ينظر إلى حرب رمضان بكثير من التفاؤل في البداية، وبخاصة وقد اشترك فيها قوتان من أقوى الجيوش العربية مصر وسوريا، فأخذ يتغنى بالانتصار، ويمجد الأبطال الشجعان الذين وقفوا للعدو بالمرصاد وفي هذا يقول الشاعر إدوارد عويس بشيء من العفوية والسهولة:[1]

سكِرَ البارودُ على الجَوْلان
يا ضيعةَ قلبٍ لا يسكر
ودماءٌ تغلي في سيناء
ودماءٌ تروي في الصحراء
قمحاً.. أعناباً..زعتر
زحفاً..عصفاً.. قصفاً

(١) إدوارد عويس : رواء المساء، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، ط١، ٩٨٥، ص٨٤.

براً... بحراً... جواً

برصاص يصنع للأطفال

أمناً.. ألعاباً من سكّر.

وعيون تسكب في الجولان خمراً جنيّا للعسكر.

ومن الشعراء من ربط بين رمضان -شهر الصوم والعبادة- ورمضان التحرير والجهاد والنصر، وهو ربط له دلالته الدينية إذ جعل النصر مؤيداً من اللّه عزوجل؛ لأنها حربٌ بين كفر وإيمان:[1]

رمضانُ الخير بالخير أتانا	في تباشير المنى بالنصر جانا

نفحاتُ الله باليمن علينا	تتوالى في ليالي رمضانا

ويتغنى الشاعر بهذا النصر المؤزر في قوله:[2]

أمتي أنشودة النصر تعالت	حين قامت وتباهت في حمانا

ووعى العقلُ طريقاً للمعالي	زادَهـا الإيمانُ فيها عنفوانا

وتمشّت في شرايين بلادي	تصلُ العمقَ بأعماقِ دمانا

عجّم العيدانَ منا ورماها	بأذلّ الخلقِ طُراً قد رمانا

ويحاول الشاعر أن يربطَ هذا الحدث مع معارك الإسلام الخالدة فيقول:[3]

وبهذا الشهر كانت ذكريات	عن حروب خالدات في ثرانا

فيه بدر كسرت شوكةَ كفرٍ	رفعت لله أعلاماً حسانا

أما السبب في حث الأمة على القتال فهو في أن أعداء الأمة متغطرسون

---

(١) زكي محمد الخصاونة: من ظلال القضية، دار عمار، عمان، ط١، ١٩٨٨، ص٥٣.

(٢) المصدر نفسه ص٥٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٣.

جبناء، حاولوا إضعاف الروح المعنوية عند العرب، فجاءت هذه المعركة تعيد روح الجهاد وتحطم أسطورةَ الجيش الذي لا يُقهر:[١]

أمتي غطرسةُ الأعداءِ ديست   بعبيِّ الرعب هوى وكْساً جبانا

العِدا أسطورةٌ مرت علينا   قد كشفناها جهاراً وعيانــا

فـي جهـادٍ وقتـالٍ مستميتٍ   فـي دمٍ قـانٍ يـوازي الأرجوانا

كما أن الشاعرَ يطلبُ من أمتِه المحافظةَ على هذا النصر واستغلاله. والأمة العربية قادرةٌ على النصر مادامت تريدُ ذلك وتعملُ من أجله:[٢]

رمضان النصر للنصر ينادي   أمتي هيا احضني نصراً أتانا

إن طلبنا النصر حقاً انتصرنا   سدّد الله إلى النصر خطانا

وحول قهر الجيش الصهيوني، وإرجاع الروح المعنوية للمقاتل العربي، يخاطب الشاعر سليمان عويس الأمة العربية التي أنهت الأسطورة بقوله:[٣]

ويُسدلُ الستار

وينتهي مسلسلُ التتار

وتمّحي أسطورةُ الذين لا يقهرون

ومنذ ألفِ ليلةٍ وليلة لا يقهرون

من أعين الصغار.

كما استطاع الجيش السوري أن يثأر لما حلّ به في ميسلون مع الفرنسيين عام ١٩٢٠، فتهاوت طائرات العدو أمام أعين الأطفال، وأشرق نهار الانتصار:[٤]

---

(١) المصدر السابق، ص٥٤-٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٤-٥٥.

(٣) سليمان عويس: العنقود، ص١١٩.

(٤) المصدر نفسه، ص١٩٩.

وقبل أن تنام

عيونُ ميسلون

تساقطت مذبوحةً "حمائمُ الدمار"

في حضرة الصغار

وأشرقَ النهار....وأشرق النهار

ولقد أمدت هذه المعركة همم المقاتلين بقوة عظيمة، جعلتهم يحضُنون الرشاش ويتقدمون في المعركة دون خوف؛ لأنّ الحاجز النفسي حول تفوق جيش العدو العسكري تحطم أمام تأييد الله لهذا النصر، ثم إصرار المقاتل:[1]

خذ مكاني ، واصنع الفجر الذي تبغيه من فجرك

واحضن الرشاش من بعدي ووشح فيه صدرك

وإذا جاءك مثلي صوت جبار(تحرك)

فتحركْ ليس غير الله من يسطيعُ قهرك

ومن خلال أفعال الأمر المتلاحقة ظهر الشاعر مصمما على الاستمرار في الحرب بعد أن أحرز العرب النصر بقوله:[2]

أعلنوا الحرب على العادي الذي عاث في الأرض فساداً واغتيالا

أعلنوها شعلة لاهبة وليزدها الحقد وقداً واشتعالا

أعلنوها غضبة عارمة تذهل العادي وتجزيه الوبالا

ادخلوا الباب عليهم عنوة اسْمِعوا العالمَ إعوالَ الثكالى

ومن الشعراء من عرض للحرب الجوية والبحرية والبرية لأنها كانت حرباً شاملة تستهدف السيطرة على مجريات المعركة كلها:[3]

(١) المصدر السابق، ص١٢١.

(٢) حسن مبيضين، فوزي الخطبا: إبراهيم المبيضين حياته وشعره، ص١٩٢.

(٣) خلف خصاونة: المزاريب، (الديوان دون تعريف) ، ص٧٨.

ويوم الرَّدع تلقانا، نصافحُ رايةَ القدر

نعانقُ هامةَ القمر

وفوق مراكب الظفر لنا الغَلَبُ

وفي الجولان قد نصبوا مدافعَهم

وما رهبوا!!

٢- الدعوة إلى الوحدة والتضامن العربي:

أما المضمون الثاني البارز في شعر حرب تشرين فيتناول موضوع الوحدة العربية، والتضامن وهما مضمونان تجليا بوضوح في هذه المعركة سواءً في التخطيط على مستوى مصر وسورية أم على الصعيد العربي بشكل عام؛ ففي هذه المعركة برز التضامن العربي، ومشاركة الأقطار العربية في الحرب على الصعيدين العسكري والاقتصادي، مما أعاد للنفوس العربية المتعطشة للنصر زهوها وكبرياءها القومي.

لقد أدرك الشاعر الأردني أهمية الوحدة العربية بين كافة الأقطار فهو يخاطب أمته العربية بقوله:(١)

إن طلبنا النصر حقاً انتصرنا　　سدد الله إلى النصر خطانا

ومن الشعراء الذين أدركوا عمق الوحدة العربية وأهميتها إبراهيم المبيضين الذي خاطب أمته أن تجيب داعي الجهاد، وتنبذ الفرقة والخلاف بقوله:(٢)

انفروا قومي خفافاً وثقالا　　وأجيبوا داعي الله تعالى

أمتي طال التجافي والجفا　　بدل الخلف بخلف واستحالا

واستفاد الخصم من هذا الجفا　　وتمادى في التحدي واستحالا

واعترتنا فرقة محزنةٌ　　وشؤون وشجون تتوالى

كلما زاد التنائي بيننا　　زادت إسرائيل بغياً واحتيالا

(١) زكي خصاونة: من ظلال القضية، ص٥٥.

(٢) حسن مبيضين، فوزي الخطبا: إبراهيم المبيضين حياته وشعره، ص١٩٢.

ومعركة تشرين معركة تنادت إليها الدول العربية، واستعدت لتوالي زحفها حتى التحرير[١]:

أمة العرب تنادي للوغى أزمعت أن تحرز النصر الحلالا
واستعدت لتوالي زحفها ترتقي الحزن وتجتاح الجبالا

ومن الشعراء من تناول في قصائده رثاء الزعيم المصري (جمال عبدالناصر) الذي انتقل إلى جوار ربه في الثامن والعشرين من أيلول عام ألف وتسعمائة وسبعين، وتكرر ذكره في الشعر الأردني باعتباره بطلاً قومياً عربياً، ومن خلال رثائه أظهر عدد من الشعراء واقع الأمة العربية بعد أن حققت النصر في حرب تشرين عام عام ١٩٧٣، ومن ذلك القصيدة التي أهداها الشاعر إدوارد عويس وفاءً لذكرى القائد الراحل (جمال عبدالناصر) في غمرة حرب تشرين وذكر فيها بعض أعماله مثل: هدم الطغيان، وحماية الإنسان، وإقامة السد العالي، وإعداد الجنود للمعركة، فيقول:[٢]

تتعلّق أعصاب الدنيا
بفتى عربّي أسمر
هدم الطغيان...حمى الإنسان
أقام السد... أعدّ الجند
وغاب وما خبّر

وبعد حرب تشرين بسنتين نرى الشاعر وقد فقد إحساسه بطعم النصر الذي حققه العرب في تشرين التحريرية، فتحولت نبرة الخطاب القوية إلى نبرة حزينة مستعيداً أمجاد جمال بعد رحيله:[٣]

---

(١) المصدر السابق،ص١٩٢.
(٢) إدوارد عويس: رواء المساء ،ص٨٣.
(٣) سليمان عويس: العنقود، ص١٢٢.

قد طال نومُك يا جمالُ وجاءت الأنباءُ

صفراءَ واغتيل الرجاءُ وأُجهضت سيناءُ

واختال فوق جراحِها الوسطاءُ والبسطاءُ

لقد كان نبأ الانتصار عظيماً في حينه، إلا أنه في عام ١٩٧٦ بدا أثره باهتاً في قصيدة لسليمان عويس بقوله:[١]

وطني إخالك قد سئمتَ الشعرَ والنثرا

وإخال أنك قد سئمتَ ملامحَ الذكرى

نَهدي إليك بلا حياء مذابحاً كبرى

ونُعدُّ عُدّتنا لخوض هزيمة أخرى

من هذا كلّه نخلص إلى أن صدى حرب تشرين عام ١٩٧٣\بين العرب وإسرائيل لم يتضح بصورة كافية، ويمكن تعليل ذلك بالأسباب التي ذكرت سابقاً.

وظهرت في مضامين بعض القصائد القليلة التي نُشِرت معانٍ متفرقة كتمجيد البطولة العربية، التي أحرزت النصر في تشرين، وتجديد الحديث عن الوحدة العربية، كما ظهرت مضامين ثانوية كمدح القائد، ونقد الأوضاع العربية، إلاّ أن ألق هذه الحرب بدأ بالخفوت بعد عام ١٩٧٣ بسنوات قليلة.

---

(١) المصدر السابق، ص١٢٢.

ثالثاً: الحرب اللبنانية

على إثر نكبة عام ١٩٤٨، توجه معظم أهالي فلسطين إلى خارجها، إذ توجهت أفواج بشرية هائلة إلى الدول العربية المجاورة: كسورية ولبنان والأردن، الأمر الذي أدى بهم إلى الاستقرار في هذه الأقطار.

وللأمانة والتاريخ لقد عاش الشعب الأردني مع إخوته المهاجرين حياة تتسم بالحب والعطف، فشعر المهاجرون في الأردن أنهم بين أهليهم وفي ديارهم، وبذلك جسّد الشعبان الوحدة الحقيقية بكل ما تمثله هذه الوحدة من معنى.

كما توجه إلى سورية عدد من الفلسطنين فسكنوا مخيم اليرموك قرب دمشق، وتوجه إلى لبنان عدد لا بأس به، توزعوا على مخيمات في جنوب لبنان من سكان شمال فلسطين وقراه في صور وصيدا، وغيرها، وسكن بعضهم أحياء بيروت الغربية مثل: صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة.

وتشكلت في المناطق اللبنانية التي سكنها الفلسطينيون بعض القوات الفلسطينية بحكم الهدف الأسمى الذي يحاولون الوصول إليه، وهو الإبقاء على المجابهة مع العدو وعدم الاستكانة، لاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار احتلال الأرض الفلسطينية، والممارسات الصهيونية داخل فلسطين. وتوزعت هذه القوات حول المخيمات، والمدن الرئيسة، من الرشيدية جنوبي صور إلى الدامور والناعمة وبيروت، وكان هدفها القيام بعمليات فدائية داخل فلسطين متبعة أسلوب (اضرب واهرب) الذي كان له تأثير بالغ على العدو.

والتحمت الجماهير بالثورة، وقويت عرى المودة بينهما أي بين القوات الفلسطينية والقوات الوطنية اللبنانية، وأقاموا أولى القواعد الفدائية في الجنوب اللبناني التي كانوا ينطلقون منها إلى فلسطين.

إلاّ أنّ هذه المودة لم تُعمَّر طويلاً إذ انقلبت إلى حرب أهليّة بينهما بعد أن قامت القوات (الاسرائيلية) بعدة اعتداءات استهدفت ضرب المقاومة الفلسطينية داخل لبنان، وضرب مواقع حيوية في جنوب لبنان، وبدأ الانقسام

يأخذ شكل الحرب الأهلية بين القوى الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية من جهة و(الميليشيات) من جهة أخرى.

ولمّا وقعت الحرب التي استهدفت الفلسطينيين والقوات السورية العاملة ضمن قوات الردع العربية، والقوات الوطنية اللبنانية، تمّ (لإسرائيل) احتلال الجنوب اللبناني، وقصفت طائراتُها الأراضي اللبنانية، كما استطاعت (إسرائيل) بهذه الضربات الموجعة أن تذكي نار الفتنة بين القوات المتعددة، الأمر الذي أدى إلى الحقد وعدم الثقة من الأطراف المختلفة، وبهذا نجحت (إسرائيل) في بسط نفوذها على الساحة اللبنانية يؤيدها بعض القوات اللبنانية العميلة التي عملت معها جنباً إلى جنب.

١-خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت عام ١٩٨٢:

كان هدف (إسرائيل) من احتلال الجنوب اللبناني عام ١٩٧٨، هو الوصول إلى بيروت، وتدمير منظمة التحرير الفلسطينية، ولتحقيق هذا الهدف، شنّت حرباً موّسعة على بيروت استمرت ثمانين يوماً من ٤-حزيران وحتى الحادي عشر من آب عام ١٩٨٢، وأظهر الرجال مقاومة عنيفة تساندهم القوات الوطنية اللبنانية ولقنوا العدو دروساً قتالية رائعة، وقاتلوا بشجاعة نادرة، الأمر الذي أذهل قادة الغزو الصهيوني وخيب أملهم[1].

وخرج الثوار بعد معارك متلاحقة من بيروت يودعون الأهل والأحباب تبكي عليهم بكاء الثكلى، تبكي الأبطال الذين دافعوا عنها ببسالة، وتلعن الذين تعاونوا مع العدو الصهيوني الذي قصف بيروت، ودمرها، وقتل الأبرياء من الأطفال والنساء.

ومع خروج القوات الفلسطينية من بيروت بدأ نهر الدم بالجريان على شكل حروب ومذابح بشرية لم يعرف العالم لها مثيلاً .... مذابح جماعية كمذبحة تل الزعتر وصبرا وشاتيلا، هذه المذبحة التي بيّنت حقد الصهاينة، وعداوتهم

(١) ينظر يوسف كعوش: الدروس المستفادة من الحروب العربية الإسرائيلية، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ط١، ٩٨٧، ص٨١-٨٢.

للعرب على مر الزمان.

٢- صبرا وشاتيلا:

بعد خروج رجال المقاومة الفلسطينية من بيروت، واحتلال (إسرائيل) للمخيمات الفلسطينية ساعد الإسرائيليون الكتائب في عملية اقتحام مخيميْ صبرا وشاتيلا ونفذوا مهمتهم بنجاح، وذلك بإطلاق الأضواء الكاشفة في الليل. ودخل الكتائبيون المخيم، وبدأوا بقتل الأطفال والنساء، أما الرجال فقد صفُّوهم في صفوف، وأطلقوا النار عليهم جميعاً. واستمرت عمليات القتل بعد أن أخفقت (إسرائيل) في وقف المذابح، ودخلت الجرافات لتدفن الجثث في قبور جماعية، ثم تلا ذلك حصار المخيمات وتجويع من بقي حياً من سكانها.

ومجزرة صبرا وشاتيلا فاجعة إنسانية، لم يقتصر أثرها على القتل، بل تعدى إلى الاغتصاب، وانتهاك المحارم، وغير ذلك من أعمال وحشية يندى لها جبين البشرية، حدث كل هذا والأمة العربية غارقة من محيطها إلى خليجها في سبات عميق، لم يرفّ لهم جفن، ولم تسقط لهم عبرة.

كما تصور المجزرة حقد الغزاة، وبشاعة الموقف والمآل. إنها جريمة العصر التي خلّد الشعراء في قصائدهم أحداثها، ومنهم الشعراء الأردنيون كما سيتضح ذلك بعد قليل.

ومن المضامين الشعرية التي تناولها شعراؤنا الأردنيون في أثناء الحرب اللبنانية- الإسرائيلية، والحروب الأهلية: حصار بيروت، وصمود القوات الفلسطينية والقوات الوطنية اللبنانية، ورحيل القوات الفلسطينية عن بيروت عام ١٩٨٢ كما توسع الشعراء في تسجيل جرائم الصهيونية التي كان لها تفاعل عظيم في الشعر الأردني، كالشعر الذي قيل في مذابح تل الزعتر، وصبرا وشاتيلا.

والملاحظ على الشعر الأردني الذي قيل في لبنان أنه شعر يمتاز بغزارته، ويمكن القول إن الدواوين والمجموعات الشعرية التي صدرت في السبعينات

والثمانينات من هذا القرن تناول معظمها الحرب اللبنانية بأبعادها المختلفة.

وفي رأيي أن السبب في كثرة الشعر الذي تناول الحرب اللبنانية، يرجع إلي ما يأتي:

- وجود أعداد كبيرة من الفلسطينين في المخيمات اللبنانية، التي أُنشئت منذ عام ١٩٥٠ كمخيّم تل الزعتر في ضواحي بيروت، ومعظمهم يرجع إلى أصول فلسطينية، وكذلك في بقية المخيمات الأخرى كالرشيدية، وبرج البراجنة، وصبرا وشاتيلا وغيرها. ولهذا السبب كان هناك ارتباط بين هؤلاء السكان، والشعراء الأردنيين الذين هاجروا من فلسطين إلى الأردن.

- استمرار الحرب اللبنانية- الإسرائيلية فترة استمرت مدة عشرين عاماً وهي فترة- في رأيي- كافية لتبلور الوعي القومي في الشعر.

- ارتكاب العدو الصهيوني المجازر الدموية بالتعاون مع القوات العميلة في لبنان التي كان لها أثر عميق في الشعر الأردني، هذه الجرائم التي هزّت مشاعر الشعراء، وألهبت أحاسيسهم القومية، وهذا ما نجده في الشعر الذي عرض لمجازر صبرا وشاتيلا، وتل الزعتر، وحصار بيروت...

- ارتباط الأحداث على الساحة اللبنانية بالأحداث على أرض فلسطين؛ لأنّ لبنان- استراتيجياً- امتداد للنضال الفلسطيني على كافة الصعد: العسكرية والسياسية، والإعلامية. كما أنّ الصهيونية عملت مع الدول الاستعمارية على تفكيك الوحدة الوطنية في لبنان وبث روح الفرقة والطائفية بين أفراده إلى أن تمكن العدو من احتلال جنوبه، ودخول عاصمته وإخراج المقاومة الفلسطينية منها- كل هذه الأحداث جعلت الشاعر الأردني يتعاطف مع القوى الوطنية في لبنان تعاطفاً قومياً بعد أن تأكدت له أنّ هذه الأحداث تستهدف ضرب النضال العربي، وإبادة القوات الفلسطينية في لبنان.

١- تصوير بشاعة جرائم العدو في صبرا وشاتيلا:

صوّر الشاعر الأردني كثيراً من الجرائم البشعة التي ارتكبها العدو

الإسرائيلي، والقوى العميلة في الداخل مع الجيش الإسرائيلي أمام شعب أعزل من السلاح، فأبادوه داخل المخيمات، وغطّت الجرافات جريمتهم في التراب، غير أن أعمالهم ظلّت ماثلة للعيان أمام مرأى العالم وسمعه.

فهذا الشاعر إدوارد عويس يظهر بعض ملامح الجريمة، ويبين كيف داست الدبابات جثث السكان، وكيف خضّبت الأطفال بالدم، وهم يرضعون ، وكيف يُقتَلُ الشيوخ وهم يصلون:[1]

أمخيمَ صبرا...!
خبِّرني ماطعم الصبر؟!
إنّي لا أعلم
علّمني أشكال القهر
علّمني كيف تدوس الدبابات
رؤوس الأطفال
وكيف تحدد حجم العمر
علّمني كيف يضرّج طفل
يرضع حَلمة ثدي
عبر الليل...قبيل الفجر
علّمني كيف يُبَدَّدُ شيخٌ في التسعين
يمارس عشق الخالق
وهو يقيم صلاة العصر
علّمني كيف يُصيبُ رصاصُ الحقد
صبايا صبرا
علّمني ما سرُّ الجثث الملقاة على الطرقات
وتحت الأنقاض
وكيف تُجَمَّع أجزاء الأعضاء البشرية في أكوام

(١) إدوارد عويس: رواء المساء، ص٢١-٢٨.

تُحشد في سيارات الشحن

لتلقي في أكبر حفرة قتلى.

ثم يصف الشاعر مأساة النساء اللواتي هِمْن على وجوههن في الطرقات يبحثن بين الأنقاض عن أحبابهن صائحات نائحات.

ثم يبين كيف أن العدو يصفُّ ألوفَ المواطنين على الجدران، ويطلق عليهم نيران رشاشاته فيسقطون قتلى حِقده، ثم يُسَوَّوْن(بالبلدوزر):[1]

وينطلق الحقد الهمجي

يثقب كل جماجم أهلك يا صبرا

برصاص الغدر

علمني كيف يسوّى وجهك (بالبلدوزر)

لا شيَء كحزنِك ياصبرا

وجريمة صبرا وشاتيلا تحَدّثَ عن بشاعتها القاصي والداني، وسُجِّلت في تاريخ نازية القرن العشرين صفحات الخزي والعار والظلم والاستبداد.

ومن قصيدة لأديب نفّاع يصور فيها همجية العدو التي أدانتها حتى لجنة كاهان (عصابة السفاحين القتلة) وحمّلتهم مسؤولية ارتكاب المذابح في مخيّمي صبرا وشاتيلا، يقول:[2]

صبراوشاتيلا! الدماء غزيــرة   تشكو إلى الباري وحوش الغاب

وتقول يا دنيا تعالَي وانظـري   قتــلا جماعيــاً وقطـعَ رقــاب

هل سجل التاريخُ عبَر عصوره   جيشاً تحّول قلبُـه للنـــــاب

داسَ الفضيلةَ والطهارةَ والتقى   لم يخشَ ديّانا ويومَ حســـاب

فقدَ الضميَر وراحَ يبطشُ فاتكاً   بجموع شيب عجّـز وشبـــاب

(١) المصدر السابق، ص٢٨.

(٢) أديب نفاع: قلبي عليك يا وطن، ص١٦.

والفاضلات من النساء تكشفت أستارهن بدون أيّ حجابِ
جثثٌ من الشعب البريء تمزقت وهوتْ على الجدران والأبوابِ
(شارون،إيتان،وبيغن) عصبةٌ سفاكة أضحت بلا أسباب
رقصوا على كتل الضحايا مزّقوا أشلاءَهـا بمخالب الأنياب

ويكفي للتدليل على قَسْوة العدو ووحشيته أنهم استهدفوا في هجومهم الآمنين من النساء والأطفالِ الرُّضّع:[1]

هذا البحرُ القبرُ
كان يُسمّى أيامَ العزِّ مخيّم
طفلٌ فاجاه قاموسُ العمر بآخر كلمة
لم تحمِ طفولتَه أسوارُ النهدين
لم يُكملْ وجبتَه من يُنبوعِ الحَلْمة

كذلك طعنوا الأطفالَ وعفّروا وجوهَهم بأديم الأرض:[2]

بقي الصغيرُ بحضنها فمضت به مذهولةٌ تعدو بغير مدبّرِ
فإذا الوحوشُ ثلاثةٌ قد أغلقوا كلّ الدروب بوجهها المتكدرِ
وتقدموا، طعنوا الصغير بخنجر ذبحوه كالغصن النّدي المزهرِ
ذبحوه فانتشرَ الدّمُ القاني على وجهِ الأديم كدفقةٍ من عنبر
ذبحوه فارتجت جبالُ الأرضِ تشكو الظلم في بيروت ظُلمَ الغادرِ

وفي قصيدة صبرا وشتيلا.... تل الزعتر يرثي داود معلا لهذا المخيم ما حلّ به من دمار وقتل قائلاً:[1]

(١) إبراهيم الخطيب: غنٍّ لي غدي، دار الجاحظ للنشر والتوزيع، إربد، ١٩٨٤، ص٨٤.
(٢) مصطفى الصيفي: قنابل للسفر الطويل، المطبعة الاقتصادية، عمان،ط١، ١٩٧٨، ص٤٥.
(١) داود معلا: الطريق إلى القدس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٩٨٤، ص١٣.

بالأمس كانت ترينا ثوبها القصبا   تختال فيه على أقرانها عجبـا

بالأمس أيّ عروس أنت لاهيـة   تمارس الحب كأساً مدهقاً وصبا

واليوم أيّ حريق بات يأكلهـا   يُحرِّق اللحم والأعراق والعصبا

كلّ الخواتم ذابت في أصابعهـا   وذوبت بعدها الأقـراط والذهبا

ويوجه اللوم لحزب الكتائب الذي ساعد (إسرائيل) على فعلتها المنكرة بقوله:[1]

وكران للكفر مقرون سلاحهما   وخنجران على أحشائنا ضربا

باسم العروبة أم باسم اليهود أتى   حزب الكتائب هذا العار وارتكبا

حقد وقتل وأشلاءٌ مبعثـرةٌ   ألا يبين هذا أنهم غربـا

ومجزرة صبرا وشاتيلا أكبر من صراخ الصارخين لأنها مجزرة سجلها التاريخ دليلاً حياً على وحشية الصهاينة:[2]

أعلم أنك أكبر منا يا صبرا

وبأنك وحدك

تاريخ قد حفرا

لكن إن كنا ليس لنا بك عذرٌ

فاقبلنا لك عذرا

فأنا الطفل....أنا الشيخ....أنا المقتول أيا صبرا.

ولقد توجه بعض الشعراء إلى الحكام والأمة العربية بالنقد على سكوتهم وتخاذلهم عن نصرة الشعب اللبناني، وأهالي المخيمات الفلسطينية في صبرا وشاتيلا والجنوب اللبناني، فمنهم من نقد الشعوب العربية دون استثناء،

---

(١) المصدر السابق، ص١٣.

(٢) باسل طلوزي: بقية المنفي، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ٩٨٥، ص٥٢.

ومنهم من كان نقدُه ينطلقُ من منظورٍ إسلامي، كما توجّه عددٌ منهم بالنقد إلى مجلس الأمن على موقفه المخزي تجُاه أعمال الصهاينة في لبنان.

ومن الشعراء الذين انطلقوا انطلاقاتٍ إسلامية داود معلا، بقوله:(١)

يتيمةٌ أمة الإسلام مغمـــــدةٌ سيوفُهاوهي تبكي الحقّ مغتصبا

ياقادةَ المسلمين اليومَ موقفُكم يَخزى به الخِزي مُرتدّاً ومضطربا

ماذا بكم؟ اطلقوا الأيدي تقاتلهم تقطّع السيف في أجسامهم إربـا

أما عطاالله أبو زياد فيخاطب أمته العربية وكأنها سكرى؛ لأنها لم تحرك ساكناً إزاء ما حدث من جرائم في صبرا وغيرها، فيقول:(٢)

كأني بها سكرى فما تستفزها مذابحُ (صبرا) أم ترى طرفها أعمى

فما تلك بيروت التي تمّ مجدها ولا يضمحـــل البـدر إلاّ إذا تمّـــا

تخالَطَ فيها الدمعُ بالدمع قانياً كمامزج القصفُ المتاريسَ واللّحما

٢- مأساة بيروت، وخروج المقاومة الفلسطينية من بيروت عام ١٩٨٢:

دخلت المقاومة الفلسطينية إلى بيروت عام ١٩٦٩، بعد عناء ومشقة ومجابهات بين القوات الفلسطينية، والنظام اللبناني. وكان الوضع في بدايات الدخول مشجعاً للطرفين لما تتمتع به القوات الفلسطينية من علاقات أخوية وسمعة طيبة.

ومع استمرار الهجمات الفدائية شمالي فلسطين، ومجابهة هذه الهجمات بالغارات الجوية الإسرائيلية، وما رافق هذه الهجمات من قصف للمواقع العسكرية اللبنانية، وقصف للأحياء السكنية، وتدمير للأراضي الزراعية، وغيرها من الأعمال الوحشية، التي انتهت باجتياح جنوب لبنان، ودخول مدينة بيروت، وطرد المقاومة الفلسطينية منها- مع استمرار هذه الحالة، ظهرت بوادر

---

(١) داود معلا: الطريق إلى القدس، ص١٥.

(٢) أفكار، العدد ٦٥، تموز-آب، ٩٨٣، ص٣٢-٣٤" من قصيدة على طريق الشوك"

الفرقة بين القوتين، واتّسعت الهوة بينهما، حتى غدا أمر وجود هذه القوات في بيروت أمراً متعذراً، فخرجت هذه القوات الفلسطينية من بيروت مضطرة مما كان لهذا الإجراء الأثر الكبير في الأدب العربي.

وكان لخروج المقاومة الفلسطينية من بيروت نغم حزين في الشعر الأردني لما لها من أثر فعّال داخل بيروت، وهي تدافع عن المخيمات الفلسطينية التي ما إن خرجت حتى تمّ تطويق المخيمات بمساندة إسرائيل، وتدميرها عن بكرة أبيها. وما مجازر صبرا وشاتيلا. وبرج البراجنة، والشقيف، وتل الزعتر إلاّ شواهد حيّة على جرائم الصهيونية التي ارتُكِبت ضدّ شعب أعزل.

إن مأساة بيروت مأساة حقيقية، غطت مساحتها الوطن العربي من محيطه إلى خليجه: [1]

لبيروت أن تمّدي الآن
أحزانها العربية
للوطن العربي النشيج
لبيروت حزن الخليج
وللوطن العربي الصدى والضجيج.

ومن مآسي العدو في بيروت قتل الأطفال والنساء، فكأنهم يقتلون الشاعر والإنسان والإسلام عند يوسف العظم، وهو يقول مصوّراً المأساة: [2]

ذبحوني من وريدٍ لوريد ... وسقوني المرّ في كل صعيدِ
مزّقوا زوجي فلم أعبأ بهم ... ومَضَوا نحو صغيري ووحيدي
غرسوا الحربة في أحشائه ... فغدا التكبير أصداء نشيدي
دمروا بيتي وهل بيتي هنا؟ ... إن بيتي خلف هاتيك الحدودِ

---

(١) مؤيد عتيلي: بيان خاص، دار الأفق الجديد للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٩٨٢، ص١٣-١٤.

(٢) د. إبراهيم الوحش: مأساة بيروت في الشعر العربي، المطبعة الاقتصادية، دبي، ط١. ٩٩٢، ص٤٥٤.

وها هي بيروت تبحث عن رغيف من الخبز، وتبيع خصلات شعرها لتعاد لها الحياة: [1]

بيروت تبحث عن رغيف
أنثى تلملم ما تبقى من طفولتها الذبيحة
وتصيح بالآتين ..مهلاً
اشتري خبزاً .. وكحلاً، أم دماً لتعود في وجهي الحياة؟
من يشتري خصلات شعري
ويعيد في قلبي صباه؟

واستوحى الشاعر مضمون قصة المرأة التي طبخت الحجارة لأولادها الجياع زمن عمر بن الخطاب لتسكتهم حتى يناموا، فها هو الشاعر يعيد صياغة هذه القصة فيصور بيروت امرأة طبخت الحجارة لأولادها حتى يناموا، وهذا دليل على مدى المعاناة، والحصار المضروب عليها: [2]

بيروت تبحث عن مياه
أنثى تلمُّ صغارها
والجوع يلهث في العيون
والقدر يطفح بالحجارةَ
ناموا ... أما نمتم؟
هل شرّش الجوُع المعشعش في البطون؟

ومع هذه المعاناة التي ارتسمت على مظاهر الحياة في بيروت إلاّ أنها مدينة غالية على قلب الشاعر، غير راغب في مفارقتها، إنّه عشق أبدي لمدينة

---

(١) محمد عيسى الحوراني: بيادر الرماد، دار النسر للنشر والتوزيع، عمان،ط١، ١٩٩٠، ص٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٢١.

الحب والجمال، من خلال تكرار (لا)، وذكر بعض أحيائها:[١]

لاوطناً ينبتُ إلاّ في النبطية
لا حلماً يورق إلاّ في الدامور
لا فرحاً يوقد إلاّفي رحم القلعة

ولقد تعلق بعض الشعراء ببيروت دون أن تكون هناك علاقة مباشرة ما بين الشاعر والمكان، حتى إنّ بعضهم لم يزرها، فكان تعلقه بها تعلّق العربيّ بوطنه العربي، إنها علاقة قومية حميمة تسمو على أية مصلحة :[٢]

بيروت إني ما أتيتك مرة
ولم أزرْك ذات يوم
لكنّني أراك كل يوم
أعيشُ فيك كلّ الوقت
مع الأطفال والشيوخ والنساء
وتحت أنقاض الدمار

وبيروت النار التي تحرق الطامعين الذين يظنون أنّها سهلة المنال كما يقول أحمد غطاشة:[٣]

قالو بيروت
هذا التابوت
كنز لفظتة مياه البحر
عروس حبلى بالمرجان والياقوت
مدوا أيديهم فاحترقوا.

---

(١) مؤيد عتيلي: نشيد الذئب، ص٥٥.

(٢) محمود فضيل التل: أغنيات الصمت والاغتراب، ١٩٨٢، ص٧٧.

(٣) مجلة الثقافة، الجامعة الأردنية، العدد٥، ١٩٨٤ «مقالة للدكتورة سلمى أحمد»، ص٢٥٦.

ومن الشعراء من أحبَّ لبنان دون أن يميز بين ساكنيها، لأنهم بالمحصلة النهائية عرب ينتمون إلى أمة عربية واحدة:(١)

يا أهلَ لبنان في أرجاءِ أرضِكم — أنتم دعامتُه بل مركز الثقلِ
ثوبوا لرشدكمُ عودوا لوعيكمُ — وميّزوا بين قولِ الصدقِ والدّجلِ
لبنانُ يصرخُ أنْ هُبوا لنجدتهِ — كونوا له كعديدِ القومِ في رجلِ

وهو وإن أحبَّ لبنان، فإنه ينحو باللائمة على الحكام الذين أوصلوه إلى مثل هذا، فيخاطبهم قائلاً:(٢)

حكامُ لبنان في أعناقِكم وطنٌ — أغلى من الروحِ والأموالِ والمقلِ
صونوا عروبتَه قودوا سفينتَه — وعالجوه من الآلامِ والشّللِ
وقولوا يا أهلَنا في كلِّ ناحيةٍ — لبنانُ ملكٌ لكم من سائر المِلَلِ

ثم يدعو للبنان دعاءَ المحب:(٣)

لبنانُ فردوسُنا للعُربِ قاطبةً — كساه ربُّ الأعالي زاهيَ الحُلَلِ
فهو المصيفُ لنا من حرِّ هاجرةٍ — وهو الدواءُ لنا يَشفي من العِللِ

وعندما صمدت قواتُ منظمة التحرير الفلسطينية، والقوات اللبنانية الوطنية بوجه الغزاة ثمانين يوماً، تُدافعُ عن بيروت الغربية ولا تبالي الجوع والعطش وانقطاع الماء والكهرباء إلى أن انسحبت بشرفٍ وإباء حفاظاً على أرواح الأبرياء من الشيوخ والأطفال، نجد الشاعر الأردني يُحيِّي القوات الفلسطينية والقوى الوطنية التي وقفت ببطولة وشرف وفخار ذائدة عن

---

(١) أديب نفاع: قلبي عليك يا وطن، ص٥٤.
(٢) المصدر نفسه، ص٥٥.
(٣) المصدر نفسه، ص٥٥.

بيروت الباسلة، ضد أعتى الهجمات الشرسة:[1]

حيّوا البطولةَ، حيّوا وِقفةَ الشمم حيّوا البسالة حيّوا ثورة الهمم
حيوا الأشاوسَ في لبنان قد نذروا نفوسَهم لفداءِ الأرْض والعَلَم
وأقسمت أن تردّ الكيدَ عن وطنٍ تجتاحه عصبةٌ من أنذلِ الأمم

والفدائيّ وَحْدَه الذي حمى الفقراء داخل بيروت، ودافع عن ثرى لبنان، إلى أن سقطَ شهيداً:[2]

فالفلسطيني الذي غنّى، يمارسُ رقصةَ الأشباح
من بيتٍ صفيحيّ، إلى بيت صفيحيّ
ويحمي نخلة الفقراء
يأخذ شايَهُ اليومي في شرفاتِ صور
يودّع الشهداء ....
يردُّ عن المخيم ناقلاتِ الجند
يعانقُ الدامورَ تحت الطائرات

وحينما حدثت المأساةَ وجّه فايز التلاوي النقدَ للأمة العربية التي وقفت تتفرجُ على مآسي بيروت:[3]

آهِ يابيروت
أبناءُ العمومةِ يسكرون ويخمرون
نسيَ الرجالُ عهودَهم، نَسَوُا الكرامةَ، والشهامة
فدعي الحديثَ .. ودعي النداءَ .. دعي البكاءَ.. دعي الهراءَ
فإنهم لا يذكرون.

---

(١) المصدر السابق، ص٥٩.

(٢) يوسف أبو لوز: صباح الكاتيوشا أيها المخيم، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، ط١، ١٩٨٣، ص١٠.

(٣) فايز تلاّوي: بيروت تصرخ، ص٢٢.

ثم تشتد نبرة النقد بأن يأخذَ في الشتم والتحقير، نحو:[1]

قولي لهم .. عودوا إلى زرق العيون

واملئي الوجناتِ منهم بالبصاق

واكرمي في بصقةٍ .. فوق الجبين

آه يابيروت

أبناءُ العمومةِ تائهون وغافلون.

ومن العرب من اكتفى بمتابعةِ الأخبار عَبْرَ وسائل الإعلام، حتى غدت المأساة اللبنانيةُ خبراً لا يُثير في النفس شيئاً:[2]

العار كل العار

أن يصبحَ الغزوُ حديثَنا

في الصحفِ والمذياعِ والتلفاز

كأننا نتناقلُ الأخبار عن حكايةٍ

تدور في مكانٍ ما ....

سلاحُنا السكوتُ والانتظار

ويعنّفُ عبد الله منصور بيروت التي تبرجت ولبست ملابسها الزاهية، لمن خانها قائلاً:[3]

آه يابيروت يا وجعي

ها أنا أمْثُل بين يديك

اسألك العشق لا تلبسي ثوبك الليلكي لكل الرجال

وأشيحي بوجهك عن خائني

(١) المصدر السابق، ص٢٢.

(٢) محمود فضيل التل: أغنيات الصمت والاغتراب، ص٧٧.

(٣) عبد الله منصور: رباعية القمر، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ط١، ١٩٨٦، ص٢٥.

واتركيه للعنة أطفال صبرا

وللأمهات يودعنّ أبناءهن وقد أصبحوا غيمة من دخان .

وانقسم الشعراء في الأردن إلى فريقين: فريق يرى ضرورة انسحاب القوات الفلسطينية من بيروت، والآخر يرى أنه لا يجوز الانسحاب منها ولو لم يبقَ رجل واحد. وكان منطلقهما ينبع من مصلحة قومية خالصة فالفريق الأول يبدو خائفاً على رجال المقاومة، أما الفريق الثاني فيبدو خائفاً على سكان المخيمات إن ترك رجال المقاومة، الساحة فارغة من المقاومة.

ومن الشعراء الذين خافوا من بقاء قوات المقاومة في بيروت لأن في هذا هلاكاً لهم، عبد الرحيم عمر، حتى إنّه يستحلفها بكل غالٍ لديها أن ترحل ولا تتمهل:[١]

بحقي علك ترحلي

بحبي بأطفالنا بحياة الجميع هنا

بما كان في عمرنا من رجاء وجوع وخوفٍ وسخط وكدح

ترحّل

فإصرارك الفذ يافارس

على أن تردوا الهجوم

وأن تنجلي عن سماء المخيم كل الهموم .

إلى أن يقول:[٢]

بدم الشهادة، بأرواح كل الذين فقدنا

وكل الذين تحاصرهم آلة الموت منا

بكل أولاء ترّحل، ولا تتمهلِ !

---

(١) عبد الرحيم عمر: الأعمال الكاملة، ص٣٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٦٧.

في حين يصرّ محمد القواسمه على بقاء حركة المقاومة داخل بيروت ويناشدها بعدم الخروج؛ ففي خروجها هلاك لأهالي المخيمات. ويستمد من قصة عبد الله بن الزبير[1] معاني الإصرار على القتال والتحدي مهما كان الثمن باهظاً:[2]

ولدي لا تخشَ الموت
فلبنان يعلم أنك أقوى من القهر
وأقوى من الأحزان
وموتك ليس هنا في بيروت بل حولها
حين يلقاك الغدر في باقات الورود
وأغصان الزيتون
ولدي لا تخشّ الموت، فموتك يعني سقوط المدائن
ثم رؤوس السلاطين، فامضِ أيا ولدي

إلاّ أن الخروج كان النهاية، فغادرت القوات الفدائية في رحلة اضطرارية كما تغادر النوارس الجميلة مواطنها في رحلة غامضة:[3]

حزين مساء المخيم
كئيب ولا من حراسة
أسير، وما كان يعلم
بما خططته أفاعي السياسة

(١) ابن أسماء بنت أبي بكر خرج على الدولة الأموية، وطلب الخلافة بعد موت يزيد بن معاوية عام ٦٨٥م، وبويع في الحجاز والعراق واليمن، ومكث خليفة تسع سنوات ثم حاصره الحجاج بمكة وخذله أعوانه في محنته، فدخل على أمه فشكا إليها خذلان قومه فقالت له: إن كنت تعلم أنك على حق فامض له فقد قتل عليه أصحابك، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت فخرج يقاتل حتى قتل سنة ٦٩٣م.

(٢) محمد القواسمة: عبدالله بن الزبير في بيروت، ١٩٨٦،ص٦.

(٣) عبد الرحيم عمر: الأعمال الكاملة، ص٣٧٠.

ومن الشعراء من وقف عند إبراز صورة من البطولة النادرة، والعمليات الانتحارية، التي قام بها عدد من الفتيات كسناء محيدلي، ووفاء بطلة تفجير حقيبة مملوءة بالمتفجرات في جنوب لبنان، حيث قامت بها بعد أيام من عملية البطلة سناء. إنها صورٌ نضالية تثبت مشاركة الشعب بكافة فئاته في قتال العدو. يقول أديب نقّاع: [1]

بالأمس عرسُكِ يا سناء	واليوم عرسك يا وفاء
عرسٌ سيبقى في جبين الدهر	عنوان الفداء
عرس الشهادة خير عرسٍ	بين أحضان السماء
إيه وفاء ياوفاء المجد	في دار البقاء
لك تنحني الهامات إجلالاً	وهل يكفي إنحناء
سيظل ذكرك ساطعاً	كالنجم يعطينا الضياء

وهو القائل متغنياً ببطولة سناء: [2]

سناءُ لموتك نحني الرؤوس	فأنت البطولة أنت الرجاء
فأرض العروبة لن تستباح	وفيها جميلةُ فيها سنــــاءُ

وتكررت بعض المضامين النضالية، عندما صمد المواطنون اللبنانيون وأهالي المخيمات الفلسطينية في صيدا وصور. ونجد قصائد تمجّدُ الأبطال، وتحثُّ على مقارعة العدو بكل ما يستطاع، إلاّ أن قوى البغي كانت أكبر من إمكاناتهم القتالية، وفي كل يوم تظهر بطولة جديدة إذْ كُتب على المدن اللبنانية أن تكون (سيزيف) الذي يحمل صخرته إلى قمة الجبل فما تلبث أن تتدحرج في عمل متواصل وهو لا يكلّ وإنما كان مصراً على البطولة وكذلك صيدا: [3]

---

(١) أديب نقّاع: قلبي عليك ياوطن، ص٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٥.

صيدا اليوم سيزيف جديد

نبض أغنية وتاريخ من الإصرار

ملحمة بطولية

يا لبنان كل ترابك المزروع بالألغام والأشجار

وهل لبنان إلاّ هبة الأحرار

ولقد حيّا الشعر الأردني الثوار في صور الذين ضربوا أروع أمثلة في عملياتهم الجريئة، فارتدّ الخصم مقهوراً:[1]

صور سؤدد وفخـــــــار   مقرونة بالحب والاكبـــار

قاومت خصماً فاتكاً ببسالة   وشجاعة الإقدام والإصرار

عشرون يوماً والعدو ببابك   لم يستطع لمس ثرى وجدار

فارتد مقهوراً يسدد نـــاره   للعزّل الأحرار والأبـــــرار

يتـضح من ذلك كلهّ أن الشـعـر الأردني واكب الحـروب اللبنانيـة-الإسرائيلية، والحروب الأهلية في لبنان، فاستنكر اعتداءات الصهاينة، وسجل جرائمهم الوحشية. كما فضح أعمالهم غير الإنسانية في المخيمات الفلسطينية في صبرا وشاتيلا، وتل الزعتر، وفي بيروت.

وعبر عن حزنه أمام القوات الفلسطينية وهي تغادر بيروت مضطرة. كما تناول الشعر ما جرى على الساحة اللبنانية مصراً على أن يبقى عربياً وأن يبقى واحة أمن واستقرار.

وهكذا قدّم الشعر القومي في الأردن مضامين رائعة للنضال العربي في أثناء الحرب اللبنانية ستبقى شاهدة على دور الأردن الطليعي في الدعوة إلى الوحدة العربية والتضامن العربي، مجددة عهد الثورة العربية الكبرى التي أرادته أن يكون نواة التوجه القومي العربي، وبوابة الفتح-بإذن الله تعالى-.

(١) خالد الساكت: المخاض، عمان،٩٨٧، ص٧٧.

خامساً: الانتفاضة الفلسطينية:

إذا كان في سماء الوطن العربي من نجمٍ زاهر في هذه الفترة الزمنية، فالانتفاضةُ الفلسطينية، التي هدت المدلجين نحو معارج المجد والخلود، ففي الثامن من كانون الأول عام ١٩٨٧ انطلقت على أرض فلسطين الطاهرة انتفاضة الحجر قائدُها الطفل الذي صارت حجارتُه طلقاتٍ، وزجاجتُه الفارغة قنابلَ ومتفجرات.

لقد آمن هذا الطفل بأن أرضَه لن تُرَدَّ إلاّ بجهاده، بعد أن ملّ الانتظار والوعود الزائفة، لذلك راح يعبِّرُ عن ثورتِه بحجره النبيل.

هذه الانتفاضة التي يخوضها شعبٌ أعزل محاصر ضد قوةٍ عاتية تساندها قوى الطغيان والبطش في العالم، وهي البداية لمرحلة نضالية جديدة أكدت تجذر الإنسان العربي في وطنه، واستهانته بالموت فداءً لوطنه، ولم تعد ترهبُه أساليب القتل والدمار، ولا قنابل الغاز ولا الدبابات والطائرات.

لله درّ هؤلاء الأطفال الذين ابتكروا دروساً في النضال والمواجهة عجزت عنها الدول بأسلحتها وأموالها، واستطاعوا أن يحطموا أسطورة الجيش الذي لا يقهر بحجارتهم الصغيرة.

لقد أعادوا جذوة النضال في موقد غطّاه رمادُ الضعف والهوان ورفعوا رؤوس أمتهم، وهم يدافعون عنها، بعدما لفتوا أنظار العالم لعدالة قضيتهم، فراحت وسائل الإعلام في العالم تبرزُ في أخبارها صورة مشرّفة من صور النضال الحقيقي، متعاطفة معهم، ومنددة بجرائم الصهيونية على أرض فلسطين.

ولمّا كان الشعر هو الفن القومي الأول الذي يعبّرعن هموم الأمة أخذ الشعراء في زمن الانتفاضة الفلسطينية يعبِّرون عنها بطرق شتى، وبخاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار العلاقة الأخوية المتينة بين أبناء الضفتين، وهذا ما نلمسه في الدواوين الشعرية التي ظهرت منذ بدء الانتفاضة وحتى اليوم .

ويكتفى بعرض نماذج من الشعر الأردني في زمن الانتفاضة لأن الإلمام بجميع جوانبها يحتاج إلى دراسة مفصلة، وهو ما لا يتسع له المقام هنا [١]

أما مضامين الانتفاضة في الشعر الأردني فتناولت في معظمها: تخليد الأبطال كالطفل والمرأة والشيخ، أضف إلى ذلك الحجر الفلسطيني الذي غدا كائناً حياً، يثور ويفرح ويغضب، حتى صار بطلا من أبطال الانتفاضة.

ومن الموضوعات كذلك : تمجيد الشهادة في سبيل الله، إذْ أخذ الاستشهاد حيزاً كبيراً من الشعر، كيف لا ودم الشهيد مطر الأرض، ونشيد السماء! كذلك صوّر الشعر مدى تجذرالفلسطيني بأرضه، وحُبّه لها[٢]. ومن بين المضامين التي تكررت في شعر الانتفاضة ما يلي:

١- <u>تخليد أبطال الانتفاضة:</u>

أصبح الطفل الفلسطيني للمرة الأولى في تاريخ العرب النضالي قائداً وبطلاً، يخطط للعمليات الفدائية في الشوارع والأزقة، ويبتكر أساليب قتالية جديدة أكسبته احترام العالم وتقديره، بعد أن استطاع أن يفرض المواجهة مع العدو بقوة واقتدار. ولهذا خلّد الأدب العربي أبطال الانتفاضة وهم هذه المرة من الأطفال والشيوخ والنساء.

ولقد كان إعجاب الشعراء بالطفل عظيماً، ومن بين الشعراء الذين خلّدوا بطولة الطفل محمودالشلبي في قصيدة رائعة بعنوان:«هذا الفتى» هذا الفتى الذي ثوّر أرضه والعالم العربي من المحيط إلى الخليج،حتى تمنّى أن يكون حجراً يصوبه طفل الانتفاضة بوجه العدوالصهيوني:[٣]

---

(١) سجّلت رسالة جامعية لاستكمال متطلبات نيل درجة الماجستير في الأدب العربي ... جامعة مؤتة بعنوان: الانتفاضة الفلسطينية في الشعر الأردني الحديث.

(٢) للاستزادة عن الانتفاضة الفلسطينية، انظر إلياس فوزي: الانتفاضة الفلسطينية، الجزء الأول، شركة الفهرست للإنتاج الثقافي، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ص١٣ ومابعدها. كذلك إبراهيم خليل: الانتفاضة الفلطينية في الأدب العربي، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٩٠، ص٢٦ وما بعدها.

(٣) محمد الشلبي: منازل لقمر الآس، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط١، ١٩٩١، ص٣٢.

هذا الفتى بقميصِه المخضوبِ

بالدّم والندى

في الفجرِ أيقظَ كومةَ الأحجار

واستلّ اللهيبَ من المدى

فتجمّع الفتيانُ كانوا واحدا

في صوتِهم عبرَ المحيطُ إلى الخليج وردّدا

يا ليتني حجرٌ بكفِ فتىً يُصوّبني

وأعرفُ كيف امتشقُ الردى.

إنّ هذا الفتى أعادَ لشعبِه حريتَه وكرامتَه بالتضحية والفداء فانتصب مَشرِعاً كفيه: كفّاً تدحرجُ شمسَ الحرية، وكفاً تقذفُ حِمماً وبراكينَ على العدو:[1]

هذا الفتى

كفّاه مشرعتان

كفٌ دحرجت شمساً على جبل

وكف أوقدت بركانها..فتوقدا.

وهو فتىً شجاع جُدل من حجر الجبال، حتى أصبح وحدَه سيداً بعد أن ملّ الانتظار:[2]

يا ذا الفتى المجدول من حجر الجبال

وغضبة الأجيال

أشعلت الفضاء بقوس نارك

صرت وحدك سيّدا

وسللت سيفاً مَلّهُ الغمدُ الأنيق

(١) المصدر السابق، ص٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٩.

وفي نهاية القصيدة الرائعة يخاطب الشاعر الفتى قائلاً له: إنّك قد بعثت اسمك العربي حرّاً كريماً بعد أن حطمت قيود الظلم ونشرت في أرضك الطّيبَ والجمال والغنى، وها أنت دوّنت في كتب التاريخ ملحمة حبك لأرضِك حين أنتزعت من حجارة انتفاضتك ميلاد حرية شعب:[1]

ياذا الفتى

هذا اسمك العربي

أزهرَ موجُه

فكسرتَ قيَدك يا فتى

وكسوتَ أرضَك أرجواناً.. عسجدا

أرّخت في سفر الحروب فصولَ عشقِك

وانتزعتَ من الحجارةِ مولدا.

وكتب يوسف العظم ديواناً عن أطفال الانتفاضة وسمه ب«الفتية الأبابيل»، صوّر فيه الطفل الفلسطيني وقد غدا مارداً جباراً، ولم يعدْ طفلاً يلهو بألعابه وأدواته..صورة البطل الذي سدّد قذائف الحجارة من مقلاعه، مصمماً على القتال حتى يندحر العدو، وينهار حكمه[2]:

ماعاد فينا الطفلُ يعبثُ لاهياً ... فالطفلُ فينا ماردٌ جبّــارُ

وصغارُنا حملوا الحجارةَ وازدهـوا ... ما عادَ في ساحِ الجهاد صِغارُ

سدّد من المقلاعِ كــلّ قذيـفـةٍ ... من هولِها عقلُ الدخيلِ يحارُ

واصفعْ وجوهَ الغاصبين ولا تهـبْ ... حكَم العدّو فــحكمُهُ ينهــارُ

إنهم فتية آمنوا بربهم، وبعدالة قضيتهم، يخوضون موج المنية غير

---

(١) المصدر السابق، ص٤٠.

(٢) يوسف العظم: الفتية الأبابيل، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان،ط١، ١٩٨٨،ص٧٣.

خائفين يشبهون عمّاراً وغيره من الصحابة رحماء فيما بينهم، أشداء على الكافرين:[١]

والفتيةُ الصِّيدُ الأباةُ وحولَهم بحرُ المنيةِ موجهُ هـــدّارُ

قد أطربَ الأسماعَ وقعُ هتافِهم وزها بهم يومَ الوغى عمّارُ

رحماءُ في شِرعِ الحنيفةِ بينهم وعلى العدوِّ سلاحُهم بتّــارُ

إنّ الطفل الفلسطيني أظهر من البطولة ما يَعجَبُ لها العالم،إذْ حمل حجارتَه في أماكنَ مختلفة من أرضه التي رضعَ منها العنادَ، يواجه عدواً مدججاً بكامل أسلحتِه الحديثة، لكنه لم يتطامن أو يتخاذل. يقول علي الفزّاع:[٢]

عند بابِ المخيم أو عند بابِ العمود

كان ممتشقاً حجراً، وقبالته غابة من دخانِ السلاح .

ومدى من جنود

كان السّرو منتصباً، والبنادقُ من حولِهِ

تتقيأ أحشاءها لهباً وحديد

لم يكن تتطا مَنُ أغصانُه للرياح

أو يديرُ لهم ظهَره

لم يكن يتخلّصُ من حجرٍ هو في يدهِ ترسُه والسّلاح

كما ينظرُ إلى الطفل الفلسطيني على أنّه الأملُ المشرق، والغد الواعد الذي قطرته المرارات منذ أعوام عديدة فصار بطلاً عظيما:[٣]

إنّه وعدُنا، غدُنا، شمسُنا،

حُلُماً «قطرته» المراراتُ من ألف جيل

(١) المصدر السابق، ٧٤.

(٢) ديوان الانتفاضة، ص٢٨٩.وانظر في هذا المعنى محمد العامري: معراج القلق، دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد، ١٩٩٠، ص٦٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٩.

يا جبالَ الجليلِ، هوذا يتدفّقُ كالسيلِ محتشداً
عاصفاً مثلَ ريحٍ، فإذا حاصرته حرابُ العدو
أو إذا سيّجت من حولِهِ، فوهاتُ بنادقِهم
جَمع الأرضَ من حوله، صاغَها حجرا
ورماهم به، ثم كرَّ على عجلٍ
عاتياً مثل ذئب جريحٍ، شامخاً مثلما جبل.

وهو فتى مجبول من طين الحزن، وشقاءِ الماضي، لقد كان رقماً أما الآن ، وبعد أن التحَم بالانتفاضة العارمة صار الحلمُ والأملَ والنصرَ المُرتجى:(١)

هو ذا الفتى المجبول من طين الأسى
والجوعِ، والعطشِ المدّمر والطواف
هوذا الفتى الرقمُ الذي لم يرثِه أحدٌ من الشعراء
(حين قضى)
يقومُ من الردى
كفّاه من لهبٍ، ومن غضبٍ على كلِّ الخراف
حجرٌ ويحملك الزمانُ إلى زمانك
أيها الحلم الذي وافى، وقد ظن العدى أن لن يوافي.

ولقد ربطَ محمد الظاهر بين الطفلِ والحجر؛ لأنهما علامةٌ بارزة في تأجيج الانتفاضة وهما أُسّانِ من أسسِها، بعد أن صار الحجرُ مخيفاً للعدو إلى الحدّ الذي يجعل العدوَّ يستخدِم الرصاصَ رداً على حجر الانتفاضة:(٢)

---

(١) حيدر محمود: الأعمال الكاملة، ص١٠٨-١١٠.

(٢) محمد الظاهر: قمر المذبحة يمامة الوطن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ص٤٠.

طفلٌ رمى حجرْ

فانطلق الجنودُ في وجههِ الرصاص

الطفلُ والحجر

علامةُ الوجودِ، وشارةُ الخلاص

ويظهرُ طفلُ الحجارةِ متمرداً وقد ألقى حقيبتَه المدرسية على الطريق، بعد أن رفضَ أن يتعلمَ في المدارسِ لا لأنه يكرهُها، بل لأنّه وجدَ من الضروري الانخراطَ في صفوفِ المقاتلين الذين يصنعون التاريخَ أمام ناظريه بدمائهم الزكية:[١]

جيلٌ تمرّدَ .. لا يريدُ العلمَ في دارٍ ودور

ألقى الحقائبَ في الطريق .. فقد تعلّمَ أن يثور

قد ملّ ما في صفحةِ الأحداثِ والنبأ المثير

جيلٌ رأى التاريخَ .. لا بحروفه بين السطور

فمضى يسطّرُه انتفاضة أمةٍ بدمٍ ونور

ويعلّقُ الشاعرُ أملَه على هؤلاءِ الأطفال بالتحررِ واستعادةِ الأرض:[٢]

ضربتُم أروعَ الأمثالِ في التّسديدِ والصدِّ

بنيتم من حجارتِكم صروحَ العزِّ والمجدِ

كتبتُم ألفَ ملحمةٍ بساحِ الفخرِ والخُلدِ

رفعتُم رايةَ التحريرِ في الأقصى وفي المهدِ

أمّا محمد حسين العزة فتحدّث عن الطفل المنظّم في حركة المقاومة الفلسطينية التي تشرفُ عليها القيادة الموحدة للانتفاضة (قاوم) والتي مضت هذه

(١) عبد العزيز أبو غوش: انتفاضة شعب، عمان، ١٩٨٨ (بلا رقم صفحة في الأصل).

(٢) المصدر نفسه، (بلا رقم صفحة في الأصل).

القيادة تقاتلُ متحملةً أعباءَ النضال والمواجهةِ عن أمةٍ وقفت أمام ما يجري صامتةً. يقول من قصيدة يمدحُ فيها طفلَ الحجارة:[1]

ظهرتَ إلى الدنيا بأشرفِ مطلبٍ   الانتفاضـــة ثـورةٌ تتــوقدُ
شعبٌ تدبّرَ أمــرَه وتشكلـــــت   (قاوم) فهبت للقتال سواعدُ
جعلتْ من الحجر المقدّس قصـةً   تُروىٰ وأسلحةً بها تتزوّدُ
سلمتْ يدٌ كتبت وثيقةَ عزّهـــا   بدمٍ يصونُ كرامــةً ويُشيّــدُ
متحملاً عبءَ النضالِ مدافعـــاً   عن أمةٍ صمتت كمن يتحيّدُ

لقد صارَ طفلُ الانتفاضة رجلاً يدرك أن قتالَ العدو يوقفه عن التمادي، فها هو الشاعر نايف أبو عبيد يحرّضُ على الانتفاضة، طالباً من الطفل تقريع المتخاذلين المتناسين مآسي الصهيونية:[2]

رجلي ورجلُك شدّتا لحبالِهـــم   وعلى الرقّابِ المديةُ الرعناءُ
إن لم نقابلْ زحفَهم بصدورِنـــا   عِرضي وعِرضُك شانَهُ الغرباءُ
فاقذف بسجيل الحجارةِ وجهَهـــم   اقذف يبــاركُ سعيَك الشرفاءُ
وابصقْ على اللاهين عن صوتِ الحِمى   في ليلةٍ أجواؤها حمـــــــراءُ

ويقفُ النّاسُ أمام بطولات الأطفال مبهورين معجبين، كيف لا والطفل هو من أشعلَ نيرانَها وضحّى بحياته في سبيل استمرارها. يقول محمود فضيل:[3]

حربُ الحجارة فاقت حَدّ نخوتنا   الطفلُ يلهبُها لا شيءَ يُطفيها
إنى امتدادُك ياطفلَ الحجارةِ إن   شئتَ الحياةَ فإني سوفَ أفديها

---

(١) محمد حسين العزة: صوت الانتفاضة أرض وثورة، (د.ن)، عمان، ١٩٩١، ص١٠-١١.
(٢) نايف أبو عبيد: أرجوان العمر، عمان، ٩٨٩، ص٥٤.
(٣) محمود فضيل التل: جدار الانتظار، عمان، (د.ن)، ط١، ١٩٩٣، ص٧١.

وأمامَ بطولة الأطفال العظيمة نجدُ الشعر الأردني يرفعُ من قيمة الصغار، فأعمالُهم جعلتْهم كباراً، وجعلت بعضَ الكبار (المتخاذلين) صغاراً: [1]

يا ثورةَ من يُدعى طفلاً

من منّا الطفل؟

ومن منّا رجلُ الساحات وشيخُ الدار ؟

للقدس وللأقصى ربٌّ ولطفل الثورةِ كلُّ فخار

وبعد هذا، يظهر الطفلُ معتمداً على الله سبحانه ثم على حجرِ الأرض فهو وحدَه الكفيلُ بتحقيق النصر: [2]

إنّا لنعلنُ أنّا وحدَنا ..

وعلى حجارةِ الأرض، بعد الله نتّكلُ

فيا جبالُ .. احملي صخراً

ولا تلدي إلاّ الأكفَّ التي بالحقد «تشتملُ»

المـرأة:

لم يكن الطفل وحده بطل المعركة، بل شاركه في هذه البطولة المرأة:أمّاً، وأختاً، وزوجاً، أضف إلى ذلك فئات الشعب الأخرى كالشباب والرجال والشيوخ. ولم تقف المرأةُ الفلسطينية مكتوفةَ الأيدي أمام الصهاينة بل راحت تحرّض الأبناء على الثورة، وتجهّز لهم الحجارةَ التي يقذفون بها وجوهَ الأعداء. وتذكُر كثيرٌ من الروايات كيف أن المرأة كانت تعدُّ الحجارة وتعبئها في أكياس، وتعطيها لابنِها كي يواصل القتال، تفعل كلّ هذا وهي تعلم مصيرَه المحتوم قتلاً أو سجناً:

وبناتُ الخنساء تعصفُ بالقيد وتمضي في حلّة من فخار

طاهرات الذيول قولاً وفعــلاً يتحدينّ طغمة الفجّــار

(١) المصدر السابق، ص١٠٢.

(٢) حيدر محمود: الأعمال الكاملة، ص١٠٠.

بأكف العفاف يقذفن صخــراً　　　صارَ أغلى من نجوم الدراري

واشتركت كذلك العجائز بأن قدَّمن (رُضَفَ طوابينهنّ) إلى المقاتلين حتى صار حجُر الانتفاضة أهمّ من الحجر المستخدم رضفاً إضافة إلى ما يرمز له حجر الطابون من حرارة وتوهج:(١)

يأتي لجدّته العجوز
ويقبّلُ الكفَّ التي أهدتهُ
من رُضفِ الطوابينِ الحجارة
قالَها .. ياجدتي هذي الحجارة
في يدي أغلى من الغيدِ الملاح

ولقد عاشت المرأةُ معاناةَ شعبِها في السجون والمعتقلات وهي تطلق صرخاتِ الاستنجاد داخلَ السجون مستغيثةً لكنّ (المعتصم) مات، ولم يعد أحدٌ يثأر لها: (٢)

كم من فتاةٍ علت في السجن صرختُها　　　فاهتزّ من فزعٍ جلادها القـــزمُ
صاحت تناديْ:وا أحفادَ معتصـــم　　　قالت لها أختها .. قد ماتَ معتصمُ

وفي هذا المعنى يقول حيدر محمود متحدثاً عن مَهمات الانتفاضة وواجباتِها:(٣)

وفجِّرْ في الرمال الهاجعاتِ لظىً　　　يعيدُ تاريخَنا الزاهي ويحيــه
لعلّنا إن سمعنا صوتَ صائحــةٍ　　　«وا أخوتاه» انتفضنا كي نلبيه

وكُنّ يُحَمِّسن الشبابَ على القتال والاستشهاد، ومما يروى أُنهنّ كنّ

(١) عائشة الخواجا الرازم: حسن الفلسطيني وثورة الحجارة، دار ابن رشد، عمان، ٩٨٨، ط٢، ص٦.
(٢) محمد حسين العزة: صوت الانتفاضة، ص٤٢.
(٣) ديوان الانتفاضة، ص٩٧.

يزغردنّ للشهداء عند استشهادهم، ويشاركن في إقامة أفراح الشهداء ويندّدن في هذه الأعراس بالمتخاذلين والجبناء.

حقاً إنّ الانتفاضة المباركة جعلت المرأة تقاتل كالرجال، وتدافع عن أرضها وعرضها ووجودها كأروع ما يكون عليه القتال. ونتيجة لمشاركة المرأة في القتال، بدأ الشعراء يقرّعون المتخاذلين بعرض بعض صور البطولة النسائية كما عند حيدر محمود:[1]

وليتقِ الله فيها أهلها
فلقد تكفلت بالأعادي الأعيُن النُجلُ
أمَا رأيتم صباياها وصبيتَها
كأنّهم من سماواتِ العُلى نزلوا؟

ويرسُمُ يوسف العظم صورةً للمرأة الفلسطينية الثكلى وقد أظهرت الفرح والسرور بعد أن فقدت ولدها في الانتفاضة فيقول:[2]

والثكالى تزغرُد اليوَم فخراً		لم تعد تعرِفُ الثّكالى النواحا

وهي أخت تستحقّ الاحترامَ والتقدير لما تقوم به من أعمالٍ عظيمة:[3]

أختَ الجهادِ لكِ التحيةُ والهنا		مذْ زيّن الوجهَ الكريَم خمــارُ
هاتي لنـا الأكفانَ كـي نلقى الردى		ونُزَفّ فالحورُ الحِسانُ تغارُ

وهنّ ينتمين إلى الخنساء التي صبرت على استشهاد أبنائها في القادسية، عفيفاتٍ طاهراتٍ قولاً وعملاً وجدن أنّ مشاركتهن في الانتفاضة جزء من دينهن وعقيدتهن[4].

(١) حيدر محمود الأعمال الكاملة، ص١٠٣.
(٢) يوسف العظم: الفتية الأبابيل، ص١١١.
(٣) المصدر نفسه، ص٧٨.
(٤) ينظر المصدر نفسه، ص٢٢-٢٣.

وبعد أن ظهرت ملامح بطولة المرأة في فلسطين بوصفها شريكة في القتال، ولها دورٌ بارزٌ فيه، لا بدّ أن نتناولَ فئات الشعب الأخرى لأن الانتفاضة صنعُ الشعب كلِّه لا صنع فئة معينة.

والحقيقة الظاهرة أن الشعب الفلسطيني بأسره شكّل معالم البطولة والنضال يؤكد هذه الحقيقة ما قاله يوسف العظم:[١]

والأهل بين مجاهدٍ ومجنّـد		وعلى العدوِّ جميعُهم ثوّارُ
قد أقبلوا كالموجِ يهدُر غاضباً		حتى علا الطوفانُ والتيّارُ

وهي ثورةُ الشعب العظيم الذي حمى العروبةَ من الذلِ والهوان عند (سالم أبو عيشة):[٢]

هزّي إليك بجذع الصخر والتقطي		صُلْبَ الحجارةِ واختالي على الزمن
هزّي إليك وهزّي دونما وهــنٍ		واحمي العروبةَ من ذلٍّ ومن فــتن

ومنهم من أرسل تحيةً إلى صُنّاع الانتفاضة، فهم الذين أداروا عقاربَ الساعة التي توقفت عن الدوران:[٣]

لكلِّ الذين يمرّون هذا المساء على القلب
قرية في شمال فلسطين
إلى قرية في جنوب (البلاد)
لكل الذين يمرون هذا المساء على الجرح
والقهرِ أعلنُ :
أنَ الحجارة في هذه الأرض
دقاتُ ساعاتِنا الواقفة.

(١) المصدر السابق، ص٧٩.
(٢) ديوان الانتفاضة، ص٩٧.
(٣) خالد محادين: الأعمال الشعرية ، ص٢٩٧.

ويؤكد اشتراك فئات الشعب في الانتفاضة عدد من الشعراء منهم يوسف العظم في أكثر من قصيدة كما في قوله أيضاً:(١)

والشعبُ يزحفُ إيماناً وتضحيةً ماعادَ يوقفُ زحفَ الشعب تنكيلُ
أنّى توجّه جيشُ البغي في صَلَفٍ في كلّ ناحيةٍ يلقاه عزريلُ
الطفلُ والشيخُ والأمُّ التي خرجت في كفّها الموتُ للطغيان محمولُ

وعبد العزيز أبو غوش الذي يرى أن الشعب جميعاً يلقنُ العدوَّ دروسَ الفداء:(٢)

أنتَ ياشعبَ بلادي أملٌ مشرقٌ هيهاتَ عنا يَغرُبُ
اطلع الفجرَ لهيباً غاضباً بعدَ ليلٍ عزّ فيه اللهبُ
لقّنِ الدّنيا دروساً في الفدا أنتَ يامن للمعالي تُنسبُ

والشعبُ العربي الفلسطيني قرّر مواصلةَ الانتفاضة متسلحاً بالإيمان والعمل المنظم بعد أن اعتمدَ فيما مضى على غيره، فلم يحقق له شيئاً وتبين زيفَ وعوده:(٣)

قد شاركَ الشعبُ كلّ الشعبِ أجمعه كلٌّ تسلّح بالإيمان والعملِ
ملّوا وعوداً من القربى لنجدتِهم لما تبيّن زَيفُ الوعدِ بالمُطلِ

ويبرزُ بعضُ الشعراء مشاركةَ المدينة في القتال، فها هو محمد العزة يختار غزّةَ هاشم أم الانتفاضة في الأرض المحتلة وقد خرج كلٌّ من فيها للقتال:(٤)

أطفالُ غزة والغيدُ الحسان بها والأمُ والشيخُ حتى الطيرُ والأكمُ
هبّت تقاتلُ غضبى عن كرامتها وانضمّ للرّكب باقي الأهلِ والتحموا

(١) يوسف العظم: الفتية الأبابيل، ص١٥.
(٢) عبد العزيز أبو غوش: انتفاضة شعب، بلا رقم في الأصل.
(٣) محمد حسين العزة: صوت الانتفاضة، ص٢٦.
(٤) المصدر نفسه،ص٣٩.

لم يبقَ من أحدٍ في الحيّ إذْ خرجوا كالموجِ تبصرهُم صفّاً إذا هجموا

نخلصُ من هذا أن انتفاضةَ أهلنا في فلسطين انتفاضةُ الشعبِ بجميع فئاتِه: الطفل، الشيخ والمرأة كلٌّ على قدر استطاعته، مُتَحدِّين بحجارتهم الصغيرة صلفَ العدّو الصهيوني المتغطرس، ضاربين كلّ يومٍ أمثلةً رائعة في البطولة والفداء عزّ نظيرُها في تاريخنا العربي، يؤازرهم في نضالِهم العادل أبناءُ الوطنِ العربي المخلصون، ومحبو العدل والسلام في العالم.

دورَ الحجر في بناء الانتفاضة:

إذا كانت الرومانسيةُ تنظرُ إلى الطبيعةِ على أنها كائنٌ حيٌّ تشارُكهم افراحَهم، وأحزانَهم، ويبثونَها شكواهم ونجواهم، فإن أبطال الانتفاضة رَأوْا أنّ الحجَرَ دون غيرهِ شريكَهم في القتال، يُحِسّ، ويتألمُ وقد نظروا إليه نظرَةَ تقدير واحترامٍ لما يرمز إليه من ثورة، وإنكارٍ لوجود الاحتلال على أرض فلسطين، وهو السلاحُ الوحيد الذي يمتلكونَه. وهذا ماجعلَه بطلاً فلسطينياً يختلفُ عن حجارة الأرض كلّها.

لقد أبدعَ الشعراءُ في وصف الحجر، وتناولوه من زوايا مختلفةٍ، فمنهم من وصفَه بالصلابةِ تعبيراً عن مدى تأثير الحجر، ومنهم من عدَّه حجراً مقدساً أغلى من كنوزِ الأرض. إنه حجرٌ مقدّس أعادَ للنضالِ على أرضِ فلسطين زهوَه وكبرياءَه. ومنهم من أضفى على الحجر صفاتِ حجارةِ سجّيل كما وردت في سورة الفيل، وتكررت كلماتٌ مثل: أبابيل، سجّيل، كما ربطَ الشعراء بين هذه الحجارة وحجارة الرمي في منى التي يُرمى بها إبليس في مناسك الحج .. وغير ذلك من الصفات.

ومن ذلك أنهم عبّروا عن صلابة الحجر وقوتِه في وجه العدوان بأنه صار قذيفة تخيف العدو، ويحار من هولها:(١)

---

(١) يوسف العظم: الفتية الأبابيل، ص٧٨.

سددٌ من المقلاع كل قذيفة   من هولها عقلُ الدخيلِ يَحارُ

والحجرُ صُلبٌ وعنيد ومقاوم حتى غدا قنبلةً موقوتة يمكن أن تنفجر في أية لحظة: [١]

حَجَرُ الضفةِ

يا حجرٌ صلبٌ وعنيد

ومقاومْ

ياقنبلةَ الأطفالِ الموقوتَة في الحارةِ والبيارة

يا زمجرَةَ الحقّ بوجه الظالم

كما أن الحجَر المقاتلَ بات غالياً وثميناً، كيف لا وهو الحجر المقاوم طغيانَ العدو، يصفعُه كلّ يوم على وجههِ معلناً الانتفاضة عليه: [٢]

حجرُ الضفة يا أغلى من كلّ كنوز الأرض

ويا فرحَ القلب، وبركانَ الثار

قَذَفتْكَ الأيدي في وجهِ الظلم

فكنتَ سلاحَ الأحرار

وهو حجرٌ يطلُعُ من فجرِ الصحوةِ والرفض: [٣]

يا حجَرَ الجيلِ الطالعَ

من فجرِ الصحوة

ياحجرَ الرفضِ الجيلُ ليس يساوم

ولأنّ الحجرَ أبقى جَذوةَ الثورة مشتعلة، فَدوّى مجدُه في زمنِ الصمت العربي يقول محمود الشلبي: [٤]

(١) محمود الشلبي: منازل لقمر الآس، ص١٢٢.

(٢) المصدر نفسه،ص١٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ص١٢١.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٩.

المجد للحجر الذي دوّى بصمت زماننا
والمجدُ للحجرِ الذي حفظ اليدا.

ويأخذ الحجرُ بعداً دينياً لما له من ارتباطٍ مقدس على أرض المقدسات الإسلامية والمسيحية ومن ذلك أنّه الحجُر الذي يُرمى به إبليس (لعنة الله عليه إلى يوم الدين):[١]

وارجم الشيطانَ بالأحجار لا ‏ ‏ ‏ تأمنِ الشيطان فهو العقربُ

ومن الصفات: أنه مقدس:[٢]

تكلمَّ الحجرُ القدسيُّ فانتفضت ‏ ‏ ‏ سواعدُ الصيدِ واندكّت أباطيلُ

وفي هذا المعنى يقول محمد العزة:[٣]

جَعَلتْ من الحجرِ المقدّسِ قصةً ‏ ‏ ‏ تُروى وأسلحةً بها تتزوّدُ

وكثير ما ربط الشعراء الأردنيون بين الحجر، وقصة أصحاب الفيل الذين أرادوا هدم الكعبة، إشارة إلى قوله تعالى: في سورة الفيل « ألم تر كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل. ألم يجعلْ كيدَهم في تضليل. وأرسل عليهم طيراً أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصفٍ مأكول »: صدق الله العظيم.

ونجد هذه المعاني الإسلامية عند يوسف العظم[٤]

حجارةُ القدس نيرانٌ وسجيلُ ‏ ‏ ‏ وفتيةُ القدسِ أطيارٌ أبابيل

وهو نفسه عند نايف أبو عبيد[٥]

فاقذف بسجيلِ الحجارةِ وجهَهم ‏ ‏ ‏ اقذفْ يباركُ سعيكَ الشّرفاءُ

---

(١) محمد حسين العزة: صوت الانتفاضة، ص٢٦.
(٢) يوسف العظم: الفتية الأبابيل، ص١٣.
(٣) محمد حسين العزة: صوت الانتفاضة، ص١١.
(٤) يوسف العظم: الفتية الأبابيل، ص١٣-١٥.
(٥) نايف أبو عبيد: أرجوان العمر، ص٥٤.

ويقتبس محمود الشلبي معنى السورة الكريمة وهو يخاطب حجر الانتفاضة:[1]

ياحجراً من سجيل

يجعلهم كالعصفِ المأكول

ويحفُرَ قبَر الغاشم

ويبدو حيدر محمود متأثراً بالرموز الدينية والتاريخية في قصيدة نشيد الحجارة، فهو يخاطب حجارة باب العمود طالباً منها أن تكون حجارة من سجيل، وطيراً أبابيل، ترمي اليهود (الحقيقيين)، ويهود الهوى والتفكير وإن كانوا ينتمون إلى أمة العرب:[2]

ياحجارةَ « باب العمود..»

ياحجارةَ سجيل كوني كطيرِ أبابيل

ترمي « يهود الهوى»،

واليهودَ ، اليهود !!

إن للبيت رباً سيحميه، من غدرِهم

وسيحميه من ذّلنا

ووردت بعضُ صورٍ للحجر نحو: الحجارة الموريات: أي التي تقدح شرراً، والحجر المبشّر والمفجّر، والمغيّر، والرسول، وغير ذلك من الصفات التي أضفاها الشعراءعلى الحجر ويمكن الرجوع إليها في أماكنها. [3]

يتضح أن حجَر الانتفاضة أضحى صورةَ فلسطين الحاضرةَ والمستقبَلةَ وهو أملِ الخلاص، وحقيقةُ الشعب الذي وجد طريقَه إلى التحريرِ بعد أن اتّضحَ فشلُ

(١) محمود الشلبي: منازل لقمر الآس، ص١٢٢.

(٢) محاضرات الموسم الثقافي الثالث، جامعة مؤتة، ١٩٨٨، ص١٩٩-٢٠٠.

(٣) انظر: حيدر محمود: الأعمال الكاملة، ص٩٠، ٩١. كذلك ديوان الانتفاضة، ص٢٢٢ وما بعدها.

الحبر والكلام والشعارات في المواجهة مع العدو:[١]

هو الآنَ مرآتُنا الواحدة

فمن ذا يحدِّقُ بعد انكسارِ المرايا

بغيرِ الحجارةِ والسُّنبلة

هو الآن مرآتُنا القنبلة

فمن ذا قاتل بالحبر بعد انكشاف الزوايا

هو الآن خطوتنا المقبلة.

ثم لم يكتفِ الشعراء بوصف الحجر وإنما راحوا يتغنون بأحرف الحجر، يقول حيدر محمود:[٢]

ما أجمل حاءَك يا حجرُ

وجيمَك ياحجرُ

ورعَدك يا راء الرفضِ

المتمردِ باسمِ الأرض

والحجارةُ هي مغناةُ الشعب وحلمُه الرائع. أمّا أطنان الأوراق والدواوين والروايات كلُّها طفت على سطح الماء، ولم يبقَ راسخاً إلاّ الحجر، فما ينفع الناسَ يمكثُ في الأرض وغيرُه زبدٌ لا قيمةَ له:[٣]

وهذي الحجارة مغناتُنا الحالمة

وماذا يقول المدادُ

وأطنانَ هذي الدواوين كلّ الروايات

تطفو على الماء إلاّ الحجر.

(١) خالد محادين: الأعمال الشعرية، ص٣٠٣.

(٢) ديوان الانتفاضة، ص٢٢٢-٢٢٣.

(٣) خالد محادين: الأعمال الكاملة (قصيدة من ديوان الحجر بعنوان: بعد انكسار المرايا) ص٣٠٢.

ومما أبدعـه الشاعر محمود الشلبي أنه قارن بين السيف والحجر، فوجد أن الحجَر أقوى من السيف لأنه لا يصدأ إذا ما صدأت الأسلحة من قلة الاستعمال:[١]

قد يصدأُ السيفُ الذي صقلتْهُ كفُّ محارب
حينَ التراب الرطب يصبحُ مرقدا
لكنّما الحجُر المقاتلَ لا ينامُ ولا يُضامُ
ولا يداخِلُه الصدأ

ومن الصور الرائعة للحجارة أنّ الطفل أيقظَها منذُ مطلعِ الفجر لتبدأ عملَها اليومي: [٢]

في الفجرِ أيقَظ كومةَ الأحجار
واستلّ اللهيبَ من المدى .

٣- الشهادة والشهيد:

لقد أخذ صوت الانتفاضةِ الفلسطينية يعلو شيئاً فشيئاً حتى بلغ أرجاء الدنيا، فوقف العالمُ مبهوراً أمامَ هذه القوة المتصاعدة يوماً بعد يوم، معلنة التحدي والإصرار على القتال، ومعتمدةً على الله -سبحانه وتعالى- وعلى طاقاته وقدراته المتواضعة، أمام عدوٍّ يمتلك كلّ أسلحة القتل والدمار.

ماذا يفعل المقلاع بالدبابة؟ وماذا يفعل الحجر بالرشاش ؟! لكنّها إرادة الشعوب التي صممت على انتزاع حقوقها من أعداء الحقوق والإنسانية.

لقد استطاعت الانتفاضةُ بسنواتٍ قليلة أن تحطّمَ أسطورة العدو الذي ظنّ أنه لايقهر، وبدأ العدوّ يواجهُ حرباً حقيقية اشترك فيها فئاتُ الشعب جميعها، وأيقن العدّو أن لا سبيل لوقف هذه الانتفاضة إلاّ باستخدام الأسلحة القادرة على وقفها، لكنه خاب ظنُه، فالانتفاضة تتنامى يوماً فيوماً، وهي ماضية في طريقها

(١) محمود الشلبي: منازل لقمر الآس، ص٣٤.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٤.

وإن كانت تدرك تماماً أنّه طريقَ الشهادة والنضال، وها نحن نسمعُ ونشاهدُ في كلّ يومٍ سقوطَ عدد من الشهداء على أرض فلسطين أضف إلى ذلك ما تفعله إسرائيل من جرائمَ ومجازر تقشعر لهولها الأبدان.

ومن هنا كان إعجابُ الشعراء بهؤلاء الأبطال الذين يلقون بأجسادهم الغضة في الشوارع والساحات أمام مجنزرات العدو وآلاته الحربية، أبطالاً يؤثرون الموت على الذلّ والشهادة على الخنوع والاستكانة.

ومن الجديد في أدب الانتفاضة أنه دخل فيه مضامين الشهادة والاستشهاد، والاستهانة بالموت، وتمنيه في كلّ مواجهةٍ مع العدو، كما نرى أن أطفال الانتفاضة يُقبلون على الشهادة بفرحٍ وسرور، وأصبحنا نسمعُ عن شعر يُحيي ذكرى الشهداء، وقَبول التهاني في المنازل، وهم يدركون تماماً ما تعنيه لفظة الشهادة التي تعني أنهم خالدون في نعيم مقيم عند ربهم يرزقون.

وكثيراً ما تحولت جنازةُ الشهيد في فلسطين إلى مظاهرة حاشدة وغضبٍ شعبي عارم، يعلنُ المحتشدونَ فيها الاستمرار في المواجهة، وبهذا فلقد تحولت مراسيمَ تشييعِ الجثمان إلى مناسباتٍ وطنية هامة، فيها تُشحذُ الهمم، ومنها يستمدون القوة لمواصلة القتال، فها هو يوسف العظم يتحدث بلسان الشهيد، وما أعدّ الله سبحانه وتعالى له من أجر عظيم في جنات الخلد، ويظهر تصميمُ المجاهد على القتال إلى أن يتحقق النصر، أو يلقى ربّه شهيداً:[1]

والقدسُ زُفّت للشهيد وحولَهـا   بيضُ الوجوهِ كأنّهم أقمـارُ
هاتي لنا الأكفانَ كي نلقى الردى   ونُزَفّ فالحورُ الحسان تغـارُ
لا أستكينُ ولا يذلّ كرامتـــي   في مفرقي سيفٌ ولا منشارُ
حتى ألاقي الله في ساحِ الوغـى   بدمِ الشهادة يُختَمُ المِشـوارُ

إنّ الشرف في أن نقضي جميعاً فداءً للقدس الذي ستُرف أرواحنا

(١) يوسف العظم: الفتية الأبابيل، ص٧٧-٨٤.

على قبابه ومآذنه بعد أن يتحقق النصر:(١)

إذا قضينا جميعاً حسبُنا شرفـاً   أنّا هنا وَحْدَنا نقضي ونُبقيهِ
وحسْبُ أرواحِنا مجدُ الطواف به   في كلّ حينٍ وأن تبقى تناجيهِ
ويوم يُبعثُ كلُّ الناس نُبعَثُ من   محرابِه وشذى أنفاسِنا فيـه

إنّ جرائمَ العدوِّ المستمرة جعلت الشعبَ الفلسطيني يقتحمُ الأهوالَ، ثابتاً جريئاً، فالموتَ لم يَعُدْ يُخيفُ لأنّه المنقذُ من الهوانِ الذي لا يطاق:(٢)

ليغضبوا... كيف شاءوا
من تطرفِنا....
فقد تساوى لدينا: الفوزُ والفشلُ
وما سوى الموتِ يُخشى وهو منقذنا
من الهوانِ الذي ما عادَ يُحتملُ.

وأبطالُ الانتفاضةِ جيلٌ تمرّدَ على حياتِه السابقة، فاستعذبَ الآلامَ، وسخِرَ من الموتِ، وهو بإلقائِه الحجارةَ يشيدُ جسورَ النصرِ والأمل، ويلغي بها شعارات المزاودة من أجل غد أفضل:(٣)

جيلٌ غدا يستعذبُ الآلامَ يسخرُ بالقبـــورْ
صَلبَ الجراح على جدار صموده خلف الصدورْ
ألقى حجارتَه، وشيَّد من حجارته الجســورْ
ألغى شعاراتِ المزادِ، وأطلعَ الفجرَ المنيــرْ

وكما تمرد الأطفال في فلسطين، تمردت المدنُ، واستعذبت الموتَ، فهذه غزة

(١) ديوان الانتفاضة، ص٩٨-٩٩.
(٢) حيدر محمود: الأعمال الكاملة، ص١١١.
(٣) عبدالعزيز أبوغوش: انتفاضة شعب، بلا رقم صفحة في الأصل.

لا تبالي بالموت:[1]

إنني غزةُ التي لا تبالـي | أو تهابُ الردى وقد عزّ جاري
علمتنا الأيامُ أن التنـادي | للمنايا يديرُ خيـرَ حـــوارِ
سوفَ ألقاهمُ بخيرِ سلاحٍ | من صخورٍ تنداحُ أو أحجـــارِ
ليزولَ الظلامُ من كلّ بيتٍ | وتشعُّ القلـــوبُ بالأنــــوارِ

والقدس عروسٌ مهرُها الدماء:[2]

والقدسُ أرضُ العلى والمجدُ مذْ عُرفَتْ | يباركُ القدسَ قرآنٌ وإنجيلُ
تلكَ العروسُ التي باهى الشهيدُ بها | ومهرُها من دمِ الأحرارِ مطلولُ

ومن الصّورِ الرائعة، صورةُ الشهيد الفلسطيني يزفّه الشبابُ، ويتحلقون حوله بالغناء، وحلقات الدّبكة:[3]

أومَا سمعتَ غناءهم؟
لما توسطهم حَسَن [4]؟
قد شُقّت الأرضُ استحالت
هزّةً لما أتَوْكَ بدبكةٍ
وتحلقوا حولَ الشهيد تهادروا دِحيّةً[5]
ياصوتَ نبضِ قلوبهم

أمّا لونُ دمِ الشهيد فهو أجملُ الألوانِ؛ حناءٌ مرة، وأرجواناً مرة أخرى:[6]

---

(١) يوسف العظم: الفتية الأبابيل، ص٢٤.
(٢) المصدر نفسه، ص١٥.
(٣) عائشة الخواجا الرازم: حسن الفلسطيني وثورة الحجارة، ص٢٠.
(٤) حسن : رمز لكل شهيد فلسطيني.
(٥) الدحيّة: نوع من الرقص الشعبي عند الرجال تشبه الدبكة.
(٦) المصدر نفسه: ص٣٢.

مالونُ دمِّكَ يا حسن؟

هو أجملُ الألوان

للخصبِ العظيم

له حمرةُ الحناءِ، للأعراسِ في وطني.

وتردد في ذكر أوصاف الشهيد بعضُ المفردات الإسلامية[(١)] ويؤكد الشاعر على حقيقة أن القدس لن تفتح أبوابها لأهلها إلاّ إذا استمرّ نهرُ الدّم متدفقاً ممن يُقبلون على الموتِ ولا يرضون بالعار:[(٢)]

لا يفتحُ بابُ القدس لنا

إلا أن نصبحَ كالأطفالِ قرابينا

يَرضَونَ الموتَ بإصرارٍ

لكن لا يرضى واحدُهم يا سادةُ أن يحيا بالعار.

يتبيّن من ذلك أن أبطالَ الانتفاضة كانوا -وما زالوا- يواجهون الموت بأكفٍّ مشرعة، وصدورٍ عارية، ويقبلون عليه غيرَ خائفين من النهاية المحتومة، يدركون حقيقة أن فلسطين لن تعود إلا بالدماء،وأنّ أبواب القدس لا تفتح إلاّ للمجاهدين الصابرين، ومن هنا نجدُ إصرارَهم العنيد على الموت طلباً للنصر أو الشهادة، حتى صار يوم استشهادهم عرساً يجتمع فيه الأهل يرقصون ويغنون، ويتحلقون على الشهيد العريس، مؤكدين على مواصلة القتال واقتفاء أثره حتى يعودَ الحقُّ إلى أهله أو يمضوا إلى السماء مرضيّاً عنهم ينعمون في جناتِ الخلد التي أُعدّت للمجاهدين.

(١) عبدالعزيز أبو غوش: انتفاضة شعب، بلا رقم صفحة في الأصل.

(٢) محمود فضيل التل: جدار الانتظار، ص١٠٣.

٤. الرد على جرائم الصهيونية بمواصلة القتال:

لقد قامت السياسةُ الصهيونية كما خطط لها زعماؤها- على الإرهاب والقمع مستخدمةً شتى أنواع الأسلحة لتحقيق مآربها وأطماعها على الأرض العربية.

ولعلّ من المتعذرِ الإحاطةَ بجرائم العدو الصهيوني، إلاّ أنّ هذا لا يمنع من عرض بعض النماذج التي تُبيّن مدى الحقدِ الصهيوني في فلسطين.

إن طبيعةَ الصراع المستمر مع العدو الصهيوني منذ بدء الانتفاضة يتطلب مواجهة مستمرة، وهذه المواجهة مع العدو تشتمل على جميع الأعمال التي تشلُّ حركة العدو في الشارع والمصنع والقطار والحافلة والأسواق .. ومن هنا كانت خطورة الانتفاضة. لقد وجَد العدوّ أمامَه خيارين: الأول السكوت عن هذه الأعمال وهذا لا يكون ... والآخر مواجهة الانتفاضة بكافة الأسلحة الفتاكة وهذا ما اختاره العدو على أرض فلسطين، فما من وسيلة قمعية إلاّ واستخدمها بشراسة أمام شعبٍ أعزل يرفضهم ويرفض وجودَهم بحجرِه.

إن الانتفاضةَ جعلت العدّو يواجهُ حرباً حقيقة، وعلّمته أنه كلما زاد في تعنته وجبروته ازدادَ الشعبُ الفلسطيني مضاءً وإصراراً على الانتفاضة. ومن بين هذه الجرائم: أنهم شردوا شباب فلسطين، ومنعوهم من الدخول فيسأل. أبو فراس (١)

فإلامَ أبقى في البلادِ مشرداً ... وتظلُّ أمي في أسىً وحدادِ

وعلى الحدودِ حواجزٌ يمنّعننا ... من أن نمرّ لمو طنِ الأجــداد

ما هذه الأصفادُ حولي كلّهـا ... أوليس لي فكّ من الأصفادِ؟

وهذا شيخٌ طاعنٌ هدّ العدو منه الساعد، وجرّعه كأس الذل، بعد أن عاث اليهودُ في القدس والمحراب فساداً، ورفعوا على قبابها نجمة صهيون:[٢]

---

(١) ديوان الانتفاضة «من قصيدة: أمي تناديني، أبو فراس النطافي»، ص٥٩.

(٢) ديوان الانتفاضة: «من قصيدة رسالة من القدس: يوسف العظم»، ص١٤١.

من ذا الذي هدّ مني ساعداً ويداً   هل ضاع دربي أم زلت بي القدمُ
لقد جرَعنا كؤوسَ الذلّ مترعةً   والقدسُ في العارِ والمحراب والحرمُ
والصخرةَ اليوم باتت غيرَ شامخةٍ   لأنّ نجمةَ صُهيونٍ لهـا عَلَمُ

ومن جرائمهم أنّهم لم يتركوا فرداً إلاّ أصابَه شيءٌ من حقدهم ومكرهم كالاعتقالات والقتل، ووأد الأطفال وغير ذلك:(١)

أبطالُنا اعتُقلوا .. أطفالُنا قتلوا   أشبالُنا جرحوا ... والبعضُ يَحتضرُ
أحبابنا طُردوا .. فتياننا شُدوا   آباؤنا اضطهدوا فلذاتُنا قبروا
حتى الأمومةَ لم تسلم فما رَحِموا   أمّ الجنين فكم شلّوا وكم بقروا
عاثوا فساداً ..تمادَوْا في غرورِهمُ   فليحصدوا بعد هذا بعضَ ما نذروا

ومن جرائمهم أيضاً:(٢)

لم يبقَ عِرض ولا أرضٌ ولا نشبٌ   إلاّ وقد نالَ منه الطامعُ النَهِمُ

ومن ذلك أيضاً سجنُ النّساءِ، وذبحُ الشيوخِ، ونفيُ الشبابِ واعتقالُهم:(٣)

يقاومُ أطفالٌ فتُسْجن أمُّهـم   ويُذبحُ شيخٌ فوقَ صدرِ المنابرِ
يُنفي الشبابُ الحرّ يُبعدُ عَنْوةً   فُرادى جماعاتٍ لسحقِ الكوادرِ
ومعتقلُ الأنصارِ وَسْط جحيمِه   رجالٌ غِضابٌ كالأسودِ الكواسرِ

وبسبب استمرار هذه الجرائم البشعة ضد شعب أعزل نجد أبناءنا الميامين يعلنونها حرباً مستمرة، بحجارةٍ من سجيل تحرق من يعترضُ طريقَها:(٤)

إن انتفاضةَ هذا الشعب ملحمةٌ   إكليلُها الغارُ والإيمانُ والحجـر
أنتم -بني شعبيَ- العملاقِ عزتُنا   وفخرُ أمتِنا إذ نحن نفتخـرُ
زرعتمو الأرضَ أجساداً مطهـرةً   لتنبتَ الأرضُ جيلاً وعْدُه الظفرُ
صُبّوا لظى الحقد أحجاراً مسجّلةً   فيها الأبابيلُ لا تُبقي ولا تَـذَرُ

---

(١) عبدالعزيز أبو غوش: انتفاضة شعب، بلا رقم صفحة في الأصل.
(٢) محمد حسين العزة: صوت الانتفاضة، ص٤٢.
(٣) المصدر نفسه، ص١٥.
(٤) عبدالعزيز أبو غوش: انتفاضة شعب، بلا رقم صفحة في الأصل.

والمعركة مستمرة على النحو التالي:[١]

أولادٌ يعدّون المقاليعَ

وأصداءُ هتافاتٍ وراياتٍ وعسكر

يُطلقون النّار في زهوٍ وفوضى

وصبيٌّ آخرُ يهوي شهيداً فوق إسفلتِ الطريق

ونلمحُ التصميمَ على القتالِ على الرّغم من النهايةِ المحتومةِ على أيدي جنودِ الاحتلالِ فيستخدمُ(أبو غوش)صيغَ الأمرِ والنهي التي تحث المقاتلين على الاستمرار دون توقف:[٢]

يَردونَ حوضَ الموتِ دونَ تردّدٍ — كي يجعلوا الغازينَ شرَّ وقودِ
ألقِ الحجارةَ .. والزجاجَ بقوةٍ — وانزعْ براثنَ معتدٍ شرّيـــــدِ
لا تعْطِه نَفَساً وقفْ في وجهه — كالماردِ العملاقِ دونَ هُجــــود
قلّم مخالبَه وشُدّ وثاقــــه — واضربه أنّى كان بالجلمــــودِ

إنّ الشعبَ الفلسطيني يواجُه هذه المجازَر ببسالةِ الأبطال، متسلحاً بالإيمانِ والحجر الذي قُدّ من صخور الجبال:[٣]

تسلّحَ بالإيمانِ شعبٌ تجمّعتْ — عليه قُوىً من ضاربٍ ومُحاصرِ
فريدةُ نوعٍ يا انتفاضةُ شعبنا — حرابك قُدّت من صخورِ المحاجرِ

ووجّه الشعراءُ نقدَهم لمن تقاعسَ عن نصرةِ الانتفاضةِ بعد أن أبرزوا تصميمَ الشعب الفلسطيني بالاستمرار في الانتفاضة المباركة، وعاب على من

---

(١) مجلة أدب ونقد، العدد ٤٨، السنة السادسة، حزيران، ١٩٨٩،«قصيدة الانتفاضة: مريد برغوثي»، ص١٣٦.

(٢) عبدالعزيز أبو غوش :انتفاضة شعب، بلا رقم صفحة في الأصل.

(٣) محمد حسين العزة: صوت الانتفاضة ص. ٣

قال إنّ (إسرائيل) قوةً جبارة لا تُهْزَم، فيقول نايف أبو عبيد:(١)

قالوا ذراعَ البغي جدَّ طويلةٍ   كيفَ النجاةُ وكلُّنا ضُعفاءُ
فنزعتُم الأوهامَ قلتُم من هنا   يسري الألى ناداهمُ الإسراءُ

ويمتدحُ الشاعرَ أطفالَ الانتفاضةِ الذين صاغوا بحجارتهم قصائدَ المجد:(٢)

أصغارَنا الأبطالَ عفوَ جهادكِم   نحنُ الخُواءُ وأنتمُ الشعراءُ
أصغارَنا الأشبالَ عفوَ نضالِكم   منا البكاءُ وأنتمُ البُسلاءُ

كما ينتقدُ الشاعرُ الأردنيُّ وقوفَ العالمِ متفرجاً على مجازِربني صهيون:(٣)

الطفلُ يشرَّد لا يعرفُ أينَ البيت
وأينَ الأهل، وأين الدار
هُدمت أو مسحت أحياناً
واحتلت أحياناً أخرى، فالدار دمار
والطفلُ يموتُ صباحَ مساءَ، وليلَ نهار، والعالمُ يُحييها خطباً
ويقيمُ على أرواحِ ضحايا هذا الشعبِ حوار!!

وأمام هذا الواقعِ المؤلم، وما يقومُ به العدُّو من مجازرَ دمويةٍ باتت تتأكد حقيقةُ المثلِ العربي الذي يقول: «ما حكَّ جلدَكَ مثلُ ظُفْرِك». وأنْ ليس أمام الأهلِ في فلسطين إلاّ أن يأخذوا زِمام أمورِهم بأنفسِهم، وأن يتوكلوا على الله، ثمّ على الحجر الذي أصبح خيرَ سلاح بعد أن ملّوا الانتظار:(٤)

---

(١) نايف أبو عبيد: أرجوان العمر ص٥٥.
(٢) المصدر نفسه، ص٥٦.
(٣) محمود فضيل التل: جدار الانتظار، ص١٠٤.
(٤) ديوان الانتفاضة «قصيدة بعنوان: أوراق من مفكرة شارع عربي خلال الانتفاضة: إبراهيم نصر الله»، ص١٨١.

ويصعد في كل يومٍ علينا

ومن دمنا منشداً .. مزبدا

«أخي جاوزَ الظالمون المدى»

وانتظرنا وانتظرنا

فلاحقّ ذاكَ الجهادُ ولاحقّ ذاك الفدا !!

كما اتّجه النقدُ إلى الأنظمةِ العربية التي وقفت تتفرجُ على مآسي الأهل والطفلُ الفلسطيني يحاربُ العدوَّ نيابةً عن الأمة العربية كلِّها:(١)

أصغارَنا الأحبابَ يا ألقَ الضحى طلعت لنا في ساحِنا دهياءُ

أصغارَنا الأحبابَ عفو بلائكم نحنُ الغثاءُ وأنتُم الأصلاءُ

قمتم إلى الطاغوتِ يا جيلَ الفدا فتزلزلت من تحتِه الأرجاءُ

وعلى العموم، قدّم لنا الشعر الأردني صوراً مؤثرة، تهزُّ المشاعر عن جرائم العدو الصهيوني ومجازره على أرض فلسطين، كما رسَم الشعرُ صورةً بطولية فريدةً لشعب أعزل يقاوم الطلقة بحجر صغير، والدبابة بزجاجة حارقة، واستطاعوا بمُدةٍ وجيزة أن يقلقلوا جندَ بني صهيون، ويذيقوهم مرارة الهزيمة، وهي انتفاضةٌ مستمرة -بعون الله- إلى أن يزول الشرُّ وأهلُه ويعودَ العَلَمُ العربي خفّاقاً على أرض فلسطين، ويرتفعُ أذان الحق على قباب القدس.

ولدى استعراض مجموعات متنوعة من دواوين الشعر الأردنية التي تناولت الانتفاضةَ الفلسطينية نجدُ ظاهرةً بارزة ميّزت الأدب الأردني ألاّ وهي ظاهرة الأمل والتفاؤل الذي غدا سمة من سمات شعر الانتفاضة والتركيز على الطفل الذي يرسم معالم النصر القادم، وكمثالٍ على هذه الظاهرة الفريدة ما نلاحظه عند حيدر محمود في ما قاله عن الانتفاضة من أنها اللهيب الذي تفجّر في الصحراء، وأنها ستعيد التاريخ العربي المشرق وتجدده:(٢)

---

(١) نايف أبو عبيد: أرجوان العمر «قصيدة بعنوان: ثورة الحجر»، ص٥٥.

(٢) ديوان الانتفاضة، ص٩٧.

وأرجعيه إليها أُرجعي مهجاً ظمأى إليه ليرويها وترويه
واطلعي في صحارينا النخيلَ ففي ظلِّ النخيل بدأنا ما سنُنْهيه
وفجِّري في الرمالِ الهاجعاتِ لظىً تُعيدُ تاريخَنا الزاهي وتحييه

وهذا ما نجدَه عند نايف أبو عبيد الذي سيغني بعد الانتصار الذي يتحقق على أيدي أبطال الانتفاضة:[1]

والروحُ ستبقى واحدةً ماشطّت عادت للمنبع
معكم سأغني يا أهلي «أجراسُ العودة فلتقرع»

وتبدو ظاهرةُ الأمل والتفاؤل الذي فجّرته الانتفاضة بارزةً عند خالد محادين:[2]

فها أنت تخرج من تحتِ زيف القرارات
كل ركامِ الخرافات
ها أنت تخرُجُ كي تُعلنَ الآن
أن الحجارة عنوانُنا والرّهان

والذي يظهر لي أنّ سببَ ظاهرة الأمل والتفاؤل والاستبشار بالنصر في شعر الانتفاضة يعود إلى جملة من الأسباب منها:

إن الانتفاضة أعادت الثقة بالنفوس، وعززت روح الصمود والصبر؛ فبعد الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ حاول (الكيان الصهيوني) تحجيم الحس الوطني لدى أبناء الشعب العربي من خلال ممارساته القمعية اليومية من تهجير، وتشريد، وطرد، وإنشاء مستوطنات وغير ذلك من الممارسات.

ومع بدايات السبعينات والآثار العظيمة التي جناها العرب في حرب

(١) المصدر السابق، «قصيدة بعنوان: ريح الشعب: نايف أبو عبيد»، ص١٦١.
(٢) خالد محادين: الأعمال الشعرية، ص٣٠٧.

تشرين التحريرية، بدأ المواطنُ العربي يقتنع أن (إسرائيل) تقوم على الدعاية الإعلامية لفرض سيطرتها على الإنسان والأرض، كما أنها مُنيت في لبنان بهزائم نفسية مريرة إذ لم تستطع فرض نظامها الأمني خارج حدود فلسطين كما خططت له.

ضمن هذه الأجواء التي تبعث على الأمل برزت الانتفاضة لتعيد الأمل إلى النفوس الظمأى، وأعلنت منذ عام ١٩٨٧ أنها ثورةٌ شعبية عارمة تضمّ كافة أبناء فلسطين منطلقة من الداخل، ومعتمدة على قدراتها المتواضعة بعد أن اعتمدت طويلاً على أن النصرَ يأتي من خارج حدودها لكنه لم يأتِ.

ولقد أظهرت يومياتُ الانتفاضة أن الأمل بالنصر لم يفارق أطفال الحجارة على الرّغم من وحشية العدو وجرائمه التي تركت بصماتِها على أجساد الأطفال في الشوارع والحارات.

وهم مع كلّ هذا فرحون مستبشرون، ومقتنعون أنها المرة الأولى التي خاض العربُ فيها حرباً حقيقية بعد أن اتخذوا قرارهم بأنفسهم وبعد أن فقدوا كلّ أملٍ من غيرهم.

وإذا كانت الأنظمة والمنظمات قد رسمت أهداف الحروب السابقة، فمُنيت بالهزيمة تِلوَ الهزيمة، فإنّ الانتفاضة الفلسطينية بصدقِ توجهاتِها قد جنت ثمارَ جهادِها نصراً مؤزراً منذُ انطلاقها وحتى يومنا هذا.

وبعد، فقد تبين من خلال هذا أنّ الصراع العربي- الصهيوني في الشعر الأردني تناول عدداً من المواقف القومية التي أثّرت فيه، فتفاعلَ معها باعتبارها أحداثاً قومية برزت بشكل واضح في الشعر الأردني.

ومن هذه المواقف: نكسة حزيران عام ١٩٦٧، التي كانت-حقاً- زلزالاً قوياً وعنيفاً هزّ أركان الثقافة العربية، فوجدَ المثقف والمفكر العربي نفسه أمام واقع مرير، وتحدٍّعظيم، راح يُعبِّر عنه بأسىً ومرارةٍ غطت نتاجه الفكري فترة ليست بالقليلة، إلى أن استعاد الشعرُ من بينها عافيتَه بعد الانتصارات المحددة التي حققها في حرب تشرين عام ١٩٧٣، فبدأ الشعر بتمجيد الانتصارات، والدعوة

للوحدة العربية الطريق الوحيد نحو استرداد ما فُقد من أراضٍ عربيةٍ إلاّ أنه شعر قليل لم يتعد بعض القصائد، والسبب -في ظني- يعود إلى قِصر مدة الحرب، أضف إلى ذلك أن الشعر لا بد له من فترة معقولة حتى يتوهج وينضج، وهذا ما لم يتوافر في حرب تشرين عام ١٩٧٣.

وينبغي أن لا يغيب عن البال أن الأردن واكب قضايا أمته القومية -وبخاصة قضية فلسطين وصراعها مع الصهيونية- منذ بدايات تأسيس الإمارة وظهور الاستعمار البريطاني وربيبته الصهيونية العالمية التي استهدفت فلسطين كنقطة ارتكاز تنطلق منها إلى باقي الدول العربية، وهذا نلحظه في شعر تلك الفترة عند مصطفى وهبي التل (عرار) حين ندّد بوعد بلفور وحذّر من عاقبة الفرقة والخلاف، كما نلاحظ بعض المواقف القومية حين اشترك زعماء الأردن في المؤتمر السوري العام الذين رفضوا التخلي عن إخوانهم الفلسطينين العرب .

وظهرت بعض القصائد القومية تثبت مدى العلاقة الوطيدة التي تربط الشعبين: الأردني والفلسطيني، منذ بدايات هذا القرن، وحتى يومنا هذا، كما هو الحال عند حسني زيد الكيلاني، حسني فريز،عبدالمنعم الرفاعي، وعيسى الناعوري وغيرهم.

كما يجب التأكيد على أن الثورة العربية الكبرى انطلقت من الأردن ثورةً عربية تهدف إلى توحيد جهود الأمة العربية في دولة قوية، تستطيع مقاومة التحديات المفروضة عليها بعد أن رزح الوطنُ العربيُّ تحت نيرِ الحكم العثماني بضعةَ قرونٍ من الجهل والظلم والاستبداد.

ومن المواقف التي تناولها الشعر الأردني الحربُ اللبنانية-الإسرائيلية والحروب الأهلية، فعرضَ المأساةَ اللبنانية في شعر شعرائه، وصوّرَ جرائمَ الصهيونية بعد خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت عام ١٩٨٢ في صبرا وشاتيلا، الجريمة التي يندى لها ضمير العالم الحيّ بما قامت به الصهيونية بمعاونة القوى اللبنانية العميلة على قتل مئات الأطفال والشيوخ والنساء

داخل المخيمات، ودفنهم تحت التراب، أمام سمع العالم وبصره.

والملاحظ على الشعر الأردني في مأساة لبنان أنه شعرٌ غزير، ويرجع السبب -كما يبدو لي- إلى أنّ الشعراء الأردنيين تعاطفوا مع الأحداث الدامية في لبنان بعد أن استمرت فترة طويلة نسبياً كما أن بعض الشعراء الأردنيين كانوا من أصل فلسطيني فارتبطوا مع أحداث لبنان معقل المقاومة الفلسطينية المتواجدة في بيروت والتي كانت تقوم بعمليات فدائية جريئة داخل فلسطين.

كما أنّه من غير الممكن على شاعر آمن بالعروبة أن يسكت عن جرائم العدو ومجازره في لبنان ضد شعب أعزل.

أما الانتفاضة الفلسطينية التي بدأت في الثامن من كانون الأول عام ١٩٨٧ فهي من أهم المواقف القومية التي تناولها الشعر الأردني، فبرزت فيه بعض المضامين القومية ومنها: تخليدُ أبطال الانتفاضة كالطفل والمرأة والشيخ، وتمجيدُ الحجر الفلسطيني الذي أعاد الثقةَ للنفوس، كما سجّل الشعرُ جرائم الصهيونية البشعة من قتل وطرد واعتقال لمواطنين أبرياء سلاحهم الحجارة. وأثبتت الانتفاضة مدى تجذر الفلسطيني في أرضه بعد أن فقد العون من الخارج فصار أملُه في النصر بين يديه.

لقد ظهرَ الطفلُ بطلاً حقيقياً لا يحملُ رُتَباً ولا أوسمةً ونياشين، وبصبره وثباتِه استطاع أن يحقّقَ نصراً موزراً في كل يوم، معرِّضاً جسده الغضّ للدبابات (الإسرائيلية) وبنادقِه الحاقدة، غيرَ خائفٍ من الموت.

لقد وُجِد في أدبِ الانتفاضة لونٌ جديد من التعبير وهو أن الشهيد كانت تُقام له أعراسٌ في منزلِ والده، يُدعى إليها الأهلُ وأبناءُ المدينة، ويُعْلَنُ عنها في الصحف، يقيمون فيها الأفراحَ للشهيد، وَسَط زغاريدِ الأمهاتِ وفرحةِ الأهل، وبعدها تتحولّ هذه الأعراس إلى مظاهراتٍ شعبية عارمة.

لقد واكبَ الشعرُ الأردني أحداثَ الأمةِ جميعِها، وهذا يؤكدُ حقيقةً لا مراء فيها وهي أنّ الأردنَ ما كان يوماً إلاّ لأمتِه العظيمة.

الفصل الثاني

الصراع العربي الفارسي

الفصل الثاني

الصراع العربي - الفارسي

مدخل:

الحرب من الأحداث العظيمة في تاريخ الأمة، ولا يجد المرءُ مناصاً من أن يشارك فيها قدر استطاعته لدفع الضرر عن نفسه وعن بني قومه، وعن كل ماله علاقة به.

والشاعرَ واحدٌ من هؤلاء، وإن كان أكثرُهم حساسيةً في تفاعله مع الأحداث، لأنه يصّورُ في شعرِه أحاسيسَ قومه، ويؤرخُ بإبداعه لتطلعاتِ الأمة وآمالها، وبخاصةٍ إذا كان الصراع حاّداً، والمواجهة عنيفة.

والشعرَ إذ يؤرخ للحرب العراقية - الإيرانية ، فإنّه سيبقى وثيقةً تاريخية تضاف إلى وثائق الصراع العربيّ- الفارسيّ على مّر العصور.

ومن الخطأ الفادح أن تُعَدَّ الحرُب العراقية -الإيرانية حرباً بين دولتين على حدود أو أراضٍ مشتركة، إذ لو كان الأمرُ كذلك لما وجدنا شعراً عربياً يسجلُ أحداث هذه الحرب، ولما رأينا أفواجَ المتطوعين، وكتائبَ المقاتلين تلبّي نداَء الأمة، وتتوجه إلى العراق لنصرتِه والدفاعِ عنه ضّد الطامعين من الفرس في الخليج العربي.

«إن الهجمةَ الفارسية التي تعرّض لها العراق في الرابع من أيلول عام ١٩٨٠ ليست سوى امتداد لتاريخ الصراع العربي - الفارسي. هذا الصراع الذي نشب عنيفاً بين إيران والعراق على امتداد الزمن، فمن المعروف أن العراق كان يتعرضُ للعدوان الفارسي كلّما مرّ في مرحلة نهوض حضاري، بقصد تطويق تطورِه وجعله في مرحلةِ ضعفٍ دائم، لتمكينِ إيران من بسط سلطانِه على أراضيه».[1]

وهي حرب « استهدفت الوجودَ القومي والإنساني للأمة العربية من خلال العدوان على العراق ، وهي جزءٌ من مسيرة عدوان تاريخي متأصل اتّسمت به

---

(١) انظر حسين الأجرب: جذور حرب الخليج، دارالفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٦،ص ٩.

السياسات الإيرانية إزاء العرب في مختلف المراحل التاريخية، وعبر هذه المسيرة الحافلة بأعمال العدوان كانَ الفرسُ يتعمدون خلقَ مبرراتٍ للصراع مع العرب »[1] .

ويرى بعضَ الباحثين أن جذوَر النزاع بين العراق وإيران كان بين عرب وفرس، ويرجع تاريخه إلى عام ٦٠٦ق.م[2] إلاّ أن بداية القرن السادس عشر للميلاد هي بداية الصراع الشرسة، لأنّه صراع شاركت فيه ثلاث قوى أساسية هي: التركية والفارسية والعربية ، وتمكنت الأولى من قهر القوتين الأُخريين في عامي ١٥١٤و ١٥١٦م. وعندها بدأت حقبة السيطرة العثمانية على الشعب العربي في حين ظلّ الفرس يتمتعون بالاستقلال[3].

ففي عام ١٥٥٤م احتلّ العثمانيون العراق وبذلك أصبحوا على خط تماس مع الدولة الصفويّة (الإيرانية) وتمّ توقيع معاهدة بين العثمانيين والصفويين والتي تنص على الاعتراف بسيادة الامبراطورية العثمانيةعلى العراق، وتلتها معاهدات واتفاقات كمعاهدة زهاب عام ١٦٣٩، واتفاقية (كردن ١٧٤٦م) وأرضروم الأولى ١٨٢٣م)، والثانية عام ١٨٤٧م. واستمر الصراع حتّى بعد الحرب العالمية الأولى، حيث ظهرت حدود العراق وإيران السياسية، والتي رسمتها بريطانيا بعد أن خرجت من الحرب العالمية الأولى منتصرة حسب ما تمليه عليها مصالحها وسياستها فأوجدت التعقيدات المتداخلة في شط العرب، وعربستان والخليج العربي قبل خروجها من المنطقة.[4]

---

(١) الأبعاد الاستراتيجية للحرب العراقية - الإيرانية (ندوة علمية لمركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة بالتعاون مع مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي من١٢-١٩٨٨/٤/١٤» بحث بعنوان: دراسه في العداء الإيراني للعرب، ذياب نبهان »ص ١٤٣.

(٢) مجلة المستقبل العربي، العدد ١٨٧، السنة السابعة عشرة، أيلول ، ١٩٩٤، ص١٥٤.

(٣) قادسية صدام والخيار القومي (مجموعة دراسات)، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ط١، ٩٨٦، «بحث بعنوان :الصراع والوعي القومي الحضاري، عبّاس عبد جاسم» ص٧١

(٤) محمد المومني: الحرب العراقية -الإيرانية، ١٩٨٨، ص١٧٩

وبعد أن انفصلَ العراق عن الامبراطورية العثمانية في أعقاب الحرب الأولى أصبح دولة مستقلة ورِث عن تلك الامبراطورية المعاهدات والاتفاقات الخاصة بالحدود وآخرها بروتوكول سنة ١٩١٣م. ووقعت العراق تحت الانتداب البريطاني الذي كان يدير السياسة الخارجية العراقية منذ أن نالت العراق استقلالها عام ١٩٢٠م، ولمّا تسلّم رضا شاه بهلوي الحكم في إيران اعتبرالمعاهدات والاتفاقات الحدودية مع العراق ناقصة، وألغى اتفاقية ١٩٣٧م، التي رسمت حدود البلدين، وبدأ بعد ذلك بتصعيد المواقف العسكرية، إلى أن قامت إيران عام ١٩٧١م باحتلال الجزر العربية الثلاث: طنب الكبرى والصغرى وأبو موسى من الإمارات العربية المتحدة، كما قام بشن حرب شرسة على الأراضي العراقية في عامي ١٩٧٤- ١٩٧٥م، تبع هذا الإعتداء تجاوزات شملت اختراق الأجواء العراقية، وقصف مراكز الشرطة والأراضي والقرى الحدودية، وانتهاك حرمة المياة الأقليمية العراقية والاعتداء عليها.[1] وفي شهر آذار من عام ١٩٧٩، وصل آية الله الخمينيّ للحكم في إيران وبعد ذلك في ١٩٨٠/٩/١٧ ألغت العراق اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ لأن إيران رفضت الالتزام بها ، وأعلن مجدداً أن شطّ العرب مُلْكٌ للعراق بالكامل وأن عربستان عراقية، وعلى إيران إعادة الجزر الثلاث للإمارات العربية المتحدةومؤكداً على حقوقه في مياه الأنهار. وبدأت بعد ذلك مرحلة جديدة من الصراع العسكري، والمواجهة اليومية المستمرة في حرب استنفدت طاقة البلدين المسلمين مدة ثماني سنوات.. مواجهة لم يكن للعراق فيهاإلاّ أن يتصدى للخطر الفارسي الذي يهدد الوطن العربي على بوابته الشرقية، محاولاً أن يتمدّدَ على حساب العراق وأن يعيدَ أمجاد الإمبرطورية الفارسية، وحكمَ الأكاسرة الذي خبا بريقَه منذ انتصارِ المسلمين في القادسية الأولى .

---

(١) انظر عبد الرازق أسود: موسوعة الحرب العراقية -الإيرانية، المجلد الأول، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٩٨٤، ص١٧

موقف المملكة الأردنية الهاشمية من الحَرب العراقية-الإيرانية

كان الأردنّ في طليعة الدول العربية التي أدركت حقيقةَ انتمائها للأمة العربيةالمجيدة مَلِكاً وحكومةً وشعباً، فأعلن منذ بدايةِ الحرب أنّه مع العراق، وأن الأردنَ العمقُ الاستراتيجي للعراق، فغدت أراضيه وميناؤه، ومطاراته مفتوحةً أمام أشقائه العراقيين، ومنذُ اللحظةِ الأولى أعلنوا انحيازَهم لأبناءِ الرافدين.

وسيذكُر التاريخُ بكل فخر واعتزاز ماقاله جلالة الملك الحسين المُعظّم منذ البداية : (لن نقف متفرجين إزاء ما يحدث بين العراق وإيران، نحن إلى جانب العراق لإستعادة حقوقه التي هي حقوق العرب أجمعين).[1]

ولا غرابةَ في ذلك، فالأردنُّ يحملُ هماً قومياً يتعدّى حدوَد القطرِ والإقليم وهو صاحبُ رسالةٍ قوميةٍ خالدة منذُ فجرِ تأسيسِ الإمارة، إذ نصّ دستوره على أنه جزء من أمتِه العربية، كما ينبغي ألاّ يغيبَ عن الأذهانِ أنّه وارثُ رسالةِ الثورةِ العربية الكبرى، الذي قدّم الشريفُ الحسينُ بن علي -طيّب الله ثراه- نفسَه الزكيةَ ثمناً لطموحاتِه القومية الرامية إلى تحرير العربِ وتوحيدِهم، فترسّم جلالةُ الملك الحسين المُعظّم خُطى أجداده الميامين من بني هاشم.

لقد نظرَ الأردنُّ إلى الحربِ العراقية -الإيرانية على أنّها حربٌ عربية -فارسية وأن الصراعَ الدائرَ على البوابة الشرقية ليسَ صراعاً حدودياً، وإنما هو صراعٌ قوميّ، يكشف هذا مخططاتُ (الثورة الإيرانية) التي تريد تصدير الثورة إلى جيرانِها العرب.

كما أن الأردنّ دعاإلى مؤتمرٍ للقمة العربية في عمّان في الثامن من تشرين ثان عام ١٩٨٧، أُطلق عليه اسم (مؤتمر الوفاق والاتفاق) كان على رأس جدول أعمالِه الحربُ العراقية، وكيفية مساندة الأهل في العراق بشتّى الوسائل المختلفة، والتصدي لعوامل الفرقة والضعف في تلك المرحلة الدقيقة.

---

(١) صحيفة الرأي، العدد ٣٨٠٥،بتاريخ ١٥/١١/١٩٨٠.

من هذا يتّضح أنّ الصراعَ العربي -الفارسي ليس صراعاً بين دولتين متجاورتين، وإنّما هو صراعٌ تاريخي تؤيده الانتهاكات المتكررة من الجانب الإيراني، وليس العراقُ هو المقصودُ فحسب، بل الوطنُ العربي كذلك وبخاصّة دول الخليج العربي الصغيرة.

× وكذلك ينبغي أن نتنبّه إلى خطر مقولة الثورة الإسلامية في إيران، فما التستر بالدين الإسلامي إلاّ وسيلة لبسط نفوذه على حساب الأرض العربية وكان يمكن أن تسخّر قوّة إيران المسلمة لإيقاف الخطر الصهيوني على أرض فلسطين لو أرادوا ذلك.

وعلى الرغم من محاولات العراق الداعية إلى السلام، ووقف الممارسات الخاطئة من الجانب الإيراني إلاّ أن إيران بقيت مصممة على الاستمرار في الحرب ولم تتوقف الحرب إلاّ بعد النصر المؤزر من الجانب العراقي في مواجهة استمرت مدة ثماني سنوات، وما أن حاولت العراق التقاط أنفاسها حتّى دخلت في مرحلة جديدة من الصراع عام ١٩٩٠م في حرب الخليج الثانية محور الفصل الثالث من هذا البحث.

أمّا الشعرُ الأردني فقد تناول في مضامينه الحربَ العراقية -الإيرانية إذ أظهروا جرائمَ العدو الفارسي، وسياسةَ حكّامه المتطرفة، كما وجّهوا النقد إلى كل من تخاذل من العرب عن نصرةِ العراق. ومن المضامين الرئيسة التي تناولها الشعراء:-

(١) مدح الجيش العراقي ومواقفه القومية:-

إنّ تطور الأحداث على الجبهة الشرقية من الوطن العربي منذ نهايات ١٩٨٠م وحتّى يومنا هذا متمثلة في الحصار الجائر على القطر العراقي الشقيق بعد حرب الخليج الثانية، لَتؤكّد تأكيداً قاطعاً، شراسةَ هذه الصراعات، كما تبرز بالمقابل بسالة الجيش العراقي الذي استطاع إيقافَ الأعداء دون أن يتمكنوا من المساس بسيادة شبرٍ واحد من أرض العراق، ودون أن ينالوا من كرامة شعبه،

بل على العكس تماماً سقطت مراهناتهم، وتحطّمت آمالهم، وانهارت قواتهم، أضف إلى ذلك أن الجيشَ العراقي يستندُ في مواجهاتِه إلى قضيةٍ عادلة هي حقه المشروعُ في الدفاع عن أرضِه وشعبه.

أمامَ هذه القدرةِ القتالية العراقية الكامنة في جيشه المظفر، كان الأردنُّ – بما يحمله من همٍّ قومي –في طليعة المتوجهين بأنظارهم وعقولهم إلى أمجاد العراق، لذا فلا عجبَ أن نقرأ أولَ ما نقرأ في شعرِنا الأردني الموضوعاتِ التي تركزُ على مدحِ الجيشِ العراقي، والافتخارِ بقدراتِه العسكرية والفرحِ والسرور بالنصرالذي أعاد أمجادَ الأمةِ العربية إلى عصورِها الزاهرة، وقد دحروا العدو الفارسي، وأوقفوا مخططاتِه التوسيعية.

لقد أعجبَ الشعراءُ الأردنيون ببسالة الجيش العراقي، لأنه يخوضُ المعاركَ ولا توقفُ زحفَه قوةٌ مهما عظُمت، لأنّ بغدادَ بالمرصاد لمن ظنّوا في أنفسهم أنّهم قادرون على السيطرةِ عليها وفي هذا يقول جميل علوش:[1]

بغدادَ أبطالُ الجهادِ تدفّقوا ... كالسّيلِ إذ قدحَ الزّنادَ جهادُ
خضبت شواطئَك الدماءُ مشعّةً ... وسقت ثراكِ من الدماءِ عهادُ
خُضْتِ المعامعَ لم يزدك تعنتٌ ... عما انتويت ولم يقفْك عنادُ
وجحافلٌ عدَّ الحصى فكأنّها ... لعِبٌ يهيمُ بجمعِها الأولادُ
ما أمّ يا بغدادُ جيشُك جمعَها ... إلاّ تهاوت دونَه الأسدادُ
وتبدّد المتنمرونَ شراذماً ... وبدا لعين سوءةٌ وفسادُ
وتكشفت أحلامُهم عن خيبةٍ ... شوهاءَ يُنْكِرُها حِجىً وسدادُ.

إنّ الجيشَ العراقي ينهجُ نهجَ القادة الأوائل :خالد بن الوليد، سعد بن أبي وقاص، وغيرهما من أبطال المسلمين، فاستمدوا منهم المضاءَ والقوّة، ممتلئين زهواً بقدراتهم الحربية العظيمة:[2]

---

(١) مجلة أفكار، العدد ٥٣، آب ١٩٨١، ص٦٥.

(٢) سليمان عويس:غنّيت بغداد، دار المهد للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٨١، ص٦

مَهيبةُ الحدّ أسيافُ العراقِ فلا آكامُه تُبتلى أو يُبتلى وَهْدُ
حماتُه الصّيدُ عِقبانُ الجبال إذا دعاهمُ السُّهدُ لا يحلولهم سُهْدُ
ساروا على نهج فرسانِ الوليد فهل سيفُ الوليدِ غداةَ الحرب يُضْطَهدُ

ومن المهم والجدير بالملاحظة أنّ الشعرَ الأردني الذي تناول الحرب العراقية كان يركز على المعاني والألفاظ الدينيّة، فالمعركة بين الطرفين لم تكن خلافاً حدودياً -كما يظن بعضهم-وإنما هي صراعٌ تضرب جذورُه في أعماق التاريخ، صراعٌ قومي حضاري، يخَمُدُ فترةً من الزمن وسرعان ما يتقد ويلتهب.

ولهذا نجدُ أنّ الشعرَ الأردني يكثرُ من الألفاظ الدينيّة كالبغي، الشرك، كسرى، مجامر النار، الأوثان، الأصنام، الكفر، الجنّة، الإفك وغيرها.

كقول الشاعر حسين غرايبة:[1]

هبّت جيوشُ البغي غازيةً نحو العراقِ في مغازيها
كسرى يقودُ الجيشَ غطرسةً أرضَ الفرات لا تدانيها

إنّ العراقَ يدافعُ عن أرضه معتمداً على الله عزّ وجل، فها هو يكرُّ على الشرك، ويحطِّمُ مجامرَ النار التي يعبُدها الفرس:[2]

خيلُ الفراتين ما كلّت سنابكُها فرسانُها الصيدُ قد أوفَوْا بما وعدوا
كرّوا على الإفكِ باسمِ الله فانقلبت مجامرُ النار في ذَقنِ الذي عبدوا
أبرِقْ أباالعزم صبحُ الله منبلجٌ ورايةُ الشِّرك قد مادتْ بها العُمُدُ

كذلك أكثرَ الشعراء من ترداد أسماءِ بعض الأبطال المسلمين كالقعقاع بن عمرو، المثنى بن حارثة، الذين كان لهم دورٌ بارزفي حروبهم مع الفرس.

ولأن المعركةَ مع إيران معركةٌ ممتدةُ الجذور، كثيراً ما يلجأ الشعراء إلى استلهامِ التراث العربي، فالجيشُ العراقي غيرُمنبّت الجذورِ عن تاريخه

(١) حسين غرايبة : أصالة هاشمية، ص٥٢.
(٢) نايف أبو عبيد :أرجوان العمر، ص٣٥ -٣٦، وانظر أفكار العدد ٥٣، آب ١٩٨١، ص٦٤.

وحضارتهِ الأمر الذي جعلهم يُسمون معركتَهم مع الفرس (القادسية)[١] تيمناً بالقادسية الأولى.

كما أنّها تُعبِّر عن كلّ أنواع الرفض للأطماع الفارسية القديمة والجديدة في أرضنا ووجودنا، ومن أمثلة ذلك ما قاله باسل رفايعة:[٢]

وفي بغدادَ يالَهوى فؤادي   أسودُ اللهِ تزأرُ في الآجام
وجاءتنا لبشراها فهذي   جيادُ القادسيةِ في القتامِ

وهي معاركُ تستمدُ جذوتَها من ذي قار[٣] وفتوحات الإسلام الخالدة في القادسية وحطين واليرموك وغيرها كما في قول محمد ناجي عمايرة:[٤]

المرجفون بأنا أمةٌ ذهبت   رمزُ البطولة في بغداد قد جهلوا
هلالُ مجدِك من ذي قار مطلعه   وفي الثنيةِ من حطينَ يكتملُ
في قادسيةِ سعدٍ بعضُ وابلهِ   وأمس كان على اليرموك ينهمل

أو في قوله:[٥]

هذا العراقُ منيعٌ كلُّه قضبٌ   والنخل فيه جيوشٌ كلُّها أسَلُ
القادسيةُ منه بعضُ نخوتهِ   وفي القَصاص تساوى القولُ والعملُ

(١) معركة القادسية :حدثت في السنة ١٦هـ وكان قائد المسلمين فيها سعد بن أبي وقاص، وقائد الفرس رستم،وهي من المعارك الهامّة في تاريخ الحروب بين المسلمين والفرس، فرّ فيها رستم، وعشرات الآلاف من جنوده، وغنم المسلمون فيها مغانم كثيرة، وقد استمرت هذه المعركة عدة أيام. انظر أحمد شلبي :التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج١/٥٧٧.

(٢) باسل رفايعة : خماسين الوطن، ١٩٨٧، ص١٠.

(٣) يوم ذي قار: هو يوم لبني شيبان، وكان أبرويز أغزاهم جيشاً فظفرت بنو شيبان، وهو أول يوم انتصرت فيه العرب على الفرس، وهواليوم الذي قال فيه النبي(عليه الصلاة والسلام): «هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم». وكانت وقعة ذي قار لتمام أربعين سنة من مولد رسول الله وهو بمكة بعد أن بُعث. وكانت هذه الوقعة بين بكر بن وائل والهرمزان صاحب كسرى أبرويز.(انظر المسعودي : مروج الذهب ١/٢٨٨).

(٤) عبدالجبار داوود البصري (إعداد) رئة الشعر وملتقى المبدعين (المربد الثامن)، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ١٩٨٨، ج٣/١٧١، وسيشار إليه فيما بعد: رئة الشعر وملتقى المبدعين.

(٥) المصدر نفسه، ٣/١٧٢.

كمـا رجع بعض الشعـراء إلى جذورِ الصـراع العـربي -الفـارسي، فاسترجعوا أيامَ ذي قار، وحاولوا أن يذكّروا الفرسَ بهذه الوقعة التي انتصر العربُ فيها انتصاراً مؤزراً.يقولُ جميل علوش من قصيدة بعنوان :أعراس النصرفي بغداد:[١]

من قالَ إنّ الثائرين يخيفُهم | من قورش[٢]الإبراقُ والإرعادُ
أيُعطّرُ الأجدادُ ساحاتِ الوغى | ويهونُ في غمراتِها الأحفادُ
ما زالَ في (ذي قار) من أبطالِنا | فجرٌ تَشيلُ بذكره الأجيادُ

وبطولاتُ العراق المتواصلة جعلت الشعراء مقيدين بحب العراق، فلا حبٌ إلاّ لبغداد، ولها الحبّ والأحلام، والرؤى الجميلة :[٣]

لا شيَء يعدلُ حبك الغلاّب.
يا وطنَ العناق.
لا شوقَ، لا أحلامَ، لا دنياسواك.
فأنتَ أنتَ هوى الرفاق.
لا حبَّ بعدك يا عراق.

إنّ العراق الذي حمل النصرَ إلى أمته العربية بعد سنوات مريرة لَيستحقُ التهنئة الخالصة والحبَّ الغامر من أبناء عمومتِه في الأردن، فجاؤوه فرحين مسرورين، منهم عبدالرحيم عمر الذي قَدِمَ بغداد مهنئاً بالنصر:[٤]

---

(١) مجلة أفكار العدد ٥٣ آب ١٩٨١، ص٦٥.

(٢) قورش:ملك فارسي، كان هدفهُ تأسيس امبراطورية فارسية كبرى، ثار على الماذيين، وهم من الشعب الآري الذين خضع الفرس إليهم، واحتل ملكهم، وجعل الشعبين الماذي والفارسي يستظلان تحت راية واحدة، وأعلن نفسه ملكاً على الدولة الكيانية، قضى على الليدن، وتبسط في آسية الغربية، ثم حول نظره نحو الكلدانية فقوّض ملكهم، وقضى على نفوذهم عام ٥٣٩ ق.م، وقتل عام ٥٢٩ ق.م، فخلفه ابنه قمبيز. انظر السيد عبد الرازق الحسني :تاريخ العراق السياسي الحديث، دار الشؤون الثقافية العامّة، بغداد، ١٩٨٩، المجلد الأول، ص٢٤ -٢٥.

(٣) مجلة أفكار، العدد ٥٨، نيسان ١٩٨٢«خالد الخزرجي :وجهك وبلادي وردتان»، ص٢١.

(٤) عبدالرحيم عمر: تية ونار، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط١، ١٩٩٣، ص٦٣.

أطلّت وفي الكفين مايطلبُ الصّـــبُّ ... وهلّت وماءُ العين في هدبها رطـــبُ

وحيّت وفي اليمنى انتصارٌ مؤزرٌ ... وفي كفِّها اليسرى جِراحٌ ولا عتبُ

حملتْ إلى الأهلين ماحلمت بـــه ... عيونٌ وما اشتاقت لطلعته هـدبُ

حملتْ سلامـاً وانتصـاراً وآيـــةً ... على زمنٍ ظلت به خيـلُنا تكبـو

عشقتكِ من قبلِ اللـقاءِ وها أنـا ... أسيرُ هوى المفتون قد زادَه قُـربُ

هنيئاً بني عمي، هـنيئاً فخـاركُم ... هنيئاً لقومي ما أرادوا ومـاذبّوا

وهم يستحقون التهنئة لأنّهم حَمَوْا بدمائهم أرضَ الجدود، وغدت أرضهم ساح عشق للموت، يفدّون بلد الرشيد بأرواحهم ليبقى مرفوع الرأس، موفور الكرامة:[١]

أهنيءُ جيشَك المغوار أســداً ... حمت بدمائها أرض الجـدود

وأفنت كلّ عادٍ مستبـــدٍ ... تسابق للجهاد بلا وعـــود

غدت أرضُ المعارك ساحَ عشق ... ليرفعَ رأسَه بلدُ الرشيـــد

سَخَوْا عند اللقاءِ بكلّ غـالٍ ... ليبقى الشطُّ شَطّاً للخلـودِ

إنّ ماقام به الجيشُ العراقي يعدُّ مفخرة لغيره من الجيوش ، ومن صموده وإصرارِه تعلّمتِ الجيوشُ دروسَ الكفاحِ والصّبر[٢]:

جيشَ العراق غدوتَ مفخرةَ الدُّنى ... وغدوتَ للأعرابِ غيثَ البيدِ

تروي عطاشاً للمفاخرِ كم صَبَـوْا ... فلأنتَ مَنْهَلُ مجدِنا الموعـودِ

امضِ بساحاتِ الجهـادِ منـافحـاً ... عن كلِّ شبرٍ من ثرىً مفقـودِ

وتعلمت منـك الجيـوشُ دروسَهـا ... يا للبطولةِ كم زهت بجنـودِ

لقد اعتقَد العدوّ الفارسيّ أن أرضَ العراق سهلةُ المنال، وما درى أن هناك

---

(١) أديب نفاع: قلبي عليك ياوطن، ص ٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٧.

جيشاً مغواراً يوقفه عند حدّه، جيشاً لايهمه الوعيد والتهديد:[1]

أيظنّ قورش أنّ أرضك نهبةً   للطامعين وملعبٌ ومرادُ
أيظنّ أن فسيح أفقك مشرعٌ   للطّير تعبره فليس تُذادُ
لم يدرِ أنّ شبابَ يعربَ لم تَهِنْ   منها الصدورُ ولم تهِ الأعضادُ

ولقد ظنّ العدوّ أيضاً أنّ قتال جيش العراق سهلٌ فخاب أمله، واستسلمت قوّاته مجموعاتٍ تتلوها مجموعات بعد أن سقطَ في نيران مدافعهم من سقط. وقُصفت أراضيهم فغدت الجبالُ مساويةً للسهول :[2]

نَبتْ سيوفُهم لما التقت بقنا   جندِ العراق وخابَ الفالُ والأملُ
فاستسلمت زمرٌ في إثرها زمرٌ   ومثلها وَسْط نارِ الموت تعتملُ
قد جاءها من لظاهُ مارجٌ لهبٌ   كأنّه القدرُ المحتومُ والأجلُ

ومنهم من أشار إلى طولِ أمدِ الحرب التي استمرت ثماني سنوات من الكفاح والصبر والتضحية، استطاعَ فيها الجيشُ العراقي أن يستعيدَ أراضيه وأن يوقفَ التغلغلَ الفارسي على الأرضِ العربية، وهو مع ما مرّ به من ضيق لم يتخاذلْ ولم يعتمد إلاّ على الله عزّ وجل في إحراز النصر:[3]

سبعٌ مَضَيْن وهذا السدُّ مستندٌ   إلى العلا وبعينِ المجدِ يكتحِلُ
سبعٌ مَضَيْن وخيلُ العربِ مُسرجةٌ   وللنخيل جراحٌ ليس تندملُ
وللعراقِ نداءٌ لا يبدلُـه   إنّا على النفسِ بعَد اللهِ نَتّكِلُ

ويؤكد هذا المعنى نايف أبو عبيد في قوله:[4]

سبعٌ من العُجْف ما لانت عريكتُهم   سبعٌ من العُجف ما ارتابوا ولا جحدوا
فجابهوا الموتَ بالصبر الذي ادّرعوا   فقارعوا البغيَ ما كلّت لهم عَضُدُ

وبعد هذه السنوات العجف من الحروب يخرج العراق معافى بحمد الله، وقد

---

(١) مجلة أفكار، العدد ٥٣، آب ١٩٨١، جميل علوش: قصيدة في كل قطر لنا جراح، ص٦٥.

(٢) رئة الشعر وملتقى المبدعين، الجزء الثالث، «محمد ناجي عمايرة»، ص ١٧١ -١٧٢.

(٣) المصدر نفسه، الجزء الثالث، ١٧١-١٧٢.

(٤) نايف أبو عبيد: أرجوان العمر، ص٣٥-٣٦.

استعاد أرضه إلاّ أن بعض الشعراء شعربالتقصير تُجاه العراق ، لأنّ من يتلقى ضربات العدّوليس كمن يعدّها، وكأنهم أنكروا الصمتَ العربي:[1]

سلاماً أيا بغداد إن طالَ بُعدُنا ... فعندكِ ظلّ الفكرُ والهمُّ والقلبُ

عيونَ المها قرّت وقرّت كُماتُها ... وأمرعَ فيها النخلُ والليلُ والحبُّ

ولقد أعجب الشعراء بمواقفِ الجيشِ العراقي القومية ومساعدتِه لأشقائه العرب في المعارك التي خاضوها، فأبرز بعضُ الشعراء هذه المواقف الرائعة.

فعندما ألهبت قضيةَ فلسطين الوعي القوميّ لدى جماهير الأمةمن المحيط إلى الخليج، وبعد أن سقطت فلسطينُ ببراثن الاستعمار، ووُضعت فلسطينُ تحت الانتداب البريطاني، ساندَ الجيشُ العراقي كفاحَ أبناءِ الشعبِ الفلسطيني ، واشتركَ في ثوراتهِ المتواصلة ضدّ الاستعمار والصهيونية. كما اشترك في الحروب العربية عام ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣، وأُرسلت قواتٌ للدفاعِ عن فلسطين والأردن وسورية.

إن مشاركة العراق أبناءَ أمته العربية في حروبه أثارت إعجابَ الشعراء وتقديرَهم. لهذا ربطوا بين حربهِ مع العراق وحيداً، ومشاركتِه في حروبها ، فكانوا يحاولون تذكيَر العرب بحقيقة لا يجوزُ تخطّيها وهي عدمُ تركِ العراق في الساحةِ منفرداً، فعلى العربِ أن يقفوا معه في حربه العادلة مع الفرس:[2]

جندَ صدام يا سيوفَ المنايا ... يا حماةً لطارفٍ وتليدِ

فثرى القدس شاهدٌ لجهاد ... وكفاحٍ وهمةٍ من حديدِ

وربى الشام قد جبلتم ثراها ... بدم الثأرِ من عدوٍّ لدودِ

وعن التضحيات التي قدّمها في فلسطين والجولان يقول:[3]

عراقَ المجد كنتَ وسوف تبقى ... سياجَ العُربِ من خصمٍ لدودِ

كتابُك ناصعُ الصّفَحاتِ فخراً ... سواءٌ في الطريفِ أو التليدِ

---

(١) عبدالرحيم عمر: تية ونارص ٦٥.

(٢) أديب نفاع: قلبي عليك ياوطن، ص٣٤.

(٣) أديب نفّاع: قلبي عليك يا وطن،ص٣١.

جهادُك في فلسطينَ تغنّت | به العلياءُ في أحلى نشيد
جبلت ترابَها بدمٍ عزيزٍ | سيبقى الذكر في كلِّ العهودِ
وفي الجَوْلان جيشُك كان فخراً | لكلِّ العرب يا جيشَ الأسودِ
وقفتَ مواقفَ الأبطالِ تحمي | ثغورَ الشام من باغٍ عنيدِ
لقد جئنا لنغسلَ كلّ شبرٍ | من الجَوْلان من رِجس اليهود
لتبقى الضّادُ خافقةَ البنود | على وعدٍ إلى الأبدِ الأبيدِ

وبغداد عند نايف أبو عبيد أمٌّ وفية، ماتخلّت عن أهلها، ولا خذلت عيالَها على مرّ الزمن:[1]

ستبقَيْن يا بغدادُ طوداً من الندى | وهل طالتِ الوديانُ يوماً جبالها ؟
تُوفّين ما للأهلِ من غيرِ منّةٍ | ولم تحتبسْ عيناكِ يوماً أثالها[2]
عرفناك يا بغدادُ أمّاً وفيةً | وهل خذلت بغداد يوماً عيالَها
عرفناك في الجُلّى على الدّوم جعبة[3] | إلى قلبِ أهل الشرِّ ترمي نبالها

ويؤكد الشعراءُأنّ العراقَ ما تخلّت عن أهلها، وما عرفت إلاّ الشجاعة والكرم:[4]

وأنتِ ماصاحَ منّا قطُّ ملتهفٌ | إلاّ بذلتِ القَنا والهامَ بذل ندي.

وتقديراً وإجلالاً لصفحة العراق المجيدة بكلّ تفاصيلها، والتضحيات التي قدّمها في معركة الدفاع عن سيادة الوطن، ومجد الأمة ضد العدوان الإيراني الغاشم،نجدُ الشعرالأردني يشاركُ في حفز الهمم العربية لمساندةِ العراق. ومن أمثلة ذلك: زيارة بعض الشعراء الأردنيين العراقَ بدعواتٍ من المؤسسات الثقافية في العراق، والمشاركة في المهرجانات الشعرية كمهرجان الفاو في بغداد ومهرجان المربد في البصرة، ومهرجان الأمة الشعري، وغيرها. كما كان الشعراء الأردنيون يشاركون في الأمسيات الشعرية التي كانت تعقد بدعوة من الرئيس

---
(١) نايف أبو عبيد: أرجوان العمر، ص٣١.
(٢) الأثال: المال، الشرف والمجد.
(٣) الجعبة: وعاء السهام والنبال.
(٤) عبد الرحيم عمر: تيه ونار،ص٨٤.

صدام حسين في المناسبات القومية.

فقصيدة (عراق المجد) لأديب نقّاع من القصائد التي أُلقيت بين يدي صدام حسين أثناء استقباله لوفود مهرجان الأمة الشعري الأول الذي عقد سنة ١٩٨٤ وفيها يقول الشاعر:[١]

عراقَ المجد والبأس الشديد ... بأرضِك جئتُ أشدو. بالقصيد

حملت إليك أنسام التحايا ... من الأردن، يابلد الصمودِ

أشدّ على يديك بكل عزمٍ ... شديد ليس يعنو للحديد

أما جميل علّوش فلقد جاء العراق مهنئاً بالنصر العراقي في قصيدة له بعنوان : أعراس النصر في بغداد نيابة عن الأهل في الضفتين الشرقية والغربية:[٢]

صدّامُ هزتني إليك مشاعرُ ... يجري على شفتي بهنّ فؤاد

أنَا عن ضمير الضفتين معبّرٌ ... وبلحنِ شعري تسكرُ الأعوادُ

عمانَ والقدسَ الجريحَ جوانحٌ ... نشوى وحبٌّ دافقٌ ووداودُ

أولانــيَ الأردنّ منه رسالةً ... بمسامعِ الدّنيا لها تَردادُ

لك في الحسينِ الفذّ وهو موكّلٌ ... بالمكرماتِ عضادةٌ وعمادُ

ومن المشاركات الأردنية القومية في حرب العراق فَتْحُ بابِ التّطوع لمن أرادَ الدفاع عن العراق، فتدافعَ المئاتُ من أبناءِ الأردن للتطوع، والانضمامِ إلى صفوف المقاتلين، فنظموا كتائبَهم وسَمّوْها قوات (اليرموك) تيمناً بمعركة اليرموك الخالدة.

وراحَ الشعراءُ يَتغنّوْنَ بهذا الموقف الرائع، الذي يؤكدُ وَحْدةَ العرب. ومن الذين تناولوا هذا الموقف القومي أديب نقّاع في قوله:[٣]

عراقَ المجدِ في الأردنّ شعبٌ ... شقيقٌ للعراقِ مدى العهودِ

---

(١) أديب نقاع: قلبي عليك يا وطن، ص٣٠.

(٢) مجلة أفكار، العدد ٥٣، آب ١٩٨١، ص٦٤.

(٣) أديب نقاع: قلبي عليك يا وطن، ص٦٦.

كتائبه تنادت للتلاقي ... هي (اليرموك) عزمٌ من حديد
أهابَ بها حسينَ فجاوبتُه ... غداً تلقانا في دار الرشيد
فهبّوا للشهادةِ في صفوفٍ ... تلاقي الموتَ كالخل الودود

أو في قوله:[1]

مهلاً عراقَ المجد في أردننا ... شعبٌ يقاسمك همومَ جحود
شعبٌ تمرّس في عرين حسيننا ... نهلَ البطولةَ من حماةٍ صيد
شعبٌ تسابَق للعراق بهمةٍ ... قعساءَ أقوى من تلال حديد
لبّت نداءً للحسين فأسرعت ... قواتُنا لفرات ابنِ رشيد
قواتُنا اليرموكُ تحملُ اسمَها ... ذكرى لنصرِ خالدٍ ومجيدِ
وقفت تدافعُ عن حِياضِ عراقِنا ... وتصدُّ هجمةَ فاتكٍ نمرود

وبعد أن دعت المملكةُ الأردنية الهاشمية إلى مؤتمر القمة العربية في عمان عام ١٩٨٧ راحَ الشعراءُ يتغنّوْن بما تمخّضَ عنه من قراراتٍ قوميةٍ وحدوية حتى سُمّي هذا المؤتمر (الوفاق والاتفاق) وكان التركيزُ فيه على العراق وكيفية مساندتِه.

ومن الشعراء الذين عبّروا عن فرحِهم في هذا المؤتمر الذي أزال أسباب الخلافِ والشقاق بين الأخوة العرب محمد ناجي العمايرة الذي يقول:[2]

حتى إذا جلجلت عمانُ داعيةً ... إلى الوئامِ فلا خُلْفٌ ولا زعلُ
تدافعت نحوَها بغدادُ في لهفٍ ... وراحَ يسقي رباها صيّبٌ هطِلُ
فوحدة العُربِ مضروبٌ بموعدِها ... وعدٌ مع النصر لا تخبو له شعلُ

ويؤكد سليمان عويس على أهميةِ هذا المؤتمر الذي أزالَ الخلافات العربية لبدء مرحلة جديدة من التعاون العربي، قد حذّر أمةَ العرب من التفرق والتخاذل:[3]

عمانُ قد أوصَدت بابَ الشقاقِ فلا ... عادٍ يصفّقُ في أرجائها طربا

(١) المصدر السابق، ص٤٨. وانظر ص٣٤
(٢) رئة الشعر وملتقى المبدعين، ١٧٣/٢.
(٣) سليمان عويس: غنيت بغداد، ص٢٥.

عمان قد أسرجَتْ للعُرب مُهرَتها   فيا دمشقُ تعالَيْ نصنعُ العجبا
فالعارُ للسّيفِ أن يُدمي هويتَه   والويحُ للسّرج أن يهوي بمن رَكِبا

٢- المدينة العراقيةالمقاتلة:

وتقفُ المدينةُ العراقية المقاتلة شامخةً وهي تؤدي دورَها القتالي والحضاري كأبدع ما تكون عليه المدن؛ لذا فلا عجب أن تتصدر بغداد(قبلة الشعراء، وعاصمة الأدباء، وسيدةِ المدن والشهداء دواوينَ الشعر، لما قامت به من دورٍ فعّال طوال سنيْ الحرب لم تنحنِ هامتُها، ولم تتراجعْ بل بقيت الشعلةَ التي تَهدي المقاتلَ العراقيّ معارجَ النصر والشهادة.

ورغم تعرضِها للصواريخ الإيرانية، والقصف .. واستشهاد عدد من المدنيين إلاّ أنها بقيت صامدةً فهي كما يقول د. أحمد عبد المجيد: «المدينة التي لا تعرف الحداد»[١].

مدينة بغداد سلَبت عقولَ الشعراء وأفئدتَهم، فتوجهوا إليها، وحطوا رحالهم تحت قبابِها، وتعلقَوا بأمجادِها، خاطّة لهم طريقَ الحرية التي مهرته بدماء أبنائها.

لقد أفاضَ الشعراءُ الأردنيون في وَصف المدينة العراقية أثناء الحرب، ولم يقتصرْ مدحهم على بغداد فحسب، وإنما تناولوا في قصائدهم بعض المدن العراقية المقاتلة التي كان لها دورٌ في القتال، وكانت أرضُها ساحةً للمعارك، كالبصرة سيدةِ الجنوب، والفاو، وشط العرب، وغيرِها من المدن ..

وممّن عبّر عن شوقِه للقيا بغداد معانقاً حضارتَها، وأرواحَ شهدائها إبراهيم العجلوني الذي يقول:[٢]

شددتُ إلى بغدادَ كلّ ركائبي   وجزتُ إليها الوَهْنَ والزّيفَ والنُّكرا

(١) أحمد عبد المجيد: حرب المدن مدن الحرب، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط١، ٩٨٧، ص٧٧.

(٢) إبراهيم العجلوني: طائر المستحيل، دار قدسية للنشر، اربد، ط١، ٩٩٢، ص٢٣-٢٦.

وسقتُ إلى أمواهِها كلّ لهفةٍ تكادُ تهدُّ الصدرَ ظمأى لها حرّى
فيا شوقُ ماأبقى ويا فرحةً همت ويا صبرُ ماأقسى، ويا نسمة تبرا
فلما بَدت لي من بعيدٍ قبابُها ولاحت على الآفاق آياتُها غُرّا
خلعتُ نعالَ الوهمِ في عتباتِها وأحييتُ عزَم الروح فجّرته كبرا

وبغداد عند خالد محادين الصدرُ الدافىء، والمدينةُ الخارجة على غمدِها، هي آخرُ القصائدِ والأبواب:(١)

وأنتِ بغدادُ صدريَ الأخير
وسادةُ الرأس، ودفءُ الحلم، وانتشاءُ الولادة
أنتِ أخرُ البَكارات، والقصائدِ والأبواب
التي استعصت على كلِّ الغزاة
أنت هذا الخروجُ الجميلُ على المألوف
غيرُ الجميل في الوطن
أنت دقائقُ الصّحوِ في عصورِ الانطفاء
والسيفُ الخارجُ على غمده

وبغداد عند عبدالرحيم عمر موطنُه الثاني .. جاءَها وبلدته (جيوس) مروعةٌ بين أيدي الصهاينة،فهي عزّاؤه الوحيد الذي بقي له بعد رحيله:(٢)

وأنتِ العزاءُ المرّ إن عصفَ النوى وإن عصفت بالعاشقين الزعازعُ
إذا أجفلت في الغرب عني مرابعٌ حنت من حنايا الرافدين المرابعُ
وخلّفتُ (جيوس) رَبْعاً مروّعاً لتشمخَ في بغدادَ جولي الروائعُ
وودّعتُ أهلي والنوائبُ حوّمٌ عليهم وما دونَ المغيرين وازعُ
وفي البلدِ المنصورِ اسمعُ صوتَهم فهذي سجاياهم وتلكَ النّوازعُ

وهي عند سليمان عويس قبلةُ العروبة، ومنبعُ الأصالة والرّي القومي:(٣)

---

(١) رئة الشعر وملتقى المبدعين، ٨٧/٤.
(٢) المصدر نفسه، ١١٣/٢.
(٣) سليمان عويس: غنيت بغداد، ص٢١-٢٢.

حَسْبُ العروبةِ أنْ بغدادُ قبلتَها   وحسْبُها أنّ نبعَ الضّادِ ما نضبنا
فمنْ يصدّقُ منكم أنني عطِشٌ   وكيفَ يعطَشُ مَنْ من ضِرعها شربا ؟

كانت بغدادُ حاضرةً في ذهن الشعر الأردني، لما قامت به من دور بطولي في صد العاصفات، التي ألّمت بها، فسقت العدو الباغي كأس المرارة فولّى هارباً مدحوراً لا يقوى على شيء:[1]

ما زلت يابغداد نبعَ صهلينا   والمهرة الأحلى وسرجَ حصانه
ذرّت عليك العاصفاتُ رمالَها   فلطمتِ وجَه البغي من صوّانه
واليومَ صبّ على أكفّك إثمَه   يسعى زفيرُ القتلِ في شُريانه
فسقيتهِ الكأسَ الدهاقَ مرارةً   فالموتُ يجثو في عُرى أكفانه

وظهرت بغدادُ بحضارتها الرائعة في القصيدة الأردنية، فهي سفرُ المجد، وبنتُ الخُلد، وللفكر فيها بدائعُ مازالت منذُ أن بناها أبو جعفر المنصور[2]

وبغدادُ ملءَ السيف والحرفِ عزةً   ودجلةُ تروي والدهورُ مسامعُ
وبغدادُ سِفرُ المجدِ مُذْ فُطِرَ الضُّحى   وبغدادُ بنتُ الخلدِ والدهرُ راكعُ
أقامت حضاراتٍ وأعلت منابراً   فعزّت مناراتٍ وعزّت جوامعُ
فللفكر في آثارها ألفُ شاهد   وللشعرِ آثارٌ سمَت وبدائعُ
كذا طُبِعت بغدادُ لا زالَ طبعُها   وظلّت من المنصورِ فيها طبائعُ

وهناك العديدُ من القصائد الأردنية التي تناولت بغدادَ من زوايا متعددة، تصبٌّ كلّها في تمجيد بغداد أرضاً وشعباً، وتفخرُ بصمودها، وكفاحِها إلى أن غدت بغداد مدينة الحضارة، وعاصمة القومية العربية:[3]

---

(١) محمد سلام جميعان: عصافير الرماد، دار النهضة للنشر، عمان، ط١، ٩٩٣، ص٥٩.

(٢) رئة الشعر وملتقى المبدعين، الجزء الثاني «عبد الرحيم عمر من قصيدة أكبادنا تحت التراب»، ص٢٢٤.

(٣) انظر مجلة أفكار، العدد ٥٣، آب ١٩٨١، ص٦٤، ورئة الشعر وملتقى المبدعين: ١٧/٢ ،١١٣/٢، ٤٥٩/٢، ٢٩٣/١، ٨٧/٤.
أفكار العددان ١٠١/١٠٢، حزيران ١٩٩١،ص٧٣،
سلوى السعيد: صرخات على جدار الصمت، ص٥٣-٥٧، نايف أبو عبيد: أرجوان العمر، ص٣١، الرأي العدد ٦٣٠٧، ١٥ تشرين أول ١٩٨٧، عبد الرحيم عمر: تيه ونار، ص٨٤، الرأي العدد ٦٣٧٨ بتاريخ ١٩٨٧/١٢/٢٥.

وإذا كانت بغداد (مدينة السلام) حاضرة العلم، وعاصمة الحضارة، وملتقى الحضارات: حضارة العراق القديم، وحضارات العرب الأقدمين- فإنّ البصرة هي المدينة الأكثر ترداداً في وقائع حرب الخليج، ويبدو أنّ لموقعها الجغرافي، وماضيها الحضاري علاقةً بما جرى على أديمها من معارك طاحنة كانت مضربَ المثل في الشجاعة والإصرار.

ولقد أسهمت البصرةُ بشكل فعّال في إغناء الثقافة العربية وتطويرها إذ كانت مركز إشعاع فكريّ أنار العالمَ الإسلامي، كما أنّ (المِرْبَدها) الذي جمع فحولَ الشعراء والأدباء، قديماً وحديثاً، الدورَ الأكبر في احتضان الثقافة العربية، ولو حاولنا استعراضَ مساهماتِ مشاهيرِ البصرة في العلم والفن لضاقَ المقامُ عن الإحاطةِ بها. وهذا لا يمنع من التنويه إلى بعض علمائِها ومشهوريها، كأبي الأسود الدؤلي واضع قواعد النحو العربي، والخليل الفراهيدي واضع أول معجم في اللغة العربية هو (العين) كما وضع ابن دريد مقصورتَه، وألّف المبرد كتاب الكامل فيها، والحريري وضع مقاماته كذلك فيها ونبغ من العلماء الحسن بن الهيثم في الرياضيات والبصريات، وجاء إخوان الصفا برسائلهم المعروفة، مما يدل على حضارة البصرةالعريقة وتفوقها في شتى مضامير الأدب والفن والعلوم.

أما في تاريخِها الحديث فلقد صارت واحدةً من المراكز التجارية المرموقة في العالم،لذلك طمع فيها الغزاة. وزاد من أهميتها اندلاعُ الحرب العراقية-الإيرانية إذ أصبحت رأسَ الحربة في القتال، تلتقي فيها الجيوش غاديةً ورائحة، وهي صامدةٌ تسيرُ الحياة فيها بشكلٍ اعتيادي على الرّغم من القصف والقتل والتدمير في كل يومٍ من أيام الحرب.

أمام هذه البطولة الفريدة، وقفَ الشعراءُ يُحيُّون صمودَ هذه المدينة، كما ساهمَ مهرجانُ (المربد)، في توجّه الشعراءِ إليها، فغدت عاصمةَ الشعر وملتقى المبدعين.

ومن الذين مدحوا صمودَ البصرة على الرّغم مما يسقط عليها من قذائف

محمود الشلبي في قوله:[1]

في كلّ ثانية قذيفة

والبصرةُ الشماءَ ترفعُ رأسَها للبحرسيدة شريفة

والبصرة الشّماءُ تُنشِدُ وَحدَها للنار

يا نارَ المجوس تحلّلي انطفئي

ألا كوني سلاماً

ها هنا البصريّ أقوى ما يكون

ونخلتُه أعلى وغضبتُه مخيفة..

ويعتري الخوف الشاعر حبيب الزيودي فيتمنّى لو يفدّي البصرة بكل ما يملك لتبقى حرّةً أبيّة، وهو يرى أن القصائدَ مهما كانت رائعةٌ لا ترقى إلى قصائدِها التي كتبتْها بالدم:[2]

إذا مسّك العريّ قلبي رداء

وإن ضاقَ فيك المكانُ فروحي فضاء

كلي من يدي .. اشربي من دمائي

آهِ... يا بصرةَ الشرفاء

يا عروسَ الجنوب

ضيوفٌ على شهدائِك نحن

وكلّ القصائد تصغر يا قمري،

عندما يَقرأُ الشهداء!

وكلّ ما في البصرة يقفُ شامخاً في وجهِ العدو: الأرض، التربة، الشط، النخل:[3]

والبصرةُ الشماء شيمتُها طحنُ الأعادي في أراضيها

---

(١) رئة الشعر وملتقى المبدعين، ٢/٤٦٧-٤٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ٢٧/٣.

(٣) حسين غرايبة: أصالة هاشمية، ص٥٢.

والبصرةُ الشماء تربتُها   نارٌ تُلظّي وجهَ باغيها

فالشط حصن في مواقعها   والنخل جند في روابيها

وعلى وجه العموم، فالشاعر الأردني شارك في رسم صورة المدينة العراقية المقاتلة بوجهها الحضاري، كما أبرز بعض أدوارها البطولية، في التصدي للعدو الفارسي مستلهما تراثها وتاريخها وعراقتها، وإسهاماتها الحضارية على مرّ العصور.

٣. مدح القائد

ومن البديهي أمام هذا النصر المؤزر أن يبرزَ القائدُ في القصيدة الحربية، فيكون جزءاً من صورة الجيش، ولو استعرضنا معظمَ القصائد الحربيات في الشعر العربي لوجدنا أن القائدَ يشكّلُ محوراً هاماً فيها. ومثال ذلك ما تراه في قصائد أبي تمام يمدح المعتصم، وأبي الطيب وأبي فراس يمدحان سيف الدولة الحمداني، وأبن القيسراني يمدح نورَ الدين زَنكي، وغيرهم.

أما في القصيدة الحربية المتعلقة بالعراق فلقد برز صدام حسين كقائد فذ، وشخصية قوية منذ عام ١٩٨٠م وحتى نهاية الحرب الثانية في الخليج عام ١٩٩٠م الأمر الذي جعلهم يطلقون على حربه مع إيران بـ(قادسية صدام) لما للقائد من أثر عظيم في إدارة المعركة. وهذا الشاعر جميل علّوش من الذين أُعجبوا بشخصية هذا البطل، فصوّره قائداً مغواراً صنع لبغداد ملاحم البطولة، وصدّ جيش الفُرس، فها هو يدكُّ معاقلهم وحصونَهم واحداً واحداً حتى أصبحت كأنها الفرّاشُ الوثيرُ ينامَ عليه مطمئناً هانيء البال. وها هي المدن العربية المحتلة تزغرد فرحةً مسرورة وهي تعود إلى أمّها العراق. لهذه الانتصارات تبسّم الشط، بعد أن افتدى مياهَه بالدماء والشهداء:[1]

غنـاك صدّامُ الهمامُ ملاحماً   هي في المسامع سكرةٌ ورقادُ

وحباكِ من منح الرجولة مابه   يعيا الهداةُ ويرزحُ القوّادُ

(١) مجلة أفكار، العدد ٢٥٣ آب ١٩٨١، ص٦٤.

قد صدَّ جيشَ الفرسِ وهو عرمرمٌ | وذرا حصونِ الفرسِ وهي شدادُ
خشعت له (عبَدان) فهي حشيةٌ[1] | وعنت له (دزفول) فهي وسادُ
وتثنت الأحوازُ من طربٍ وقد | عادت ربيعةُ للحمى وإيادُ
وتبسّم الشطُّ الحبيبُ إن افتدت | أمواهَه بدمائها الواردُ

وأبرزَ الشاعرُ صفاتٍ عدّة للقائد منها أنه سديد الرأي، شجاعٌ في المعارك مشاركٌ فيها، صانعٌ للنصر العربي الذي انتظرناه طويلاً، صوتُه يثيرُ الرُّعب في صدور الأعداء فيجافيهم الرقاد، صلابة عوده في المعارك، وكلّها تُبرز قائداً شجاعاً وبطلاً مظفراً يقول جميل علّوش :(٢)

صدّامُ أنتَ الشعرُ والإنشادُ | وسديدُ رأيك عدّةٌ وعتادُ
ووغى تخوض على الثغور غمارَها | هي للقصيد الوحيُ والإمدادُ
من قبل ألفٍ لم يرفَّ بساحةٍ | عَلَمٌ فتشمخَ تحتَه الأجنادُ
واليومَ نسمعُ في العراق جلاجلاً | تَدوي بهن البيدُ والأنجادُ
صدّامُ كم علجٍ جفاه رقادُه | لمّا تعالى صوتُك الهدّادُ
لما اندفعت إلى اللقاءِ بعزمةٍ | تَذَرُ الهمامَ وقلبُه رعّادُ
جُرِح العلوج وأنت تقحم أرضهم | وسماءهم فعلى الوجوهِ سوادُ
ظنوا بعودِك في الحروب طراوةً | ولقد تَبيّنَ وتصلُّبُ الأعوادُ

وفي يوم (مهرجان الشهيد العراقي) الذي أقيم في الأردن عام ١٩٨٧، وجدنا الشاعر أديب نفاع يستعرض صفات القائد وذكر منها: أنه قائدٌ بهرَ العالم بعزيمته، قهر الأعداء وردّ كيدَهم إلى نحورهم:(٣)

صدّامُ قائدك الذي بهَر الورى | بعزيمةِ المقدام والصّنديدِ

---

(١) حشية: الفراش المحشو.

(٢) المرجع نفسه، ص٦٦.

(٣) أديب نفاع: قلبي عليك يا وطن، ص٤٧.

صدّام قائدك الذي قهرَ العدى   وأحالَ حُلم عدونا للجودِ
صدّامُ من شهدت له وقفاته   في ساحةِ الهيجاءِ صقرَ صمود

أمّا سليمان عويس فلقد سار على طريق البعث، معتقداً أنه الطريق إلى استرداد القدس والمقدسات المسيحية فيقول:[1]

صدّقتَ بالعهد حتى أورقَ العهدُ   أبا عديٍّ ونحنُ الوعدُ والعهدُ
دماؤنا لم تكن يوماً معطرةً   للأرض إلاّ بها قد أينعَ الشّهدُ
آمنتُ بالبعث درباً تُستَرَدُّ به   قدسُ العروبةِ والأحوازُ والمهدُ

هذه نماذج شعرية تمثل إعجاب الشعراء بالقائد الذي كسب احترامَ المثقفين والمبدعين لتوجهاتِه القومية واكتملت صورتُه الناصعةُ في حرب الخليج الثانية إذ نالَ من الثناء ما خُلّد في دواوين الشعر العربي بعامة، والشعر الأردني بخاصة.

٤-النخلة في القصيدة الأردنّية أثناء الحرب العراقية-الإيرانية:

ومما تردّد في الشعر الأردني من رموزٍ ينبغي التوقف عندها لما تحمله من إشارات ودلالات النخلةُ، هذه الشجرةُ التي كانت حاضرةً في معظم القصائد الأردنية التي قيلت في الحرب العراقية- الإيرانية.

ولا بدّ من أن استعرضَ شيئاً عن تاريخ النخلة في الجزيرة العربية، إذْ وُجدت النخلة في كلّ مكان من جزيرة العرب فيه ماء، ولو كان قليلاً، وهو شجرٌ صبور يصبرُ على العطش طويلاً، ومن أجل ذلك صار مثل الجمل رمزاً للصحراء.

وقد صُوِّرت النخلةُ ونُحتت على بعض الصخور، وعلى كثير من نصوص المسند، وجُعِلت رمزاً للشمس، وكان السومريون يجعلونها رمزاً للشمس كذلك. والظاهر أنّ تحمُّلَ النخلةِ لحرِّ الشمس، ووجودَها في مناطق دافئة ومنظرَ رأسها الذي هو على شكل كرةٍ مكونةٍ من السعف الذي يشبه خيوط أشعة الشمس،

(١) سليمان عويس: غنيت بغداد، ص٦.

حمل الناس على تصور قيام صلة لها بالشمس، فجعلوها رمزاً لها وعلامة عليها.

وقد اعتبرَ العربُ النخلةَ من الشجر المبارك الذي بورك فيه لما فيه من فوائد، كما أنّ للنخل فوائدَ كثيرةً، جعلها بعضهم نحواً من (٣٦٠ فائدة)(١).

وصُوِّرت النخلةُ على كثير من الأختام، وظهرت في المسلاّت، وبعض الرسائل البابلية، مما يدل على أن النخلةَ كانت وما تزال مصدر خير وبركة، حتى إنها كانت الشجرة المقدسة في المنحوتات الآشورية، وفي شريعة حمورابي هناك مواد لحماية النخلة، وغرامة على من يقطعها:(٢)

ولبعض هذه الأسباب ارتبط العراقُ بالنخلة، حتى غدت سيدةَ الأشجار ورمزاً من رموز شموخ العراق، وقداسة أرضه وأشجاره، فكانت شجرة النخيل ماثلةً في معظم القصائد الأردنية في فترة الحرب الأولى والثانية في الخليج.

وكثيراً ما نجدُ الشاعرَ يسألُ عن نخلِ العراق أما زال شامخاً:(٣)

وكيف حالُ نخيل الكرخ شامخة　　　أعذاقُهُ كشموخ الشمس في الأبد؟

ويؤكد هذا علي الفزاع بقوله:(٤)

فوّاز كيف الأهل في بغداد　　　كيف النخل والأطفال في البصرة؟

كما برزت في القصيدة الأردنية صورة النخلة الأم والحناء، والحربة، والشمس، والحبيبة المفداة، والجندي، والجريح، وبرزت النخلة الرمز: رمز

---

(١) انظر جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء السابع، دار العلم للملايين، بيروت، ومكتبة النهضة، بغداد، ط٣، ١٩٨٠، ص٦٧-٦٨.

(٢) انظر حضارة العراق، تأليف نخبة من الباحثين العراقيين، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٨٥، ص١٦٧ (بحث بعنوان الزراعة والري، د. سامي سعيد الأحمد).

(٣) عبدالرحيم عمر: تيه نار، ص٨٢.

(٤) علي الفزاع: مرثية للمحطة الثالثة، ص٨٢.

الشمس، والطهر، والقوة[1].

ويظهر بعض هذا في قصيدة صفحة من كتاب النخيل للشاعر حيدر محمود:[2].

مات كلّ النخيلِ فينا

ولكنّ نخلَ العراقِ بعدُ ولودُ

كلمّا قصّت المِقصّاتُ عنقوداً

تدلّى من سعفِهِ عنقود

فالشذى يتبعُ الشذى

والجَنى الطيبُ دانٍ وظلُّه ممدودُ

يتّضحُ من ذلك كلّه أن الشعر الأردني حمل همّاً قومياً يدلّ عليه مواكبتَه الحرب العراقية- الإيرانية منذ بدايتِها؛ فمدحَ الجيشَ العراقي، وزها بالنصر وشاركَ في الحرب عسكرياً وسياسياً وثقافياً.

كما استلهَم الشعراءُ الأردنيون تراثَ الأمة وحضارتَها، فجعلوها مادة لشعرهم فكثرت في القصائد الأردنية الألفاظُ الدينية، والإشاراتُ التاريخية، وأسماءُ المعاركِ والأبطال.

---

(١) انظر عبدالرحيم عمر: تيه ونار، ص٦٤، ٨٤. رئة الشعر وملتقى المبدعين: ٢/٤٦٧، ٢/١١٣، ٣/٢٧، ٣/٢٨، ٣/٢٩، ٣/١٧٢، ٤/٨٩، ٤/٩٠.

نايف أبو عبيد: أرجوان العمر، ٣٠، ٤٢، علي الفزاع: مرثية للمحطة الثالثة، ٨٢.

مجلة أفكار ١٠٢/١٠١، حزيران ١٩٩١، ص٧٣، خالد محادين: الأعمال الكاملة، ٣٨٧، ٣٩١.

حسين غرايبة: أصالة هاشمية، ص٥٢، سلوى السعيد: صرخات على جدار الصمت، ص٥٦.

(٢) حيدر محمود: الأعمال الكاملة، ص٤٩٣.

٥. السياسة الأيرانية المتغطرسة وحكامها المتطرفون:

إن أولى الحقائق التي أثبتها الشعر الأردني في مرحلة الحرب العراقية الأيرانية أن العدو الفارسي واحد، وإن غيرّ شكله ومظهره واتخذ الشريعةالإسلامية شعاراً له بحجة (تصدير الثورة الإسلامية) إلى الأقطار المجاورة.

ولقد أثبتت التجارب والأحداث منذ أن تسلّم الخميني مقاليد الحكم في إيران أن سياسته لا تختلف شيئاً عن سياسة سابقيه.

لهذا نجدُ الشعرَ يفضحُ أول ما يفضح السياسة القائمة على التظاهر الشكلي بالدين، وخِداع السُّذّج من العامة، وبيّن كذلك جرائمهم الوحشية التي ارتكبوها باسم الدين، وتواطؤهم مع الاستعمار والصهيونية.

ومن الشعراء من نقد السياسة الإيرانية التي اتخذت الدين ذريعة لها، فلبست العمائم، لكنها في حقيقة أمرِها ليست إلاّ دعيّة كاذبة كما في قول علي الفزاع:[1]

أقول: لك المجد، لكن تبصّر

فإنّ الدهاقين[2]

تحت العمائمِ عادوا إليك

وباسم الكتاب المبين

يريدون ما قد تبقى لديك.

واعتمدت السياسة الإيرانية على التعصب الديني، والخصومة القديمة للعرب، لا يُوقِفهم عن سياستِهم المتطرفة جوارٌ ولا أخوةٌ دينية، يقول جميل علّوش:[3]

(١) علي الفزاع: مرثية للمحطة الثالثة،ص٨٢.

(٢) الدهاقين: جمع دُهقان، وهو التاجر.

(٣) مجلة أفكار، العدد ٥٣، آب ١٩٨١، ص٦٥.

لو أنصفوا فيما جنى ظلاّمهم ردوا الثغور لأهلها وأعادوا
من قال إنّ الدينَ نزوةُ حاقد وتعصبٌ وخصومةٌ ولدادُ
قالوا وفي بعضِ المقالةِ غرةٌ جارٌ لنا من عونِهِ استمدادُ
عجباً أيمنحني المعونة معتد قد عزّ فيه لحقيَ استبدادُ
أيردّ لي أرضي السليبةَ سالبٌ بيديه تحكمُ في يدي الأصفادُ

كما يذمّ الشعراءُ تلكَ المجاورة التي لم يراعِ حقّها الإيرانيون، فباتوا يتحينون الفرص للإنقضاض على مجاوريهم حتى إنهم استولوا على بعض الأراضي العربية كالجزر الثلاث، ومحاولة السيطرة على مياه الخليج العربي.

إنّه خطأ فادح أن يظنّ العربُ فيهم خيراً؛ لأنّ طبائعَهم التي فُطِروا عليها تقودهم نحو الظلمِ والعدوان، وما الإسلامُ في شِرعهم إلاّ قشورٌ ومظاهرُ خادعةٌ؛ إذ لو كانوا مسلمين حقاً لما شنوا حربَهم في وقتٍ نحن فيه أحوجُ إلى رصّ الصفوف من أجل قتال الصهاينةِ على أرضِ فلسطين وهو همٌّ كلّ مسلمٍ لا أن يُشغَلَ المسلمون في حربٍ جانبية:[1]

قالوا: أولئك جيرانٌ فقلتُ لهم لا كرّمَ اللهُ أحباباً وجيرانا
يا جيرةً لم تصُن قربى ولا رحماً ولم تُقِم لحدود الله ميزانا
أفي الوغى ورياحُ البغي عاصفةٌ ونحن ندفعُ للجُلّى سرايانا
ينوشنا الجارُ من خلفٍ ويطعننا ويقتضي جُزُراً منا وخلجانا
لا لا تقولوا لنا القرآنُ يجمعُكم لا يعرفُ البغيُ إنجيلا وقرآنا
أشرعةَ الله تقضي أن نمدّ يدا لنازفٍ صدرَه حقداً وشنآنا
وكيف يُدعى الخصيمُ المستبدّ أخاً والمعتدي الجائرُ المحتلُ خلصانا

إن أطماعَ الفرس في الأقطار العربية واضحة، وصراعُ القوميةِ العربية والقوميةُ الفارسية صراعٌ ضاربٌ في أعماق التاريخ، وما زال ماثلاً في أذهانهم

(١) صحيفة الرأي، العدد ٦٣٥٧، بتاريخ ١٩٨٧/١٢/٤ «قصيدة لجميل علّوش».

سلبُ الإسلامِ كسرى ملكَه وعرشَه، فيحاولُ الشاهنشاه أن يثأرَ له من المسلمين، كما في قول حيدر محمود:[١]

أريني وجهي حتى لا أتّهم بأني زوّرتُ جوازَ مروري
وأعاقبَ بالجلد والطردِ على أولِ ناقلةٍ
للسردين الميت ذاهبة للشاهنشاه
فينتقمُ لكسرى وأنو شروان.

وترسمُ عائشةُ الخواجا صورة كاريكاتورية للعدو الفارسي بذقنه الكثّة، وأعماله الوحشية، وتظاهره بالدين لتحقيق مآربه وأغراضه:[٢]

له ذقن يمسدها ... يزيتّها ... يربيها
ويغزلها بيوت عناكب احترقت
لِزوجَتها ... ولم تستبقِ من أصماغها أحد
ويعلنُ أنّه عطِشٌ، ولا تسقيه أمواهٌ سوى نيل
ومدّ من فراتِ الشهد
يشكو من جفاف الرّيق هذا الطامع العطشان ... يابردى
ويسحبُ دمّ أسرانا يقطّرُ أعيناً عمياء
كي يشفي بها الرّمدا.

وهو عدوٌ لا يريد تحرير الأراضي المغتصبة، أذ لو كان صادقاً، لما أثار حرباً، لا تجرُّ إِلاَّ الدمار والهلاك لأبناء المسلمين:[٣]

وباب القدسِ لو تبغيه
قلبُك ما الكنيست رامَ أو عبدا

(١) حيدر محمود الأعمال الكاملة، ص٢٩٤-٢٩٥.
(٢) الرأي العدد ٦٣٦٤ بتاريخ ١٩٨٧/١٢/١١.
(٣) الرأي العدد السابق «قصيدة لعائشة الخواجا الرازم بعنوان: جنازة كبيرة لطفل عراقي شهيد».

وما أرعبتَ جارك

ما فؤادُ صغيره ارتعدا.

لهذا كانَ عدواً مكروهاً ملعوناً عند كل مسلم:[1]

يلعنُه الذي بالأمس قد وُلِدا

ويلعنُه الذي لُحِدا

ويلعنُه عبادُ الله

كلّ مسالم سجدا

لقد رفعت الثورةُ الإيرانية شعارَ الإسلام، وأظهرت أنها ثورةَ الشرفاء فراحَ الناسُ في بداياتِها يباركونها، إلاّ أنها ظهرت فيما بعد على حقيقتِها فظهر تورُّطُها مع الدول الغربية والصهيونية العالمية، فانكشفَ أمرها، وظهرت نواياها وتأكد الجميع من أنها لم تحذف سطراً واحداً من عقيدة (ساسان)[2].

نهر يجرف أعداء القرآن ... يهدم في مجراه

كل جدار: طهران أم الثورة والتحرير

نهر يجرف أو سدّ، ليعانق في القدس بكارتها الأولى

ويطهر ما دنّسه العدوان

باركناها ولعنّا بالسِّر وبالجهر سواها

وصحونا يوماً، فإذا إيران لم تحذف سطراً

من توراة سطّرها (ساسان)

تملأُ بغدادَ، حبائلَها وقنابلَها

وإذا الشيطان تغذيه، ويغذيها بالحقد وبالصاروخ وبالأكفان

---

(١) الرأي: العدد السابق من القصيدة نفسها.

(٢) خالد الساكت: الذي يأتي العراق، دار الينابيع للنشر والتوزيع، إربد، ١٩٩٢، ص١٢٠-١٢١.

هذا يقذف بغداد معاقلها ومنازلها
ويدمرُ ذاك مُفاعلَها
أبناءُ الجنة أمناءٌ جداً
يأتمرون لا بوصايا القرآن، بل بأوامر (بوش) و (تل أبيب)
هذي الثورة ما أنبلها ماأنبلَها !
المدهشُ والمضحكُ والمبكي فيها
أن يجْهَر يزحَفَ، يتواطَىء باسم الإسلام

ويتردد اسم كسرى مع الخميني لأنّه لا فرق بين الاسمين، فكلاهما يسير وَفْق سياسةٍ متطرفة، جرّت الويلَ والهلاكَ على شعبها ومن ذلك :[1]

العلجُ كسرى صحا من بعد غفوتهِ   وقومُ رستم جاءوا كلّهم ثملُ
يظاهرون خميني، لا أبَا لهمُ   قد قهقهَ الفيلُ لما استنوقَ الجملُ
يعاهدون خميني، خلفَه زمراً   يدّافعون، ونارُ الحقد تأتكلُ
قد زيفوا الدين، فاختارو عباءته   ليختفي تحتها التدليسُ والدّجلُ

ولا بدّ لشعب إيران من أن يثأرَ من حكّامه الفاسدين في النهاية، فيعود الوئام بين الدولتين الجاورتين المسلمتين لأنّ العِداء مع إيران ليس عداء شعوب، وإنما هو عداء لسياسة إيرانية ظالمة، تقوم على التوسع والتمدد على حساب الدول المجاورة[2]

أيا إيران يا بلَدَ المآسي   دفعتَ ضريبةَ الحكم العنيد
أبى حكامُك وقفاً لنزفٍ   كنهرٍ سال في عرض النجود
يصرون على حربٍ ضروسٍ   بلا هدف سوى قتل الجنود
فشعبك لن تلين له قناة   ولن يرضى بنار أو حديد

(١) رئة الشعر وملتقى المبدعين، الجزء الثاني «قصيدة لمحمد ناجي العمايرة» ص١٧١.
(٢) أديب نفاع: قلبي عليك يا وطن، ص٦٧.

سيثأر للضحايا واليتامى ويلطم وجه سفّاكٍ حقود
ويصبح شعبك خلاً ودوداً لأهلٍ في العراق بلا قيود

إن انتهاجَ قادةِ إيران سياسةَ العنف قادتهم نحو الهلاك، والحربُ شاهدةٌ على ذلك إذْ كثيراً ما كنا نشاهد على شاشات التلفاز أرتالاً من الجنود والمعدات تساق نحو حتفِها، دون تخطيط أو خطة عسكرية مدروسة:(١)

في كلّ معركةٍ آمالُهم طَللٌ وجندُهم جثثٌ في ساحة اللهبِ
ياليتهم يعرفون أنهم غنمٌ يقودهم حاقدٌ للذّبح بالذنب

وما يدل على غدرهم ومكرهم، ووحشيتهم قصفهم الأحياء والسكان:(٢)

لم يطلبوا المجد من ساح له رصدت وآثرو الغدر بالأخلاق والذمم
وهل يبدل طبعاً قاتل أشرٌ توارث الحقد عن عجزٍ وعن سقم
هذي الفراشات لا تمضي ألى عدمٍ إذ قاتل النور من يمضي إلى العدم.

إن جرائمهم في قصف المستشفيات والمدارس ومنها مدرسة بلاط الشهداء في بغداد مثل حيٌّ على وحشية العدو الفارسي ومكره(٣) فسجّل الشعر الأردني مظاهر هذه السياسة المتطرفة، وجرائمها المستمرة التي استهدفت الحضارة والأرض والإنسان.

---

(١) الراي العدد ٦٣٧٨ بتاريخ ١٩٨٧/١٢/٢٥.
(٢) رنة الشعر وملتقى المبدعين ٢٩٦/١-٢٩٧..
(٣) انظر نايف أبو عبيد: أرجوان العمر، ص٢١، ورنة الشعر وملتقى المبدعين ٥٠٧/١، واديب نفاع: قلبي عليك يا وطن ص٣١، ٤٨.

٦: نقد الحكام والشعوب

اندفع الشعراءُ في فترة الحرب العراقية-الإيرانية يلومون حكام الأمة العربية وشعوبَها لأنّهم تركوا العراق يقارع العدو الفارسي مدة ثماني سنوات وحيداً إلاّ من بعض شرفاء الأمة الذين ساندوا الحق العراقي.

فتوجّه الشعراء في لومهم وتقريعهم إلى وسائل الإعلام من صحف ومجلات وإذاعات، وعدّوا كل ما يصدر عنها كلاماً فارغاً لا أهمية له.ووجهوا نقدهم إلى بعض الأنظمة العربية التي وقفت موقفاً محايداً في حرب تقتضي وقوفهم إلى جانب الإشقاء في العراق.

إلاّ إنه نقد متزن، لا انفصال فيه يخرجه عن هدفه، فكان همّه الأول أن تتوحد الجهود لمجابهة الأقطار التي تحدق بالأمة العربية. ودعم العراق في نضاله العادل ضد الأطماع الفارسية

وممن نقد الشعوب العربية لأنها ركنت إلى الدّعة، وإلى وسائل الإعلام المختلفة في حين أنّ الفرس وصلوا إلى مشارف البصرة، علي الفزاع، ففضح من استسلموا للمال الذي أنساهم نخوتهم وكرامتهم:[1]

تتنابحُ الأبواقُ والصحفُ البغايا
ملء أروقةِ الدّنى
الفرسُ عند مشارفِ البصرة ...
الفرسُ ... صدأ يغشي السيف، أم ثلج يغشّي القلب، لا أدري
ولكني سأعلنُ باسم من ذهبوا
وباسم القادمِ المخضلّ بالنشوة
بأنّ المالَ حين يعيثُ في قوم
تموتَ لديهم النخوةُ

(١) علي الفزاع: مرثية للمحطة الثالثة،ص٤٦.

لقد ترك العربُ بغدادَ في مواجهةٍ دامية مع الفرس، في حين أنهم راحوا يلوذون بزيفِ القول عبر الصحفِ والإذاعات، وشتّان بين القول والفعل:(١)

حنانيك يا بغدادُ ياصبحَ ليلنا   تركناكِ والأفعى تفحّ سعالها

ولُذْنا بزيفِ القول نستلُّ سيفَه   وراحت سيوفُ الفعلِ تُبدي فعالها

فكيفَ يساوي القولُ فعلاً وصولةً   وخيلُكِ خيلُ العزِّ ملّت صيالها

ويرمزُ علي الفزاع للعربي المتخاذل بـ (عدنان بن مسترخي):(٢)

فوّاز هل جاءت لهم من أرضِ عدنان بن مسترخي

تُرى جاءت لهم نُصْرة ؟

وقد ضمّن قصيدته مقطعاً من أغنية شعبية تعبّرُ عن مدى التخاذل:(٣)

أغنية من الطرقات تأتينا

تخلّصَ حزننا العربي، تشنقنا:

« ما فيه حدا لا تنهدي ما فيه حدا

فرسان في صف الحكي، وخرفان قدّام العدا ».

وتثيرُ جريمةُ بلاطِ الشهداء أحزانَ عبد الرحيم عمر، فيتعجّبُ للحالة العربية التي تدعو لليأس والأسى، ... يخافون من الموت، والموت يغشاهم، ويفرون من النار، والنار تكوي أصابعهم، وهم مع ذلك كثيرون، لكنهم غثاء، يتجرعون كؤوس المرارة في كل يوم فلا تثورُ لهم ثائرة:(٤)

سلي سيفنا العربي لِمْ لا نسلُّهُ   أليسَ لـه غيرٌ بغدادَ رافـعُ

تراني أهاب النار، أخشى انتشارَها   وها هيَ بالنيران تُكوى الأصابعُ

(١) نايف أبو عبيد: أرجوان العمر، ص٣١.

(٢) علي الفزاع: مرثية للمحطة الثالثة،ص٤٤.

(٣) المصدرنفسه، ص٤٦.

(٤) رئة الشعر وملتقى المبدعين ١١٦/٢.

ولي نخوة يربو على العدّ جندها ولكنني في مهمه الأمر ضائع
أبيتُ على وعدٍ وأصحو مؤملاً واقرأ ما تزجي إلينا المطابع
يجرّع كأس الهمِّ والهمّ قاتلٌ ويرضى بأقسى السّم والسّمّ صارع

وللتأكيد على حقيقة أن العراقَ يواجه العدوَّ وحيداً، بينما أبناء العروبة يرفعون الشعارات الطنانة، ويتغنّوْن بأمجادِ أجدادهم السابقة، يقول أديب نفاع:[1]

فأينَ العُربُ في أرجاء أرضٍ مداها يضيقُ بالأفق المديدِ
أليس (عراقُنا) بلداً وفيــاً؟ وتاريخاً وذا سفرٍ مجيدِ
تركناه يقاتلُ دون عــونٍ نشاطرُه البطولةَ من بعيدِ
نغني بالشعاراتِ ونغفــو على مجدٍ تحدّر من جدودِ

وفي زمن التردي نلاحظ أن بغداد صارت مغنية وحيدة، وسيفاً مشرعاً يعانق الشمس، أما سيوف الأهل فقد اعتراها النعاس فنامت[2]

تغنين وحدك
هذا زمان الكآبات والقصص الموجعة،
وسيفك في شرفة الشمس
كل السيوف التي تعرفين تنام ولاتدخل المعمعة

وفي هذا المعنى يقول خالد محادين أيضاً:[3]

يتمت والمجد يابغدادُ هل عجبٌ وقيمةُ اللؤلؤِ المكنونِ في اليتمِ
ماضرّ كونك في الساحات واحدةً والسيفُ في الغمد لم يُثلم ولم يجمِ
والسيفُ في الغِمد لم تفزعه وحدته وإن تقاعسَ عنه كلّ ذي رَحمِ

ومن الشعراء من تعرّض بالنقد إلى سورية لموقفها المضاد في الحرب

(١) أديب نفاع: قلبي عليك يا وطن،ص٦٦.
(٢) مجلة الأقلام، العدد السادس السنة ١٧، حزيران ١٩٨٢، تصدرها وزارة الثقافة العراقية، دار الجاحظ، بغداد، ص٧.
(٣) رئة الشعر وملتقى المبدعين ٢٩٧/١.

فنرى أنهم يحثونها إلى اتخاذ قرارٍ للوقوف مع العراق إذا ما أخذنا بعين الاعتبار قوةَ سورية وأثرَها في حسم المعركة:[١]

تتفتحُ الأزهارُ في جسدي
وطيرُ الحلم يحملني إلى إيوانِ سيفِ الدولة الحلبي
أبا الأقدام، إنّ الفرسَ عند مشارف البصرة

ومن خلال حفز الهمة وإثارة الحمية، تحثّ سلوى السعيد الأهل في سورية لاتخاذِ قرارٍ لنصرة العراق، ونِسيان الشقاق المستمر بين البلدين:[٢]

قل يا شام شاقتني سيوف (حلب)
كما شاقتكِ في بغدادَ أسرارٌ وأسواقٌ عكاظية
ألا ياساكناً في الشام
هل علمت خيولُ الأهلِ في إيوانِ سيفِ الدولة الحلبي
بأنّا ما منعنا الورد عن (بردى)؟

ومن الشعراء من توجّه نقدُه إلى الحكام العرب دون تخصيص، فعبد الرحيم عمر يطلب من العراق أن تقتحم نارَ الموت، وتتركَ الرخاءَ والنعيم لمن عزّ عليهم إسقاطُ دمعة واحدة على البلد المنكوب، بعد أن أخضعوا شعوبَهم فترة من الزمن لحكمهم الظالم[٣]

رِدي هجيرَ الردى قد شاخ منتظراً　　أودى به الحالُ يا سلمى ولم تردي
وخلّ كلّ ينابيع الرّخاءِ لمن ....　　ساقوا إلى السّوق حتى دمع مفتقدِ

---

(١) علي الفزاع: مرثية للمحطة الثالثة، ص٤٤..

(٢) سلوى السعيد: اشتعالات إمرأة كنعانية، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٨٨، ص٤٠. وانظر رئة الشعر وملتقى المبدعين٢/١٩-٢٠.

(٣) عبد الرحيم عمر: تيه ونار،ص٨٥.

حطوا الرحال على أعناقنا حقباً   كأنما قد أعيروا العمر من لُبد[1]

لقد أعادنا بعضُ الحكام إلى عصر الدويلات المتفرقة، لا شأن لدولة بأختها فصارت الأرض العربية مرتعاً للصوص:[2]

أعدنا إلى عصر الدويلات عنوة   وكلٌّ لصوصِ الأرض في أرضنا دبّوا
سلاطيننا يابارَك اللهُ فيهمو   فلو سمعوا صوتَ الضحايا إذنْ لبُّوا

وجميل علوش في نقدِه الموجّه لأمتِه العربيـة لم يخصصْ بلْ نجدُهُ يوضّح سلوكَ فئةٍ عربية سيئة همُّها الدمار، ولا ينفعُها بعد ذلك أموالُها:[3]

أحيلي علينا الوزرَ لا عاشَ خانعٌ   ولا ذاقَ إلاّ الموتَ والعارَ هاجعُ
فمن يسلَ همَّ الدار في يوم همِّها   ويغفُ على أمواله وهو قانعُ
سيعلمُ يوماً أنّ في الأهلِ سَورةً   فلا برجِه ناجٍ، ولا المالُ نافعُ
وليسَ الذي يشري كرامة قومه   بغالي دماء، مثل من هو بائع

ولم يكفِ الأمة العربية ما جرّته على نفسها من ويل ودمار، وتخاذل وتهاون، بل راحت تقف إلى جانب العدو ضد الشقيق، وتعاهدُ الأعداءَ حتى التحموا في خندق واحد:[4]

وأنت التي عانيت من سخفِ حالِنا   وراعك من أفعالِنا العَجَبُ العُجْبُ
فللخصمِ منا ناصرٌ .. ومعاهدٌ   وللأخوةِ الأعداءِ من صفِّنا حزبُ !!

---

(١) لُبد: آخر نسور لقمان بن عماد سماه بذلك لأنه لبد فبقي لا يذهب ولا يموت (اللسان : لبد).

(٢) المصدر نفسه،ص٦٦.

(٣) رئة الشعر، وملتقى المبدعين، ١١٧/٢.

(٤) عبد الرحيم عمر: تيه ونار، ص٦٦.

وعبّر تساؤلاتٍ يثيرها أديب نفّاع نرى أن العربَ لا يعملون إلاّ لمصالحهم الشخصية، فها هو ينتقدُ الدولَ الغنية في تقاعسِها عن نصرة العراق بقوله:[١]

شعب العروبةِ في ديارِ محيطِنـا ... وخليجِنـــا وقريبِنا وبعيـــدِ

ماذا فعلنا للعراقِ وجيشِـــه ... غيرَالكلام وصيحةَ المشـــدودِ

أين التضامنُ والتعاونُ والإخا ... أين الفداءُ لتحتفي بالعيـــدِ؟

أين الملايينُ التي نقضي بهـــا ... حمرَ الليالي في رحاب الغيـدِ

أينَ الملايينُ التي نشري بهـــا ... مُهْراً فرنسياً وعطرَ خـــدودِ

أين الملايـينُ التي نَشْري بهـــا ... (فِللاً) تعجُّ بمائسات قـــدودِ

وإذا كان هذا هو حال الأمة العربية، فإنها ابتليت بمثل هؤلاء في تاريخها فكفّارُ قريش أسلموا رسولَ الله إلى الأحزاب، فلا غرابةَ أن نرى خيانة نفرٍ من بني يعرب:[٢]

فإن تك خيلُ الأهلِ عنها تباعدت ... وإن تكُ قَدْ أمسَت عروبتُهم كُفـــرا

وإن يكُ تجار المدائن أدبـــروا ... وضاقت رَحْبَاتهم فاغتلَوا ذُعْـــراً

و قِدْماً قريشُ البغي راشت سهامها ... وأطبقت الأحزابُ في ظُلمةٍ تَتْـــرى

وقِدماً بلونا من خيانات قومنا ... وقدماً قَنَا الأعرابِ بالمصطفى تُغرى

ومن خلال النقد يوجه نداءً إلى بني يعرب يحثهم فيه على نصرة العراق، ويدعوهم إلى مساندته ولكنّ نداءَه ضاع بلا فائدة:[٣]

دعوتُ رماح العرب من كل مأسدٍ ... وخضت بأقماري دياجيرَها القترا

ودرتُ قفارَ العرب ظمآن طاوياً ... وما كان عرب غير ماتوهم الذكرى

---

(١) أديب نفاع: قلبي عليك يا وطن، ص٤٨-٤٩.

(٢) إبراهيم العجلوني: طائر المستحيل، ص٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٥-٢٤.

لقد خاض العراق الحرب وحده ضد طغمة الفرس، بينما راح مشيعوالفتن يشيعون أنها ليست حرباً عربية، وإنما هي حرب (صدام) وحده:[١]

آلى على نفسه أن يفتدي عرباً ... حادوا عن الدرب، بل خانوا، وما خجلوا
واستمرأوا سبة التاريخ في دعة ... يا عار من قعدوا، إذ فوقهم نــُزُلُ
حرب لصدام. قالوا ويح قائلهم ... باعوا الضميرَ.. وأكدوا، بئس ما فعلوا

حقا إنّ حالة العرب السيئة تدعو إلى العجب، لأن العرب لا يتعظون من أخطاء الماضي، وهاهم بين فكين مفترسين: الفك الفارسي والصهيوني، وليس في وسعنا إلاّ البكاء والعويل.

إنّ إيران لن تكترث لشعب ليس له إلاّ البكاء والعويل، ولن تحسب حساباً للعرب مالم ترهم متحدين، يقابلون سلاحها بسلاح أمضى:[٢]

واليومَ نحن نعاني الهول ألوانا ... ونرتضي البغي جباراً وديانا
ثم يكفنا تيه إسرائيل شامخــة ... حتى نضيف إليه تيه إيرانا
فنفقد الأرض آفاقاً وشطآنـــاً ... ونملأ الكون إعوالاً وإرنانـــا
وكيف تعبأ (إيران) بصيحتنا ... ونحن نوسعها صفحاً وغفرانا

ومن الشعراء من امتدح القوة العراقية في زمن قلّ فيه الرجال المخلصون لكنك تشعر بالحزن واللوعة على أمة وقفت متفرجة وكأنّ الأمرَ لا يعينها وهي ترى المجازر والأعمال الوحشية تُرتكب على الأرض العربية صباحَ مساء فيقول حيدر محمود في ذلك:[٣]

أيها الطيبون في زمن اللؤم ... الوفيـــون ... والجميع جحـودُ
والمضحون بالنفوس وبعض الأهل ... حتـى بدمعـة لا يـجـــودُ
أيها البيض كالصبـــاح .. ... وكلُّ الكارهين العراق .. كالليل سودُ

(١) رئة الشعر وملتقى المبدعين، ٣/١٧٢.

(٢) الرأي ٦٢٥٧ بتاريخ ١٩٨٧/١٢/٤.

(٣) حيدر محمود: الأعمال الكاملة، ص٤٩٤.

٧-الشهادة والشهيد:

أمام الانتصارات العظيمة التي حققها الجيش العراقي بعزيمة أبنائه المخلصين، هانت النفوسُ فداءً لثرى الوطن الطهور، وما عادَ الشعراء يرددون سوى أهازيج النصر، وتمجيدِ البطولة والأبطال صانعي النصر المؤزر.

ومع هذا أخذ بعض الشعراء في مهرجانات يوم الشهيد العراقي يحتفلون بالشهيد، ويتغنون بالمضامين التي ترفع من شأن الشهادة دفاعاً عن الوطن، وتعبر عن الاعتزاز بمن سقطوا فداءً للوطن، فعطّروا بدمائهم الزكية ثرى الوطن.

ويستحق الشهيدُ التمجيد والتبجيل لأنه فدّى بلادَه بدمائه، من أجل أن يبقى وطنُه موفورَ الكرامة مهيبَ الجانب:[1]

عراق المجد في يوم الشهيد — سأسجدُ لاثماً قبر الشهيد
دماؤك يا شهيدُ ضياءُ فجر — يشعُ سنى بآفاق الوجودِ
تنادي يابلادَ العرب ثوري — أعيدي مجدنا هيّا أعيدي
فداكِ فداكِ شبانا وشيباً — فداكِ على الدوام دمُ الوحيدِ
أنبخلُ بالدماء وقد غزاكِ — عدوٌّ جاء يطمع بالحدودِ
مضيتَ إلى السماءِ بكلّ فخرٍ — فنمْ جَذِلاً بأحضانِ الخلودِ

إنّ الشهيدَ أنبلُ بني البشر فهو باذلُ نفسِه فداءً لوطنه، والبلادُ تفخر وتعتزّ ببذلِه وعطائِه:[2]

أما بنوها الباذلونَ نفوسَهم — فهمو لجرح المكرمات ضمادُ
شهداءُ تعتزّ البلاد ببذلهم — يوم الوغى ويتيه الاستشهادُ

---

(١) أديب نفاع: قلبي عليك يا وطن،ص٦٥. وانظر ص٤٦-٤٧.

(٢) أفكار العدد ٥٣،آب ١٩٨١،ص٦٥.

ومن الشعراء من أهدى بعضَ قصائده إلى أرواح الشهداء كخالد محادين في قصيدة «من كتاب الفتى جاسم» يبين مدى التصاق جاسم بتراب العراق تاركاً الحبيبة الغالية بعد أن غادرها إلى الجبهة فيسقط شهيداً خاطّاً بدمائه اسم العراق:[1]

يا أيتُّها العاشقةُ الراكضةُ الآن إلى سعفة نخلٍ
لم يُخْلف جاسمُ موعدَه
فاقتربي ها يدهُ دافئة، والخاتمُ في إصبعِه الأيمن
والوردةَ في جيبته
ويغمّسُ إصبَعه في ثُقب قربَ القلب
ليكتبَ اسمكِ ... فيخطُّ : عراق

وينتهي المشهد التراجيدي بتوحد البطل في الفاو (أرض المعركة)، فتقف خطيبتُه صابرةً وقد توحدت مع خطيبها في العراق:[2]

لو أنّك لم ترحلْ في الفاو لكنتُ بكيتُ عليك
آهٍ يا توأمَ روحي
لم أتوحدْ بعدَك، لكنّي أتوحدُ فيك عِراق.

غير أن القضيةَ التي شغلت الشاعر الأردني في فترة الحرب العراقية ما ارتكبه العدوُّ الفارسي من جرائم متلاحقة ذهب ضحيَتها الأطفالُ في مدارسهم، كان من أبرزِها بشاعةً قصفُ العدو الفارسي لمدرسة بلاط الشهداء في بغداد، فتناثرت أجسادُهم الغضّةُ على مقاعدهم الخشبية التي أحرقتها ألسنةُ النيران، وتبعثرت دفاترَهم وأقلامُهم، وتحطمت تحت الأنقاض ...

شاركَ الشعراءُ الأردنيون في رسم هذه الصورة المأساوية لهؤلاء الأطفال

(١) خالد محادين: الأعمال الشعرية، ص.٣٩٠.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٩٢.

وصعدت أرواحهم الطاهرةُ محلقةً في أجواء الجنة ومع هذا فإن الحقّ لا بد إن ينتصرَ مهما ارتكب العدوّ من جرائم:(١)

أقمارَ بغداد وزعتم أناملكم	شموع نصرٍ وأعيادٍ وأعـــراسِ
أضأتم الليلَ يا أحباب فانبجسوا	نهراً من الطّهرِ في دنيا من الآسِ
في ذمةِ الله يا أطيارَ جنّته	تباركَ اللّهُ يا غاراً على الـراس
إنّا على الحقّ لا زلنا فلا تهنوا	آباؤكم صيدُ من قومٍ أولي بـأسِ

وهذا عبدُ الرحيم عمر يحمل مواساتِه لأهالي ضحايا العدوان الفارسي الغاشم مع إيمانه العميق أن الحقّ لا يرجعُه الكلامُ أو العزاء(٢)

حملتُ مواساتي وهل بعدما قضى	قضاءً وحمّت في البلاطِ الفواجعُ
تجوزُ مواساة امرىء بصغاره	ويسعفُه قولٌ من القلبِ نابـعُ
وأطفالُنا للمجدِ عدةُ بأسِه	وأطفالُنا في الغد سورُ مدافع
ودونَ العراق الحر، يرخصُ ماغلا	وهم نحن إن صالت وجالت فظائعُ

إنّ هؤلاء الشهداء الذين سقطوا دفاعاً عن العراق ما هم إلاّ طيورٌ حلقت بإجنحتها إلى عوالمِ الشهادةِ، بعد أن تناثرت أجسادُهم على الأرض تبني مدرسة للأجيال القادمة، يتعلمون منها دروسَ البذل والعطاء(٣)

سرب من الشهداء يصعدُ من فضاءِ الحلم
ينثر أرجوانَ فؤاده
مابين دجلة والفرات
رفّ من الأطفال ينسج من رصاص اليوم سارية
ويبني من شظايا الحرب مدرسة
ويهدي الأمهات، قلباً وقنبلة، وبعضَ الأغنيات.

---

(١) نايف أبو عبيد: أرجوان العمر، ص٢.

(٢) رئة الشعر وملتقى المبدعين، ٢/١١٥.

(٣) المصدر نفسه،٢/٤٦٠.

نخلص من هذا كله إلى أنّ الشعر الأردني في فترة الحرب العراقية-الإيرانية واكَب الحرب أولاً بأول، وأكّد منذ البداية على أنّها حربٌ خاصةٌ بدولة معينة وإنما هي حرب عربية شاملة لأن العدو الفارسي يسعى إلى بسط نفوذه على المنطقة بأسرها.

ثم ارتبطت هذه المعركة بالتراثِ العربي والتاريخ الإسلامي فاستلهم الشعراءُ مادةَ شعرِهم من تراثِهم القديم فوردت بعضُ أسماءِ المعارك كالقادسية وحطين واليرموك ... وورد ذكرُ أيامِ العرب في الجاهلية كذي قار، ثم أسماء أبطال العرب والمسلمين كسعد بن أبي وقاص بطل القادسية، وخالد بن الوليد والقعقاع بن عمرو، والمثنى بن حارثة وغيرهم.

وقد وقفت المملكة الأردنية الهاشمية موقفاً قومياً رائعاً ملكاً وحكومة وشعباً، إذ وقفت مع العراق في حربه العادلة ضد إيران، فلا بدّ من أن يكون الأردن لأمته العربية، ينطلق من فكرة القومي، ورسالة الثورة العربية الكبرى، ومن دستوره الذي ينص على أنّه جزء لا يتجزأ من الوطن العربي.

ومن المضامين التي ركزّ عليها الشعر الأردني:

افتخار الشعراء ببسالة الجيش العراقي، والفرحة بالنصر، كما ظهر في الشعر مشاركة الأردنيين لإخوانهم في العراق في صنع النصر المؤزر، كما سجّل الشعر بعض ما ارتكبه العدو من جرائم برز منها قصف مدرسة بلاط الشهداء.

ولقد عرّى الشعر سياسة إيران الطائشة التي تنزع إلى التطرف والتظاهر بالدين الإسلامي واتخاذه وسيلةً لتحقيق مآربهم وغاياتهم، بعد أن ظهر تورطُ إيران مع أمريكا وإسرائيل، والاتفاق على ضرب العراق وبخاصة تدميرالمفاعل باتفاق ايراني.

وتوجّه الشعرُ في هذه المرحلة إلى الحكام والشعوب العربية، بنقد أوضاعِهم وأظهرَ زَيفَ سياساتِهم، إلاّ إن النقَد كان توجيهاً هادفاً، لا عنيفاً انفعالياً حتى يِتحقق الهدف الأسمى الذي يسعى إليه، فكان يحث دائماً على مساندة العراق الذي ما تخلى عن نصرة أشقائه في يوم من الأيام.

وكما يبدو لي أن الشعر الأردني في كل هذه المضامين التي تناولها عبّر عن قوميته العربية الأصيلة. وما الكم الهائل من القصائد التي قيلت في العراق إلاّ دليل صدق على توجهات الأردن القومية منذ تأسيس الإمارة الأردنية وحتى يومنا هذا.

الفصل الثالث

الصراع العربي – الغربي

والخلافات العربية

الفصل الثالث

الصراع العربيّ -الغربي والخلافات العربيّة--العربيّة

مدخل:

ليس من أهداف هذا الفصل السردُ التاريخي للعلاقة العراقية-الكويتية، وتتبع أحداثِها التاريخية في حقِّ العراق بضمّ الكويت باعتبارها حتى نهاية الدولة العثمانية جزءاً من ولاية البصرة، التي كانت بدورها أيضاً جزءاً من العراق الخاضع للدولة العثمانية آنذاك، وحينما انتهت الحرب العالمية الأولى كانت بريطانيا تحتل العراقَ والكويت. ومنذ أن حصلَ العراقُ على استقلاله بدأ المطالبةَ بالكويت على أساس أنّها كانت جزءاً منه خلال المرحلة العثمانية.

غير أنّ الأهم من هذا وهو حقيقة بدأت مقنعة -لاسيما أن حرب الخليج الثانية قد دخلت في ذمة التاريخ- وهي أنّ العراق بعد توقف القتال على الجبهة الشرقية مع إيران عام ١٩٨٨، أوجد متغيراتٍ جديدة في المنطقة متمثلة في قواتِهِ المسلحة الهائلة التي يبلغُ عددُ أفرادِها مليون مقاتل بين ضابط وجندي. ويمتلكُ أسلحةً متطورة: طائرات، وصواريخ، وأسلحة كيماوية ... وفوق هذا كلّه الخبرة القتالية الفائقة التي اكتسبها طوال سنوات الحرب مع إيران.

ولهذا أصبحت أمريكا -تشاركها الدول الأوروبية وبعض الدول النفطية في المنطقةِ- ترى في العراق قوةً جديدة من الممكن أنّ ترفعَ عصا التمرد في وجه المخطط الاستعماري- الصهيوني بما يسمى (بالنظام العالمي الجديد)، فاختلقت مسوغات تبدو للجهلة والعملاء مقبولةً كان أبرزُها اجتياح العراق للكويت، والدخول في المنطقة لاقتلاع هذا الخطر من جذورِه قبل أن ينموَ، ويصبحَ شجرة وارفة الظلال.

وكان الثاني من آب من عام ألف وتسعمائة وتسعين اليوم الذي صحا فيه

أهل الكويت على هدير الدبابات العراقية تجتاحُ العاصمة، وتنزِعُ السيادةَ الكويتية وتلحقُها بالعراق، وكلّ ما جاء بعد هذا اليوم معروف لا حاجة للإفاضة فيه وإن كانت أسبابُه غيرَ معلومة حتى الآن.

سايَر الاجتياحَ العراقيّ صراعٌ عربي-غربيٌ، وخلافٌ عربيٌ-عربيٌ، هزّ الكيان القومي العربي، وما زالت آثارُه السلبية ماثلةً حتى الآن.

وقد أخذت أمريكا والدولُ الأجنبية تشنُّ حملاتٍ إعلامية ظالمة ضد العراق لازمها تحركاتٌ دبلوماسية وسياسية بهدف خلق رأي عامٍ عالميّ معادٍ للعراق تمهيداً لإجراءٍ عسكري تخططُ له مدعومٍ بشرعيةٍ دولية.

وفي يوم ١٩٩٠/٨/٨ دخلت القوات الأمريكية إلى الجزيرة العربية، وتصاعدت الأحداثُ بصورةٍ مذهلة، وأصبح صوتُ الحرب يعلو على كل صوت إلى أنّ تطورت الأزمة من ثنائية بين قطرين عربيين متجاورين إلى أزمةٍ عربية ثم دولية شارك العالَمُ كلُّه فيها.

وفي خِضَمّ هذه الأحداث المتسارعة، وما آلت إليه من تدمير القوة العراقية وفرضِ الحصار على شعبه -وما زال- وقف من وقف مؤيداً دخولَ القوات الأجنبية، وعارضَ من عارض، ولم يجد الأردنّ بُدّاً لِما عُرف عنه من نظرة قومية لواقع الأمور من أنّ يلجأَ إلى حل الأزمة في إطارها العربي ويفرضُ عليه هذا الرأي عدمَ الانسياق، وراء تيار الإدانةِ بل التعاون من أجل احتواءِ الأزمة.

وللتاريخِ يسجلُ الأردنُ أنّه ما ترك كُوّةً ينفذُ منها بصيصُ أملٍ في الحل دون حرب إلاّ وفتحها، يؤيد هذا أنّ جلالة الملك الحسين أخذ يكثف زياراتِه التي انعقدت في الرباط، ومؤتمر القمة العربي الطارئ، وزيارة الولايات المتحدة الأمريكية من أجل الحيلولة دون توريطِ المَنْطِقة في حربٍ مدمرة.

وبعد مرورِ سنواتٍ على حرب الخليج، يبقى موقف الأردنّ المتوازنُ الحقيقةَ الثابتة، على الرّغم مما تحمله من جرّاء هذا الموقف العظيم من ظلم ذوي القربى، ومن تضييق على شعبه، وحصار جائر على مينائه الوحيد ووقف المساعدات الدولية.

أمام هذه الأزمة الحادة وقف العراق وحيداً في العراء في وجه أظلم غارة عسكرية في تاريخ البشرية حين شنّت الولايات المتحدة وخليط من ثلاثين دولة عربية وأوروبية حربها الظالمة المدمرة على شعب العراق الذي يدافع عن أرضه وكرامته الوطنية، ووجوده.

لقد أفرزَ العدوان الغاشم مئات الدواوين الشعرية، وللازمة الأردن بتطلعاته القومية للأحداث كان هناك كمٌّ من القصائد الأردنية التي برزت فيها مضامين قومية منها:

- النقمة على الغرب من خلال إبراز صفاته وأخلاقه، وسياساته الرامية إلى تدمير أية قوة عربية يمكن أنّ تعترض مخططاته التوسعية في المنطقة.
- تمجيد العراق واعتباره محجة العرب القومية بحضارته وعراقته والافتخار بجيشه العظيم الذي ما تقاعس تجاه إخوته، وما تخاذل عن ردع العدوان.
- كما اتجه النقد في هذه الحرب إلى بعض الحكام العرب ودولهم على مواقفهم المشينة من العراق، فكان قاسياً ومؤلماً وصل حدّ الشتم والسباب والتشنيع عليهم بسبب استعداء الغرب، والسماح له بدخول المنطقة العربية والأراضي المقدسة.
- بروز النفط كسلاح اقتصادي مؤثر إلاّ أنّ الشعراء رأوا فيه نقمة على الأمة العربية ولهذا نقد معظمهم النفط الذي استفاد منه الغرب أكثر مما استفاد منه أبناء الوطن العربي[1].

---

(١) للاستزادة عن حرب الخليج الثانية يمكن الرجوع إلى: موسوعة حرب الخليج، الجزء الأول، إعداد فريق عمل من الباحثين والموثقين، بإشراف فؤاد مطر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٤. وسعد الدين الشاذلي: الحرب الصليبية الثامنة، النجاح الجديدة، الدرا البيضاء، ط٢، ١٩٩١، وما بعدها.

١٠.الصراع العربي-الغربي في حرب الخليج الثانية عام ١٩٩٠م:

أظهرت أزمةُ الخليج سياسةَ الغرب التوسعية، وأخلاقَه الذميمة من حقدٍ ولؤمٍ وخصالٍ قبيحة، كما أظهرت سياساتهم التي تقوم على الخداع والانتهاز والظلم والابتزاز، بعد أن تجمّعوا شرقاً وغرباً على العراق، لا لشيء إلاّ خوفاً على مصالحهم في المنطقة كما يقول صالح البوريني:[1]

تعرّى الزيفُ وانكشف النقابُ	وزالَ الريبُ وانقشع الضبابُ
وللغرب اللئيم خصالُ قبحٍ	سهامُ الحقد تُطلقـها الذئابُ
شريعتُهم على الغير إعتداءٌ	وللحقّ انتـزاعٌ واغتصـابُ
وديدنُهـم خِـداعٌ وانتهـازٌ	وظلـمٌ وابتـزازٌ واكتسابُ
تجمّع حولَنا شـرقٌ وغـربٌ	تشابهت المقاصـدُ والـرغابُ

ولوحاولنا استقراءَ التاريخ لوجدنا أنّ صفحةَ الغرب سوداءُ مظلمةٌ صفحةٌ لا ترعى عهداً، ووعودها سراب، وما يتحسنون به على دول العالم الثالث ما هو إلا من أموالهم التي يستغلونَها ثم يتحكمون بهم فيها:[2]

سلِ التاريخَ عن غـربٍ تجلّت	مخازيـه فيأتيك الجـوابُ
بأنّ الغـربَ لا يـرعى ذمامـاً	ولا عهدٌ لديه ولا احتسـابُ
وَعودُ الغـرب أيّانا ســرابٌ	ولا يروي صدى العطشِ سراب
عجبتُ لمن يوالي الغربَ منـا	ويزعُـم أنّهـم للرشد ثابـوا

ويعتمد الغربُ على قوّتِه ومقدرته التقنية في السيطرة على العالم، حتى استطاعَ في العصر الحديث امتلاكَ نفط العالم وخيراته، وما دخل بلداً إلاّ ونشر الدمار، وأهلكَ أهله، وأغرقَه جوعاً وجهلاً، كما يقول خالد الساكت:[3]

(١) صحيفة الدستور الأردنية بتاريخ ١٩٩٠/٩/١٤، العدد ٨٢٨٤ «قصيدة الغرب والعدوان».

(٢) المصدر نفسه.

(٣) خالد الساكت: الذي يأتي العراق، ص٧٧.

يجتاح الأوطانَ
يخترق ضميَر الإنسان
يسرقُ من أطفال العالم
ضحكتَهم، فرحتَهم باللون
يهدي لهم، فيما يهدي أشنعَ ميتة
قالوا: قوّتُه قدرٌ دائم
صولتُه تمتدُّ من الكونغو للصين
آلتُه غزت الأقمار
بعد أنّ امتلكَ العالم
نفطاً، قمحاً، ذهباً
أغرقَه بالسُّمّ وبالجوع

الحرية كما تفهمها أمريكا أنّ تقول: (فيتو) لكلِّ قرار لا يتمشى مع مصالحها، الحرية عندها أنّ تلقي بأطفال العالم الثالث عُراةً جياعاً، وأنّ تعصِر النفط العربي حتى آخرِ قطرة، وتخزنه في بنوكها، وأن تقلبَ أيَّ نظام عربي لا ترضى عنه:[1]

الحرية في أمريكا ما تهوى
الحرية «ڤيتو»، جرح عربي أو افريقي يفغر فمه
الحرية غيمةُ نِفط، في سوقِ الربح تباع
الحرية في أمريكا أية راية يمكن أنّ تأتي كل صباح
بنبيٍّ وكتاب وبمعجزة وبآية.

ولم يرَ الشعراء في أمريكا إلاّ دولة القتل والإجرام، والعالم يذكر ما

(١) صحيفة صوت الشعب: العدد ٢٦٤١، بتاريخ ١٩٩٠/٨/٩ «إبراهيم الخطيب: قصيدة لغة النفط الكبرى.

قامت به من إلقاء القبض على (رجل بنما القوي) في بلده فيظهرُ مدى الحقد الغربي وكذبُ ما يدعونه من ديمقراطية زائفة، يقول عبد العزيز أبو غوش:[١]

خبرناكَ في أرضِنا قاتلاً ... وفي (بنما) سافكاً للدماء

ولم نرَ فيك سوى مجرمٍ ... يروقُ له ألمُ الأبرياء

وليسهلَ عليه امتلاكُ ثروات البلدان المستعمَرة، يلجأ إلى أساليب المكر والخداع والمخاتلة فيدرس أحوال تلك الشعوب: لغتها، عاداتها، حياتها الاجتماعية ... وليس من هدف إلاّ تحقيق أطماعِه التوسعية، وهذا ما قام به في الوطن العربي، وفي هذا يقول إبراهيم الخطيب:[٢]

أمريكو منذ اكتشف النفط

أكتشف الحلّ ولم يكتشفِ الربط

يتعلمُ خطَ الرّقعةِ والنسخ

ويتخذُ الكوفية قبعة

يبتاعُ جِمالاً ليعلمها بدل الخبب الديسكو

أمريكو يعرف كيف يجرُّ الاسم قبيل مسمّاه

ويعرف نصب المرفوع، ونصب الفخّ!

واشتدت حدّةُ الصراع العربي-الغربي عندما شنّت الولايات المتحدة والدول الأوروبية حربَها على العراق، فراحَ الشعراءُ يندّدون بهذه القوات، واستنكروا تواجدَه على الأرض العربي، مطالبين بالثورة عليه وطرده، وفي هذا المعنى يقول عبد الفتاح الحياصات -رحمة الله عليه-:[٣]

لنحطِمنّ جيوشاً قد أتيتَ بها ... كما تهاوت بيوم الفتح أصنامُ

---

(١) صحيفة الرأي الأردنية، ١٠/٨/١٩٩٠، العدد ٧٣١٨.

(٢) صحيفة صوت الشعب، ٩/٨/١٩٩٠، العدد ٤٦٤١.

(٣) صحيفة الرأي، ٢٤/٢/١٩٩١، العدد ٧٥١٧.

فأرضُ مكةَ يوماً لن يدنسَها   بأمرِ ربيَ أنصابٌ وأزلامُ
بلالُ هلّل وكبّر لا إلهَ سوى   مدبرِ الكون لا ترهبْك أقزامُ

ويخاطبُ بعضُ الشعراءِ العراقَ بأن يصدَّ حقدَ الأعداء بقوتِه وإصرارِه لأنّه أقوى من باطلهم:(١)

هذي الأساطيلُ التي جاءت بكلّ الأمم
والقعقعات الأطلسية أقبلت براً ويم
إنّ ترْمِها باللهِ والبارود والدم والحمم
زهقت بباطلِها فحقُّك فوقَ باطلِهم خِضَم

وإذا كانَ العدوُّ يستندُ في صراعِه معنا إلى حضارتِه المادية الزائفة، فإننا نواجهه بحضارتِنا الإسلامية السامية، فهو صراعٌ بين حضارتين حضارةٍ مادتها التراب، وحضارةٍ مادتُها السماء:(٢)

ستحاربُنا أمريكا بالبيت الأبيض
ونحاربُها بالحجر الأسود
كذلك ... ستحاربُنا بالطيارات
وبالدبابات، وبالدولارات
وبالعملاءِ، وبالسفهاءِ، وبالمأجورين
ونحاربُها نحنُ بسيفِ صلاح الدين

ويُظهرُ الصراعُ العربي-الغربي في العصر الحديث على أنّه جزءٌ من الصراع العربي-الصليبي في العصر الأيوبي، عندما تعرّضت بلادُنا لحملات صليبية متتابعة كان هدفُها الأساسُ نهبَ خيرات المنطقة، واحتلالَ الأماكن

---

(١) المصدر السابق، ١٩٩١/٢/١، العدد ٧٤٩٣.

(٢) حيدر محمود: المنازلة، دار الكرمل، عمان، ط١، ١٩٩١، ص١٨-٢٩.

المقدسة في فلسطين. وهذا يشبه ما قامت به أمريكا والدول الغربية في أثناء حربِ الخليج، وكأنَّ التاريخَ يعيدُ وجهَهُ ولكن بقناعٍ جديد:[١]

صلبانُهم تلمعُ الآنَ، قد رجعوا من جديد

ويقول مشهور توفيق في هذا المعنى: [٢]

ما أشبهَ اليومَ بالماضي وسيرتـه تحكي مجيءَ صلاح الدين للعربِ
باسمِ الصليب أتوْا بالأمسِ تجمعُهم أطماعُ قادتِهم بالزيـفِ والكذبِ
كي ينهبـوا النفطَ منّا في مؤامرةٍ بلهاء ظاهـرها إرجاع مستـلبِ

وعلى الرَّغم من أنَّ الشعَر كان مصوّباً نحو الولايات المتحدة في هذه الفترة كرأسٍ للصراع العربي-الغربي، فقد وردت إشاراتٌ عند بعض الشعراء تذكر الدول الاستعمارية الأخرى حليفةَ أمريكا في الخبث والدهاء كفرنسا وبريطانيا:[٣]

بريطانيا لها خبثٌ ومكرٌ ودَسٌ واعتـداءٌ وإستـلابُ
فرنسا في سياستِها دهاءٌ وفي أنيـابها سمٌ وصـابُ
أرادَ الغربُ هيمنةً علينا ونادى في المشارقِ فاستجابوا

غيرَ أنَّ الذي زادَ في حدّةِ الصراع قدومُ القوات الأجنبية بقيادة أمريكا إلى مهبِط الوحي مكة المكرمة، بعد أن رأت في العراق القوةَ العربية الجديدةَ التي من الممكن أن تُفْسدَ عليها مطمعَها في المنطقة، فجيشت جيوشَ العالم واستدرجتها طمعاً ورهباً لِمَا تريد، يقول مشهور توفيق:[٤]

(١) الدستور، العدد ٨٤٣٨، بتاريخ ١٩٩٠/٢/١٥ «ابراهيم السعافين: قصيدة أمة العرب قد تجلّى العراق».

(٢) صحيفة الرأي، العدد ٧٥٠٠، بتاريخ ١٩٩١/٢/٨.

(٣) الدستور، العدد، ٨٢٨٤، بتاريخ ١٩٩٠/٩/١٤، (صالح البوريني: قصيدة الغرب والعدوان).

(٤) صحيفة الرأي العدد ٧٥٠٠، بتاريخ ١٩٩١/٢/٨.

أمَّا حماةَ بني صهيون فاقتحموا — أرضَ الجزيرة للتنكيل بالعربِ
قد هالَهم أن يسوا بغداد قادرة — على التحدي بجيش النصر والغلبِ
لا يرتضون لنا بأساً يمكننا — من ردع عادٍ أو استرجاع مغتصبِ
سيروا إلى مهبط الوحي الذي هبطت — فيه البغايا وجيشُ الشر والشغبِ
جيشٌ أعدتهُ أمريكا لتهزمَنا — واستعدتِ الغربَ حتى انصاعَ للطلبِ
ما جمّعوا قبلَه حشداً يماثلُه — في آلةِ الموت والتدميرِ والرعبِ
واستدرجَ العالَم المأفونَ خلفَهم — هذا لإطماعهِ أو ذاك من رَهبِ

ولم يكتفِ الغرب بالدخول بل عاثوا في الأرض فساداً فسبوا وقتلوا، وداسوا المرابع، وأضْحَوْا سادةً في أوطاننا ، ورقصوا على أشلاء الضحايا كما يقول نايف أبو عبيد:[١]

فقد سُبيت مآذنُها — وقد غُلّت أياديها
وقد ديست مرابعُها — وقد نهبت روابيها
وأضحى العلجُ سيدَها — يعجُّ مكاوِه [١] فيها
على أشلائِها رقصوا — وعاثوا في مغانيها
فكيفَ يجئني فرحي — وقد كبرت مآسيها؟

ويظهر حزن الشاعر وألمه في إجابته عن سؤال من يلومه على حزنه قائلاً له:[٢]

أيهذا اللائمي في شدّتي — كيف لا يؤلمني هذا النبا
حشدَ الافرنجُ حشداً هائلاً — ضدّنا والنفطُ يمضي سائبا
ينزفُ الجرحُ نزيفاً صاخباً — هل سيبقى الجرحُ منّا ساكبا؟

(١) مجلة أفكار الأردنية، العددان١٠١/١٠٢، حزيران ١٩٩١، ص٦٨.

(١) مكاؤة: صفّر بفيه، أو شبك بأصابع يديه، ثم أدخلها في فيه ونفخ فيها (المعجم الوسيط: مكا).

(٢) عبد الرحمن شقير: حقائق وأهداف من خمائل الشعر، ص١٥.

كما أفاضَ الشعراءُ في وصفِ جرائمِ العدو، وما ارتكبه من أعمالٍ وحشية تَجاه المدنيين العزّل، وخيرُ شاهدٍ على جرائمهم القذرة وأخلاقهم الذميمة تدميرُ ملجأ العامرية المدني؛ ففي الثالث عشر من شباط ١٩٩١، شهدت بغدادُ أكثرَ الغارات إثارةً للرعب، إذ قصفت الطائراتُ الأمريكية العامريةَ فذهب ضحيةَ هذا العمل الإجرامي مئاتُ المدنيين الأبرياء وجُلّهم من الأطفال والشيوخ. ولم يكتفِ العدو الأطلسي بهذا، بل راح يقصِفُ أهدافاً مدنية من مدارسَ، ومستشفياتٍ، ومصانعَ للحليب والبسكويت وغير ذلك. يقول محمود الشلبي عن هذا العمل الوحشي:(1)

للعامرية في ضمير الملجأ المقصوف
أطفالٌ تناثر ريشُهم في الفجر
ما ملّوا الغناء ....
أسفي على وجهٍ كأن الصبحَ قبّلهُ
فاطبقَ مقلتيهِ على رجاء
هبطت عليه قنابلُ (الحلفاء)(2)
كان القلبُ في إغفاءةٍ ووجيبُه في كبرياء
هذا السحابُ يكادُ يهطُل في الدماء
والأرضُ تفتح صدرَها
والروحُ تصعدُ للسماء

كيف تُنسى هذه الجريمة وهي محفورةٌ في شرايين الجنود؟ كيف تُنسى وقد أمسى الأطفالُ طَعاماً لقذائفِ (الروم)؟ كما في قول محمد عيسى الحوراني:(3)

---

(١) محمود الشلبي : آفاق ليست لنا، ديوان مخطوط لدى الشاعر، ص٥٦.

(٢) الحلفاء: قوات التحالف الإمبريالي الأطلسي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ومعها بريطانيا، وروسيا، وفرنسا، ومعظم الدول العربية كدول الخليج ومصر وسوريا وغيرها.

(٣) الدستور، ١٢/٤/١٩٩١، العدد ٨٤٩٤.

العامرية لم تُسلِّم صدرَها للروم

رَغم الجوعِ والبارود

العامريةُ قبلت أطفالَها جَوعى

وقد أمسَوْا حصاداً للصواعق والرعود

فلتشهدي يا أمةً سلخت ملامحها الحدود

أن العروبة لم تمت، ما دامَ وشمُ العامريةِ في شرايين الجنود.

وتناولَ الشعرُ بالذم والشتم قائدَ الحملة الأطلسية على العراق (بوش) الذي كان له دورٌ قذرٌ في تأليبِ العالم، وحشدِ الجيوش، وإقناع الرأي العام العالَمي لضرب العراق، فيقول عبد الفتاح حياصات:(١)

يا (بوش) إنّــك لو تـدري فأمتنـا		تهوى (الردى) ولها في البذلِ أعلامُ

يا بوشُ دالت -إلاّ قُبِحْتَ- دولتُكم		وكـــذا المـــالكُ: أيـامٌ...فأيـامُ

ويشبّه عبد الرزاق العجلوني (بوش) بالكلب في قوله:(٢)

بوشُ سيلهثُ إن تحملْ عليه وإنْ		تتركه يلهثْ بين الخوف والندم

ثم بعد ذلك تناول الشعراء قضية الحصار الجائر على العراق فمُنع عن أطفاله الحليب، وجوّع الشعب حتى يركعَ ولكن هيهات .... هيهات:(٣)

قاتلٌ يختفي في غبارِ الحصار

يسرقُ الشمسَ والخبز

من بينِ أيدي النهار

ليموتَ الصغار

(١) أم المعارك الديوان الشعري: الجزء الثاني، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٩١، ص١٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ص١٤٥.

(٣) محمود الشلبي: آفاق ليست لنا، ديوان مخطوط لدى الشاعر، ص٥٤ «من قصيدة نعش البراءة».

وظهرت في الشعر صورةُ الجندي الذي جاءَ إلى الأرض العربية لدوافع مادية دنيئة، هذا الجندي الذي لا يحسنُ التعايش مع الصحراء العربية ورمالها وشمسها. فهذا محمود الشلبي يخاطبه قائلاً :[1]

أتحبُّ أنْ تُطوى
كُوَرَيْقةٍ ذبلت
فليس تموتُ أو تحيا
لا تؤثر الدنيا
وارحل قُبَيْل لهيبِ هذا النفط
وادفن حُلْمَكَ الأشقى

ويؤكد هذا المعنى إبراهيمُ الخطيب في قصيدة له بعنوان «اليانكي[2] في الرمال» بقوله: [3]

ليسَ هذا الدخولُ منه خروجُ — حتفهُم جرّهم هنا يا خليجُ
قرّ عيناً فها هنا شمس نجدٍ — وجحيم فوق الرمال يموجُ
يا رعاة الأبقار هذي المراعي — حنظلٌ علقم سوافٍ «ـوجَ
فلتزجوا بكل آلةِ حربٍ — سوف تهوي هذه الدمى والبروجُ

(١) أم المعارك الديوان الشعري، ج٢، ص٢٦.

(٢) اليانكي: أحد ابناء نيو انجلند بالولايات المتحدة الأمريكية أو أبناء ولاية من ولايات الامريكية تمييزاً له عن أبناء أمريكية اللاتينية». انظر منير البعلبكي: المورد (قاموس انكليزي-عربي)، دا العلم للملايين بيروت، ط١١، ١٩٧٧، مادة : Yankee.

(٣) صوت الشعب، ١٩٩١/٢/٣، العدد ٢٨٠١.

٢. تمجيد البطولات العراقية والاعتزاز بجيشه العظيم:

خلبت بغدادُ أنظار الشعراء، بعد أن رأوا فيها المدينة الصابرة المقاتلة بعد أن واجهت في عصرها الحديث أعتى حربين: الحرب العراقية الإيرانية، وحرب الخليج الثانية، وأثبتت بغداد في كلا الحربين أنها مدينة تستحق التمجيد والتبجيل.

والمدهش حقاً في الشعر الأردني أنّ هناك علاقةً حميمة بين بغداد كعاصمة قومية للشعراء/ بوصفهم نبض الأمة نلمس هذا في قول نايف أبو عبيد طالما تغنى بالعراق وبغداد:[1]

فيا أيها الأحباب ليلى عروسُكم   ومن يخطبِ الحسناءَ يغلي مداقَها
إذا كنتم تبغون أرضاً شريفة   مطهرة الأردان فكوا وثاقَها
فهاهم بنو «كوهين» ينوون بيعَها   وهذا هو الدلالُ للسوقِ ساقَها

وما دامت بغداد رمزَ بقاء العرب وسيفه المصلت ينبغي على كل عربي أنّ يفدّي ترابَها بدمائه، يقول عبد الفتاح حياصات:[2]

كلّ يقول أنا أفدي العراقَ بما   يُفَدّى العزيزُ ويحيا الرمزُ صدّام
بغدادُ رمزٌ بقاءِ العرب قاطبةً   بغدادُ فينا السنا والسيفُ والهامُ
ولن نطأطىءَ للفِرنجِ ولن   يمرّ إلاّ على أجسادِنا سامُ

كانَ الشعراءُ يحبونَ في بغداد شموخَها وصمودَها، ومن أجلِ ذلك كثيراً ما يتردد فداءُ العراق بالأرواحِ لتبقى عصيّةً من أنّ ينالَها باغٍ:[3]

ومن أجل هذي الأرضِ نحيا وإننا   سنفنى ليبقى عزّها وجلالُها
وقد علمتنا أن نُعلّي رؤوسَنا   ولاننحني للعاصفات جبالها
بلى يا عراقَ المجد ما شمخت بها   لنا هامةٌ إلاّ وأنتِ عقالُها

---

(١) نايف أبو عبيد: سلام عليه سلام عليها، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٤، ص٢٥.

(٢) أم المعارك الديوان الشعري، الجزء الثاني، ص١٤٩.

(٣) الرأي، ١٩٩٠/٨/٢٤، العدد ٧٣٣٢، «حبيب الزيودي عراق المجد».

وهي بيتٌ لكلِّ العاشقين، وقلعةٌ عصيّة رغم حقد الحاقدين:[١]

بغدادُ بيتٌ لكلّ العاشقــين لــها   وفي النوائب تغدو الموتَ والعصبا
إنّا إذا ما أتىٰ الأعــداءُ ساحـتنا   موتاً غـدونا ونـــاراً تنفثُ اللــهبا
إنّ العراقَ سيبقى قلعةً شمخت   شاءَ الحليـفُ وأمريكـا وإنْ غضبــا

وحينما واجهت بغدادُ غاراتِ الطائرات الأمريكية والحليفة كانت الأكفُّ ترتفعُ بالدعاء أنّ يحفظَ بغدادَ من كيد الكائدين، وأن يجعلَ قذائفَهم على زهورِه ندىً، ويردُّهم إلى نحورِهم خائبين:[٢]

يا ربِّ كُنْ مع العراق
يا ربِّ نصرُك الذي وعدتَ أهله
ونخلَه وخيلَه العتاق
واجعل قذائفَ العدى على زهورِه ندى
وردّها إلى نحورِهم ودورِهم ردى
يفتِكُ بالذين جاءوا يفتكونَ بالعرب

تمنّى الشاعرُ حيدر محمود أثناءَ (أم المعارك) أنّ تزيلَ هذه المعركة كلّ ما علِقَ بالنفس من أدرانِ الماضي، وأنّ تكونَ ريحاً صرصراً تعصفُ بالأرواح الخاوية فتطردُ منها الخوف والرعب:[٣]

لكِ المجدُ يا أمَّ المعـارك وانفضي   غبارَ الأسى عن هذه الأنفسِ التعبى
ومدّي إليها ريحَك الصّرصَر التي   ستُخْرِجُ منها الزّيفَ والخوفَ والرعبا
وقــد آن يا أمَّ المعــاركِ أنّ نـرى   ولــو مــرةً أوطـانَ أعدائِـنا تُسْبىٰ

---

(١) المصدر السابق، ١٩٩١/٢/٨، العدد ٧٥٠٠، «محمود فضيل التل».
(٢) حيدر محمود: المنازلة، ص٨٢-٨٣.
(٣) الرأي، ١٩٩١/٢/٢٤، العدد ٧٥١٧.

وعلّق علي البتيري الأملَ على العراق في تحرير أرضِ فلسطين من الأعداء، ويدلّل هذا على وَحدة المصير العربي، وأنّ قضايا الأمةِ العربية لا تُجزّأ، لا سيما أنّ قضيةَ فلسطين جوهرُ الصّراع، فيقول:[١]

لها أنّ تضمّ فلسطينَ شوقاً
إلى صدرِها، وتعيدَ بأعراس بهجتها
فرحةَ الكائنات
(فإمّا حياةٌ تسرُّ البلادَ وإمّا مماتٌ يَغيظُ الغزاة)

ومن الأيامِ التي ازدهت بها العراقُ، ورصّعت سماءَ العروبة بما نثرته فيها من نجومٍ هدية من بغداد إلى حيفا وتل أبيب، فعمّت الفرحةُ أرجاءَ الوطن العربي، وكم تعلّقت أعينُنا في السماء كلّ ليلةٍ عراقية ونحن نرى صواريخ الحسين تسافرُ من الجرح العربي، وبعدها نرى على شاشات التلفاز آثارَ هذه الصواريخ على أرض (إسرائيل)، وهي المرة الأولى التي يشاهَدُ فيها الصهاينةُ وهم يتدثرون بالألبسةِ الواقية من النيران، والكماماتِ الواقية من الغازات.

ومن الأغاني الجميلةِ في هذه المناسبة القومية المبهجة ما قاله محمد الظاهر معبّراً عن فرحتِه بألفاظ سهلة:[٢]

جاءَ صاروخُ الحسين
لا تسلْ من أينَ جاء
من بلاد الرافدين
شقّ أجوازَ الفضاء حاملاً أعظم رد
من زنودٍ عربية،
إنّه ردُّ التحدي لفلسطين الأبيّة

---

(١) مجلة أفكار، العددان ١٠٢/١٠١، حزيران، ١٩٩١ «علي البتيري: حديث أم المعارك، ص٧٤.

(٢) محمد الظاهر: أغنيات للعراق، ص٤٩-٥٠. وانظر كذلك: صحيفة الدستور ١/٣/١٩٩١، العدد ٨٤٥٢. أم المعارك الديوان الشعري، ج٢/ ص٢٤٧.

وعلى الرّغم من إسهاماتِ العراق القومية منذ فجرِ التاريخ ومشاركتها أشقاءَها العرب في كل حروبهم التي خاضوها -كما ظهر ذلك في الفصل الثاني- إلاّ أنّ العربَ تركوها وحيدة،وهي تصارعُ قوى البغي والظلم. وفي هذا يقول إبراهيم الخطيب:[1]

كيف خَلّوكِ في الخطوبِ وحيداً وتباكتْ أحبّةٌ ورفاقُ
لم يقولوا انصرْ أخاكَ العراقي فمنه في جيدهم أطواقُ
تشهد القدسُ كم تروّى ثراها تشهدُ الشامُ أنّك السبّاقُ

وتبقى ليلى (العراق) أيوبَ عصرها، تدافع عن العرب بما تملكه من قوة، صابرةً على الآلام، متسامحةً عن زلّةِ الأخ، ومغضيةً طرْفَها عن نكران الأهل:[2]

تدافعُ بالأظفارِ عن بابِ خدرِها ليبقى على الأيامِ حراً رواقُها
تظلُّ على البأساءِ أيوبَ عصرِها وعن زلةِ الأهلين تُغضي حداقَها
أحبايَ هذي الأرض مَنْ غيرُ أهلِها إذا رامها السرّاقُ يحمي عِذاقَها؟!

وأمامَ هذا الجحودِ العربي، ونكرانِ الجميل، ارتفع صوتُ الشعراء مخاطبين العراقَ وقائدَه الفذّ أنْ يستمرّ في نضالِه، وألاّ يرهبَه حشودُ الغرب التي جاءت إلاّ لمصالحها ، يقول عبد الفتاح حياصات:[3]

صدامُ نامضِ إلى الهيجا إذْ فرضت فقد عرفناكِ في إقدامِك النصرُ
لا ترهَبنّ حشوداً لا تحركها إلاّ المصالحُ والأطماعُ والشرُّ
ولتنصرنّ بجيش من ملائكةٍ ولتهزمنّ جيوشاً شأنها المكرُ

وكيف ستهونُ بغداد وفيها زهوُ القعقاع بين عمرو، والمعتصم، وعزُّ صدام:[4]

(١) الرأي ١٩٩٠/٨/٣١ ، العدد ٧٣٣٩ «نايف أبو عبيد: زغردي للعراق».
(٢) نايف أبو عبيد: سلام عليه سلام عليها، ص٢٥.
(٣) أم المعارك الديوان الشعري ، ص١٥٣.
(٤) المصدر نفسه، ص٨٨، «زياد البوريني: سيف الله صدام».

شدّي العزيمة يا بغداد يا وطناً ماهان يوماً ولا راعته أخطارُ

في عمق زهوك قعقاعٌ ومعتصمٌ فهل يروعك يوم الهول غدّارُ

وتاج عزّك صدّامٌ وسطوته سيف الإله بيوم الروع بتّارُ

وكان للقائدِ دَوْرٌ في الشعرِ المجّد للعراق، بعد أنّ أدركوا أثَرَه البارزَ في إدارةِ العملياتِ الحربية في حروبه منذ عام ١٩٨٠، وبخاصةٍ إذا كان يتمتّعُ القائدُ بحسٍّ قوميّ، وقيادة فريدة:(١)

اضربْ بهمتِك القوية هذي الجيوش الأجنبية

صدّامُ يا بطلَ العراق ورافعَ الزند القوية

اضربْ وناصرُك الإله على دعاةِ العنصرية

ومن الشعراء من تناولَ الحقيقةَ التاريخية التي ظلّ العراق مطالباً بها، وينادي بها ألا وهي تبعيةُ الكويت له: وعلى أنّها جزءٌ من ولاية البصرة، وفي هذا يقول الشاعر:(٢)

أيا يا بصرَةَ الحبِّ آن لكِ الآن أنْ تستعيدي

بقيةَ روحك بعد نبوٍّ طويل

وبعد انشقاق

وآن لكل أيائلِ دجلةَ أنْ تزدهي

حينما تلتقي النخل في (الكوت)

بعد الفراق.

ومما ظهر في الشعر الأردني أنّ الطبيعةَ وما فيها من رمالٍ وصحراء، وبحار قد لفظت هؤلاء الغرباء عنها، فثارت عليهم، وصارت من أعدى أعدائهم

---

(١) الدستور ١٩٩١/١/٤، العدد ٨٣٩٦ «أحمد القضاة: هيهات عوداً للوراء».

(٢) الرأي، ١٩٩٠/١٠/٥، العدد ٧٣٧٤ «محمد حسين عبيد الله: الأجل العراق نغني»

فهؤلاء الغازون كانوا مكروهين عندَ الإنسان والأرض، التي تكرهُ الغزو والاحتلال وحتى الرمال رمز الطهر والوداعة تَضْحىْ مخيفةً مرعبةً في مواجهةِ الغزاة:[1]

يا أمريكا ما في العالمِ آنسُ من رمل الصحراء
ولا أكرمُ منه
ولكن ... حين يكونُ الضيفُ ثقيلاً مثلك
فهو مخيفٌ جداً، وعنيفٌ جداً، وبخيل

ويصبحُ الرملُ مقبرةً للغزاة، والنخلُ والزيتونُ حصناً للمقاتلين، والبحرُ مكاناً لبوارجهم الراسية في قراره، يقول محمود الشلبي :[2]

وتعيرُه الصحراءُ واحةَ نخلها
وتقول: هذا الرمل مقبرة الغزاة
ويقول[3] : البحرُ أوسعُ من بوارجهم
وأعمقُ من مراسيهم
وهذا النخيل والزيتون في الشطآنِ أجامُ العروبةِ والعرين

ويظهر من كلّ هذا أنّ هذه المضامين ركّزت على تمجيد العراق أرضاً وشعباً وقيادة، وأظهرت مقدارَ الحبِّ الفطري عند الشعراء الأردنيين لبغداد حاضنة القومية العربية وحصنِ العرب المكين، كما مجّد الشعراء أمّ المعارك التي كشفت عن حقيقةٍ كانت غائبة، وهي أنّ العرب باستطاعتهم أن يحققوا آمال أمتهم إذا ما أرادوا ذلك بالعزم والتصميم والصبر ونبذ الفرقة والخلاف. وما بغداد إلا أنموذج لهم، وقد وقفت في وجه أعتى حملة عسكرية صامدة وحيدة، وما انثنى عزمها والآن.

(١) حيدر محمود : المنازلة، ص٢٢.
(٢) محمود الشلبي: آفاق ليست لنا، ص٤٧.
(٣) المصدر نفسه، ص٥٢.

٣. الخلاف العربي-الغربي ونقد الحكام والشعوب:

إذا كانت سمةُ النقد الغالبة في الفترات السابقة لأزمة الخليج تتسم بالاتزان والهدوء والتعقل، وتبتعد عن الشتم والإيذاء الجارح، فإنّ حربَ الخليج الثانية كانت القنبلةَ التي فجرّت الصمت العربي، وقوانين الاتزان والتعقل في الخطاب النقدي أو الانتقادي. فراح الشعراء يطلقون اتهاماتِهم لبعض الحكام والشعوب العربية، ويعلنون عن ذلك بلا خوف أو مواربة.

ويرجعُ السبب -كما اعتقدُ- إلى طبيعةِ الصراع هذه المرة؛ فبعد هذه الأزمة التي ألقت بظلالِها الشاحبة على المنطقة بأسرها فهدّمت بنى الكيان القومي العربي، فبدأ هشاً وبخاصة بعد المعركة وما نشأ عنها من تمزق عربي وخلافات عربية-عربية، بين مؤيد ومناهض، وقوميّ وعميل ....الخ.

كما أنّ الشعراءَ كانوا يروْنَ في العراق القوة العسكرية القادرة على صد العدوان، بعد أنّ خرجت العراق في حربها مع الفرس منتصرة، مظفرة، واكتسبت خبرة قتالية عالية، أضف إلى ذلك ما امتلكه من أسلحة حديثة متطورة. إلاّ أنّ أزمة الخليج أتت على كل هذا، فلم يجد الشعراء أمامهم إلاّ التعبير عن هذه النتائج التي وصلت إليها الأمة العربية عن طريق الشتم والذم والتشنيع على مَنْ قادَ الغربَ إلى ديارنا، وسيلتُهم إلى ذلك المظاهرات العارمة، والمؤتمرات الشعبية، والصحف والمجلات، والمهرجانات الثقافية في العراق والأردن وغيرها من الدول.

أ. نقد التواجد العسكري الغربي على الأراضي العربية:

استنكر الأردنُّ -على الصعيدين: الرسميّ والشعبيّ منذ بدايات الأزمة ما آلت إليه الأمور بعد الاجتياح العراقي للكويت عام ١٩٩٠م، إذ سمحت المملكة العربية السعودية للقوات الأجنبية بالتواجد على أراضيها، حماية حدودها، وصدّ (أي عدوان عراقي محتمل) على أراضيها.

ومع قدوم هذه القوات ثارت ثائرةُ الشعراء في الأردن على هذا العمل الذي يعدُّ اعتداءً صارخاً على الأمة العربية، وإرجاع الوطن العربي عهوداً مظلمة أيام الحملات الصليبية عندما كان الأخُ يستعين بالروم من أجل الحفاظ على عرشه.

لقد جاءت هذه القوات إلى ديارِنا بعد أنْ شَرْوا ذممَ العالم يؤيدهم العملاء والخونة[1].

جاءوا بكل حشودِهم وَشَروُا الضمائرَ والذممْ
جاءوا بحملةِ رجسِهم راموا المدينةَ والحرمْ
وأبو رغالٍ[2] كالدخيلِ يعيشُ محترساً بِهِمْ

ويصفُ عيسى بطارسة مفاجأتَهُ من وجود هذه القوات على أرضه فاستنكر وجودهم بعد أنّ سدّوا طريق النبي عليه السلام وأرض الصحابة في وجهه[3]:

ويممتُ أرضَ الجنوب
وقد أوقفتني بدربي جيوش، جيوش
نظرتُ بزرق العيون
تسائلني من أنا
وأصرخُ أنتم لماذا هنا؟

وكانت حجّة حكام السعودية من استقدام القوات الأجنبية حماية الأراضي المقدسة، وهذه دعوى باطلة؛ لأنّ البيت الحرام الذي حماه ربُّ العزة من أبرهة

(١) صحيفة الرأي، ١٩٩١/٢/١، العدد ٧٤٩٣ «هاشم صالح سلامه: ما فلَّ سيفك يا عراق».

(٢) أبو رغال: قسي بن منبه، كان دليل الأحباش لما غزوا مكة، فمرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بقبره فرجمه، فأصبحت سُنّة. (انظر الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول، ص٣٤).

(٣) عيسى بطارسة: الآخر البعيد، ص١٢٩.

وجنوده، قادر على حمايته دون اللجوءِ إلى أمريكا لو كانوا صادقين:[1]

البيتُ له ربٌّ يحميه
فلماذا لجأَ لأمريكا
هل يتخذُ مع اللهِ ولياً وشريكا؟
استغفرُكَ اللّهم

إنّ هذه الحشود والأساطيل والألوان والأجناس التي جاءت من جميع أنحاء العالم أظهرت أنّ العراقَ هو الأزهى والأغرّ، وأنّ إخوتَه الكثْرَ تطامنت قاماتُهم أمام شموخِه إلاّ نفراً قليلاً منهم:[2]

سيأتون من كلّ لون
ومن كلّ جنس، ومن كلّ صوب
سيأتون براً، ويأتون جواً، ويأتون بحراً
فتسوَدُّ كلُّ الوجوه، ووجهُك يبقى الأغرّا
وتقصُرُ قاماتِ إخوتَك الكثَر إلاّ القليل
وتبقى لك القامةُ الشامخة.

ب- ذم الحكّام والتشنيع على بعض الدّول بسبب وقوفها ضد العراق:

قلت سابقاً إنّ مواقفَ بعضِ حكام الدول العربية من أزمة الخليج الثانية جعلت الشعراء يصوّبون سهام النقد إليهم، ولم يكن هذه المرة كسابق عهده نقداً توجيهياً عاماً، وإنما كان في مجمله هذه المرة نقداً خاصاً جارحاً، استهدف هذه الفئة من الحكام الخونة الذين استعانوا بالغرب لاستعمارنا من جديد، بعد أنّ قضينا سنواتٍ من الكفاح للحصول على الاستقلال.

ومما يثير الحقد والحُنْق على هؤلاء العملاء أنّهم يتباهَوْن بهذا العمل المزري، ويفرحون كلّما مرّ سربٌ من طائرات العدو يسقِطُ قنابلَه على (الأشقاء

(١) صوت الشعب، ١٩٩١/٢/٦، العدد:٢٨٠٤ «قصيدة لحيدر محمود».
(٢) الرأي، ١٤/٨/١٩٩٠، العدد ٧٣٢٢ «خالد محادين: مقاطع من قصيدة طويلة».

الأعداء) يقول علي البتيري:[1]

نراهم يباهون بالعُري، والموتِ صمتاً

على ألفِ بابٍ وبابْ

كلّما مرَّ سربٌ من القاذفات

على قلعةِ المؤمنين استفاقوا

وهلّل منهم دمٌ يتلوثُ بالنفط

مستبشراً بسقوطِ الشقيقِ العدو

ومجدِ العدو الصديق

لقد فضحت أمُّ المعاركِ حاكمَ الكويت الذي يعتّقُ أموالَه في جرارِ العدو، ويُحَرِّمُ منه أطفالٌ لنا يحلُمون بالخبز والأمان ، يقول نايف أبو عبيد:[2]

تحدّثُ أمُّ المعارك

عن مالِ قارون[3]

وهُو يعتّقهُ في جرار العدو

وأولادُنا يأكلونَ الشظايا بأجسادهم

يرسُمُون الدوائرَ في لحظةِ الجوع

كي تشبهَ الأرغفة

وإذا كان ابنُ الدمينةِ قد هامه حباً صبا نجد العليلُ بقوله:

ألا يا صبا نجدٍ متى هجْتَ من نجدِ ... لقد زادني مسراك وجداً على وجدِ

فإنّ الحالَ تغيّر عند عرب اليوم، فصاروا يتغنَّوْنَ بانتصاراتِ أمريكا على الشقيق، وممن عارض هذه القصيدة المشهورة إبراهيم الخطيب، إلاّ أنّه وظّفها في

---

(١) الرأي، ١٩٩١/٢/٨، العدد ٧٥٠٠ «علي البتيري: ألا يبصرون العراق».

(٢) مجلة أفكار، العددان ١٠١، ١٠٢، حزيران، ١٩٩١، ص٧٥.

(٣) قارون: وزير من وزراء فرعون، ورد ذكره في القرآن الكريم، وهو مضرب المثل في الغنى والغرور، فبغى وتكبّر، فخسف به وبداره الأرض. «الموسوعة العربية: المجلد الثاني، ص١٣٦٠».

نقده (لعرب الخليج) قائلاً:[1]

تغنّوا بنصرٍ لم تكونوا رجالَه وصلوا لأمريكا الحمـاية من جندي

ويا حبّ أمريكا الذي لا يشوبه من النفطِ إلاّ النفط وجداً على وجدِ

ثم يشيرُ إلى السبب في قدوم الغزاة وهو إعادة شيخِ النفط إلى أمواله:[2]

سوى أنّ يعيدوا الشيخَ نحو عقاله إلى فضةِ القضبان أو ذهب القيد

فيا رَحِـمَ الأضـدادِ أيـةُ نطـفـة تغرّب حتى صارَ في توأمي ندّي

ومن خلال مدحِ العراق يذمُّ الشاعر خالد الساكت أعداء الأمة العربية من العرب الذين أصبحوا مطايا للغرب، ونعاجاً، وصوراً طبق الأصل للعدو الغربي[3].

واعراقي المقيم على العهد

هذا زمانُك وليخسأ الماكرون

النعاج، السروج، مرايا العدو

الخناجرُ في صدر أمتهم والمطايا

إنّهم أصبحوا تَبَعاً للغرب يأمرهم فيطيعون، ونَسُوْا أو تناسَوْا تاريخَهم العريق، وتراثَهم المجيد:[4]

وبعضُ الأهلِ واحزَنَي تصلّي خلفَ غازيها

كأنّا ما لنا نسبٌ لماضينا ومـاضيها

وكيف يتبعُه بعضُ العرب وقد سَرَق رغيفَ خبزِ الأطفال، وشرّدهم على وجهِ الرصيف دون مأوى[5]:

(١) إبراهيم الخطيب: ذي قار أخرى، ص٤١.

(٢) المصدر نفسه، ص٤١.

(٣) خالد الساكت: الذي يأتي العراق، ١٥١.

(٤) مجلة أفكار العددان ١٠١/١٠٢، حزيران، ١٩٩١، ص٦٩.

(٥) الرأي، ١٩٩٠/٨/٣٠، العدد ٧٣٣٨ «نايف أبو عبيد: بطاقة حب إلى بغداد».

الباب الثاني

الدراسة الفنية

سرق اللئامُ رغيفَه   وثوى على وجه الرصيف

وأبو رغال ورهطه   نامـوا على زَنْد الحليف

لقد سقطت الأقنعةُ، وافتضح أمرهم، وظهر تآمرهم مع الدخيل على الأشقاء والأخوان، ولم يعد هذا سراً خافياً على أحد، وفي هذا يقول عبد الفتاح حياصات[1]:

سقطَ النقابُ عن الوجوه ولم يعد   في الأمر بعد جلائه سرُ

يتآمرون مع الدخيلَ على الحمى   صفر الوجوه فحالُهم نُكرُ

وهم بلا عروبة وإسلام عند عبد اللطيف عقل:[2]

وسوفَ أمرُّ في دربي على عربٍ بغير عروبة

أخوضُ في مياهِ الحقد في أمصارِ مسلمةٍ بلا إسلام

لقد كان زلزالُ الخليجِ عنيفاً فأفقدَ معه بعضَ الشعراء اتّزانهم، فأُخذوا يقذفون بالشتائم منددين بالدول والحكام الذين وقفوا من العراق موقفاً معادياً ومتخاذلاً. ولقد ساهم الموقف الأردني: الرسمي والشعبي في تقديم صورة عن طبيعة النقد في الشعر الأردني في تلك المرحلة، ويمكن الرجوع إليها في أماكنها للاطلاع عليها[3]وأكتفي هنا بتقديم بعض النماذج المختارة للتدليل على هذه الظاهرة.

ومن ذلك قول نايف أبو عبيد يشبّه (خادم الحرمين الشرفين) بالصّنم هبل، لأنّه السببُ في استقدامِ الأساطيل إلى مكة المكرمة، كما ينعته بالمروق

---

(١) أم المعارك الديوان الشعري، ص١٥١.

(٢) صحيفة الدستور ١/٣/١٩٩١، العدد ٨٤٥٢.

(٣) انظر: خالد الساكت: الذي يأتي العراق، ص٣٧، ٤٢. وصوت الشعب، ٢٩/١١/١٩٩٠، العدد ٢٧٤١. ديوان أم المعارك الديوان الشعري، ج٢، ص٤٣، ٨٨، ١٠٥، ١٠٦. ابراهيم الخطيب: ذي قار الأخرى، ص١٥، ٢٩، ٢٣. الدستور، ١٤/١٢/١٩٩٠، العدد ٨٣٧٥، و١/٣/١٩٩١، العدد ٨٤٥٢، و١٥/٢/١٩٩١، العدد ٨٤٣٨، والرأي، ٢٦/١٠/١٩٩٠، العدد ٧٣٩٥.

والذلة والخيانة، فيقول:[١]

لا الأساطيل عاصمات رؤوساً (هبل) قادها لبيت تقانا
نجّس المسجد الحرام وأعلى للصهاينين راية وبيانا
أيها المارق الذليل تمهّل أمة الكفر لن تكون الرهانا
شعبك الحر لن ينام طويلاً سيجازيك حينك اليوم حانا

وإبراهيم الخطيب ينعته بأنّ الله سبحانه وتعالى لمّا رأى خسّته مسخه قرداً، وغيّر صورته، وما عباءته إلاّ خمارٌ ينزوي فيه لخجله مما فعل[٢]:

أيّها المسخُ في عباءةِ شيخٍ أيّ عار يخفيه هذا النسيجُ
ليس هذي عباءة بل خماراً ينزوي فيه وجهُك المحجوجُ
أمريكا لديك أي صلاة ومصلى وأين يسعى الحجيج

لقد صوّر الشعر حكام النفط العربي حكاماً يتصرفون بالمال العربي على وَفْق مصالحهم وأهوائهم وملذاتهم. لقد كانوا قبل الثاني من أب يتحكمون في مستقبل الأمة وثروتها إلى أنّ جاء الزلزال فأيقظهم من غوايتهم، يقول حلمي الأسمر في ذلك[٣]:

قبلَ الثاني من آب
كان إذا نام طويلُ العمر
يربطِ في تِكة سروالِ خليلته
مفتاحَ الخزنة
كان يخبئُ تحت مخدتِه
مستقبلَ أمته
ويغطّ طويلاً، يحلُم بالغلمانِ الجُرد

---

(١) الدستور. ٣١/٨/١٩٩٠، العدد ٨٢٧٠، «نايف أبو عبيد: زغردي للعراق»
(٢) صوت الشعب، ٣/٢/١٩٩١، العدد ٢٨٠١.
(٣) صحيفة اللواء، ٢٦/٩/١٩٩٠، العدد ٩٠٧.

وجلسات الأنخاب

لقد كشفت أمّ المعارك عن وجوه من كانت عروبتُهم زائفةً وكان إسلامُهم نفاقاً وتظاهراً، ولم يؤمنوا إلاّ بنفطهم ودولاراتِهم، يقول حيدر محمود[1]:

إذن، فلقدْ كانت عروبتُهم كذباً   وإسلامُهم زوراً وإيمانُهم نصبا
وكان التّقى فيهم غطاءً لفسقهم   وكان لباسُ الخيرين لهم مخبا
ولم يعرفوا يوماً سوى العهرِ غاية   ولم يؤمنوا إلاّ بدولارهم ربّاً
ولولاك يا أمّ المعارك لم نكن   لنكشفَهم أو نستبينَ لهم دربا
فقد دخلوا في جلدِنا وتغلغلوا   بأحشائِنا، واستوطنوا العقل والقلبا

ويبلغُ الأمر بالعراق أن تصرخَ في وجوه العابثين بمال الأمة[2]:

كَفّي تلاطمُ مِخْرزاً
وأكفُّ قومي
عابثاتٍ في خزائنَ من ذهب

ولقد عرّى الشعراءُ زيفَ عروبةِ بعضِ الدول العربية التي أيّدت التواجد الغربي وأرسلت بعضَ قواتِها للمشاركة في الحرب ضد العراق. ومن هذه الدول مصر وسورية[3]

فهذا خالد الساكت ينتقد الموقف المصريّ في قوله مخاطباً النيل[4]:

هل النيلُ قبل ثلاثين قرناً
هو النيل بعد سويعات هذا المساء الكئيب

---

(١) الرأي، ٢٤/٢/١٩٩١، العدد ٧٥١٧.

(٢) مجلة أفكار، العدد١١٢، تموز/آب ١٩٩٣، ص١٦٥ «محمد ضمرة: أم العواصم»

(٣) انظر: عيسى بطارسة: الآخر البعيد، ص١٢٥. خالد الساكت: الذي يأتي العراق، ص٤٢. والديوان الشعري أم المعارك، ج٢، ص٢٤٦ وج٢، ص١٠٥-١٠٦. وإبراهيم الخطيب: ذي قار الأخرى، ص١٥.

(٤) خالد الساكت: الذي يأتي العراق، ص٦٨.

مآذن مصر منّومة تكتفي بالصراخ

ومن الشعراءِ الذين كانوا ينفثُونَ زفراتِهم الحارّة بصدق وعفوية نايف أبو عبيد فاتّهم مصرَ بالخيانةِ القومية، ونقضَ عُرى العروبة مقابل مغنم حقير من المال(١):

يا أبا المسك (٢) ما الذي نرتجيه	من أياديك يا عميلاً مدانا
أنت مذ كنت ما رعيت ذماماً	ومن العار قد رضعت اللبانا
أنا يا نيلُ ما عرفتُك ... تغضي	عن ذليلٍ عن غدرِه ما توانا
بالملايين باعَ طهرَ السّواقي	كيف تُغضي وقد أذلّ لوانا
أزهرَ اللـّـه كيف يعلو أذانٌ	والصهايين نجمُها في سمانا
ديست الأرضُ ما سمعناكَ تحدو	(والله زمان) تستثير(٣) خطانا
والرواقُ الطهورُ أضحى حزيناً	بعدما صارَ للخنازيرِ خانا

ويؤكِّد خالد الساكت على دورِ الشام النضالي والقومي، وهو يراها تتخلّى عن هذا الدور القومي عندما أعرضت عن نصرة العراق(٤)

كانت دمشقُ محجّةً للثائرين

ماذا دهاها تنحني

وتصافحُ الباغي الخؤون

وتصوّبُ السهمَ العروبي

الحقود لدجلةَ ولرمزِ أشبال العرين

الذائدين عن العرين

(١) الدستور، ١٩٩٠/٨/٣١، العدد ٨٢٧٠ «نايف أبو عبيد: زغردي للعراق».

(٢) أبو المسك: كافور الاخشيدي (٩٠٥-٩٦٨م)، كان عبداً حبشياً اشتراه الاخشيدي عامل مصر، فنسب إليه، اعتقه وترقى عنده إلى أن حكم مصر «الموسوعة العربية، المجلد الثاني، ص١٤٢٨».

(٣) (والله زمان) : إشارة إلى الأغنية الوطنية المصرية: «والله زمان يا سلاحي» التي كانت تستثير العواطف القومية عند العرب.

(٤) خالد الساكت: الذي يأتي العراق، ص٥٤.

ثم ينتقدُ نايف أبو عبيد (حافظ الأسد) على وقوفِه ضد العراق، فعاب عليه موقفَه، وشنّع عليه بما أطلقه عليه من أوصافٍ كاعتناقه النُّصيْريّة التي كفّرها معظم علماء الإسلام باعتبارها من فرق الباطنية، واتّهمه بالنفاق، فيقول:[1]

شامُ يا شامُ أرعى اللهُ علجاً — أصفر الوجه باطيناً جبانا
ملأ الأرضَ والسماء نفاقاً — وهو اللهِ داؤنا وبلانا
شام يا شامُ ما عهدناك إلاّ — صيحة المجد حين يعلو حدانا

على أننا ينبغي أنّ ندرك أن النقدَ السياسي في هذه المرحلة لم يكن كلُّه على هذه الطريقة من التجريح الشخصي والايذاء على مستوى الحكام أو الدول وإنما ظهر نقداً توجيهياً كانت وظيفتُه السامية إشعار الأمة العربية بمدى الهوان الذي لحقها بسبب تفرقِها ولهاثِها وراء العدو مستجدية منه الحماية.

وهم في هذا التوجيه قد ابتعدوا عن لغة الشتم والسباب واكتفوا بإيقاظ الأمة من سباتها العميق، كما في قول الشاعر محمد سلاّم جميعان[2]

هابيل[3] قد تعب النشيدُ — حيري ويسكنها النشيج المترعُ
ملأى عروبتنا بداحس والشذا[4] — حرب الطوائف كل يوم نجرعُ
ضدّين صرنا لا يهزُّ خرابنا[5] — سيفٌ ولايعِظُ العروبة تبّعُ

وبعد أزمة الخليج عجّ الشارع العربي بالمظاهرات، والمؤتمرات الشعبية، ومهرجانات الخطابة المؤيدة للعراق، حتى إنّك لترى الشارع العربي يغلي ثورة

(١) الدستور، ١٩٩٠/٨/٣١، العدد ٨٢٧٠.

(٢) محمد سلاّم جميعان: عصافير الرماد، ص٤٩.

(٣) هابيل: أحد ابناء آدم، قدّم قرباناً لله فقُبل في حين لم يقبل قربان أخيه قابيل، ممّا أثار غضب قابيل فقتل أخاه، وورد ذكر القصة في القرآن الكريم. وفي هذا إشارة إلى قتال الأخوة والخلاف بينهم. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الثاني، ص١٨٧٧.

(٤) داحس والشذا: يومان من أيام العرب في الجاهلية.

(٥) خرابنا: هكذا وردت في الديوان، ولعلّها قرابنا وهو بيت السيف.

على أمريكا ودول الغرب، لكنّ السؤالَ الذي يطرحه نايف أبو عبيد: ما الذي استفاد العراق من ذلك؟ لم يستفدْ سوى الشجبِ والاستنكار الخالي من المضمون الحقيقي[1]:

أينَه الشارعُ الذي كان يغلي ... لم نرَ منه غيرَ حرب البيان
أين صوتُ الجهاد حيٌّ عليه ... والطواغيتُ تستبيحُ المغاني
عربٌ في اللسان يا حزنَ قلبي ... عربٌ في اللسان طنوا دواني
فإذا بأسهم شديد علينا ... وعلى كفرهم رقيق التداني
نحن من نُحكِمُ الحصار عليه ... لننال الرضا وصكّ الهوان

وها هو الشعب العربي عند حيدر محمود -على كثرته- شعب أدمن الخوف من الأعداء، شعبٌ لا يجيد سوى فن الخطابة ولا يهمهم بعد هذا لو كانوا حطباً للأعداء[2]:

وأصرخ بهذي الملايين التي اغتصبت
لو كنتِ مثلاً لأهلكت الذي اغتصبا
إذا دعوا لقتال لم تجد أحداً ......
منهم وإذ تنتهي .... ما أكثرَ الخطبا!!
ولا يهمُّ وقد ضاعت هويتهم
أنّ يصبحوا للظى أعدائِهم حطبا

ومن الشعراء من ركّزَ على حقيقة أهمية الوحدة العربية، ونبذ خلاف الأهل واحترام ذوي القربى؛ لأنّ المستفيد من هذه الخلافات العربية-العربية العدوُّ بالدرجة الأولى[3]:

---

(١) نايف أبو عبيد: سلام عليه سلام عليها، ص٢١-٢٢.

(٢) حيدر محمود: المنازلة، ص١٦.

(٣) عبد الرحمن شقير: حقائق وأهداف من خمائل الشعر، ص١٥.

يا أحبّائي، كفاكم فرقةً وحدوا الصف وهزوا القضبا
إنّ اسرائيلَ لن ترحَمكم وهي شرطيّ تسنُّ المخلبا
هل يعودُ الجوُّ صحواً صافياً هل يُولّي الحربُ عنا هاربا؟

وظهرت بعد الحرب وقدوم القوات الأجنبية (موضة الفتاوى الدينية) بين مؤيدٍ لقدومهم ومعارض، وعقدت لهذه الغاية المؤتمراتُ الدينية، وكانت هذه الفتاوى في أغلبها تصدُر عن طَمَعٍ أو خوف[1]:

وانقسمَ الصّفُ العربي صفوفاً شتى
واحتفلت أمريكا بكمالِ الفرقة
واحتفلت حتى بكمال الأسطول الجوي
وتمامِ الأسطول البحري
وقدّمتِ الدولارَ لمن أفتى!

وقول إبراهيم الخطيب[2]

وما ظلّ من سحنة الشيخ
لونٌ فتاواه بعد الاتاوة
سقوطُ العمامةِ في شَرَك النفط

(١) الرأي، ١٠/٢٦/١٩٩٠، العدد ٧٣٩٥ «محمود الشلبي: حكاية حفر الباطن».
(٢) إبراهيم الخطيب: ذي قار الأخرى، ص١٠. وانظر أم المعارك الديوان الشعري، ج٢، ص٤٣.

٤. الوجه الأسود للنفط العربي:

لقد حبا الله -سبحانه وتعالى- وطنَنَا العربي بنعمةٍ عظيمة، تعدُّ في هذا العصر من أخطر الأسلحة، وأشدها خطورة؛ لما تمتع به من أهمية عظمى في إدارة عجلات مصانع العالم وآلاته الاقتصادية.

وكان من الممكن أنّ يكونَ النفط العربي سلاحاً فتاكاً في أيدي العرب-كما ظهر سابقاً في فترة من فتراتِ الزهو القومي العربي أيام الملك فيصل بن عبد العزيز الذي هدّد بالنفط- وكان من الممكن أيضاً أنّ يُنْعشَ النفطُ الأرضَ العربية وأنّ يحوّل صحاريها وهضابَها إلى جنانٍ وارفةِ الظلال، وأنْ يرفعَ من مستوى الفرد العربي في شتى مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. والأهم من ذلك أنّ يزوّدَ العربَ بالأسلحةِ المتطورة التي تستطيعُ أنّ تقهرَ الظلم والعدوان.

لكنّ هذا -مع الأسف- لم يحدث، ما حدثَ أن النفطَ تدخلت في استخراجه وإدارتِه الشركاتُ الأجنبية مدعومةً من الدول الاستعمارية والصهيونية العالمية لتتحكمَ بالمال العربي فتصبُّه في بنوكِ هذه الدول وتزوّدُ الصهاينةَ بما يحتاجون، وبعضَ الدول العربية بصدقاتٍ وقروضٍ طويلة يكونُ الموتُ والهلاك في محاولة تسديدها. وما جاءوا بأساطيلِهم وحشودِهم في أثناء الأزمة (أزمة الخليج الثانية) إلاّ من أجلِ مصالِحهم، وأطماعِهم في المنطقة.

لهذا كلّه ركزَ النقدُ السياسيّ في القصيدة الأردنية على هذه (اللعنة) -كما قال حيدر محمود في قصيدته المشهورة: لعنة النفط- يقول فيها[1]:

يذهب النفط من بيته العربي
إلى بنك «واشنطن» المركزي
ويرجع أسلحة لليهود
وخوازيق من ذهب للعبيد
ولكلِ امرئ عند سيده ما يريد !

---

(١) حيدر محمود: المنازلة، ص٤٠-٤٣. وأم المعارك الديوان الشعري، ج٢، ص٥٠-٥٢.

كما يرجعُ هذا النفط بالنفع العظيم على حكامِه لاعلى الشعوب[1]:

يخرجَ النِّفطَ من سرَّة الجمل العربي

إلى ... (شَرَكِ العنكبوت)

ثم إنّ عليه السكوت

إنّ أرادَ السلامةَ أو سيموت

هذا السببُ هو الذي يجعلُ الشاعرَ يصرخ قائلاً[2]

هل نسميه نعمتنا

أم نسميه لعنتنا

ذلك الأسودُ المتسرب من دمنا

ولم يحمل النفط العربي للعرب إلاّ الموت والهلاك، لهذا فهو أسود الوجه والقلب[3]:أيها النفط يا أسودَ الوجه والقلب

ما كنتَ في أيّ يوم لنا

فلماذا تعاتبنا ؟

إنّ أقمنا عليك الغضب

وكرهناك هناك أكثرَ من كرهنا

لأبي لهب ... أو لأم لهب ؟!

كيف للمواطن العربي أن يُحبّ هذا النفط الأسود، وهو يرى فئة من حكامِه العلوج يتلذّذون، وينعمُون، بينما الأشقاء يتضورون جوعاً[4]

في المواخيرِ[5] سال نفطُ بلاديوعلى الجوعِ نامَ جوفُ الحزانى

(١) المصدر السابق، ص٤٣، وانظر ص١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٥.

(٤) الدستور، ٣١/٨/١٩٩٠، العدد ٨٢٧.

(٥) المواخير: جمع ماخور وهو بيت الريبة، ومجمع الفسق والفساد، المعجم الوسيط، مادة مخر.

وعلى رزقنا تعيش علوج[1] تضمر الحقد بل تسن السنانا

والنفط العربي يجب أن يكون للعرب لا لغيرهم من الدخلاء والأجانب[2]

نفط الخليج ليعربٍ في مشرقٍ أومغربِ
هو للعروبة كلّها وعلى مداها الأرحبِ
هو للجياع جميعهم رغمَ اختلافِ المذهبِ
نفطُ الخليج ليعربٍ لا للدخيل الأجنبي

ويؤكد حقيقة ذهاب النفط العربي إلى جيوب الأجانب إبراهيم الخطيب في قصيدته: لغة النفط الفصحى[3]:

أيّها النفط الذي يمضي وعوداًورصيداً في لسان الأجنبي
أيّها النفط الذي يمضي دخاناً إن بئر القلب نفطٌ دموي

إن ثمنَ النفط العربي غالٍ أيها الجندي الغربي، يا من جئتَ طمعاً ولم تدرِ أنك ستدفع دمك ثمناً له، ففي رسالة من محمود الشلبي يخاطب جندياً أمريكياً قائلاً له[4]:

من لم يمتْ بالنفطِ مات بغير ما يرضى
فأختر لقبرك بقعة أخرى
ودع الرمال لطارقٍ يسعى
لصاحبه العربي، كي يبقى
ودع الخليج لأهله
إذ ليس ينفعك الثواء وأنت لا ترضى
أيكون هذا النفط خيراً من دم
أيكون في حسبانك الأغلى

---

(١) علوج: جمع علج، كل جافٍ شديد من الرجال، والحمار. المعجم الوسيط، مادة: «علج».
(٢) أم المعارك الديوان الشعري، ص٢٦١. «مصطفى الجعيدي: لا للدخيل الأجنبي».
(٣) صوت الشعب، ١٩٩٠/٨/٩، العدد ٢٦٤١.
(٤) الرأي، ١٩٩٠/١٠/١٩، العدد ٣٧٨٨، وأم المعارك الديوان الشعري، ج٢، ص٢٥٩.

ومن الشعراء من حاول إقناع الدول النفطية باستغلال الثروة النفطية العربية بعد أنّ أخذت من (أم المعارك) درساً قاسياً وهو أنّه لا بدّ أنّ تتعاونَ الدولُ العربية لصدّ العدوان، يقول محمد الظاهر[1]:

تعالَوا إذن نُرتِّبُ بيتَ العروبة بعد الضياع

وبعد سقوطِ القناع

نُوزِّعُ ثرواتِه بيننا بالتساوي

وننزِعَ حقّ الجياع

ونفتحَ كلّ الحدود لكي يعبرَ العربُ الطيبون

إلى الوطنِ العربي الكبير

ونملكُ حقّ المصير

بأن نجعلَ النفطَ سيفاً لنا لا علينا

ودرعاً لجيشِ العروبة

لا سنداً لجيشِ الغزاة

وأنّ نجعلَ النفطَ ماءً يسيلُ بأرضِ العرب

يُعيدُ الخريرَ لكلّ الجداول

ووردت كثيرٌ من الإشارات في الشعر الأردني تبيّن مدى نقمةِ الشعراء على النفط العربي الذي سخّره العربُ لمصالح الغرب، ولم يستغلوه الاستغلال الأنسب[2].

من هذا نرى أنّ هذا الفصل: الصراع العربي-الغربي أبرز جملة من

(١) الرأي، ٢٤/٨/١٩٩٠، العدد ٧٣٣٢.

(٢) انظر إبراهيم الخطيب: ذي قار الأخرى، ص١٥-١٦، ص٣٧.

ومجلة أفكار، العددان ١٠١، ١٠٢، خزيران، ١٩٩٠، ص٦٩.

وعيسى بطارشة: الآخر البعيد، ص٩٨-٩٩.

وصوت الشعب، ٦/٢/١٩٩١، العدد ٢٨٠٤.

والرأي، ١٠/٢/١٩٩١، العدد ٧٥٠٢.

المضامين التي تكررت في الشعر الأردني، في أثناءِ أزمةِ الخليج الثانية عام ١٩٩٠م، علماً أنّ هذا الصراع لم يختفِ في فتراتٍ سابقة ومنذ الاحتلال البريطاني والفرنسي للبلاد العربية وحتى يومنا هذا، إلاّ أنّ هذا الصراع مع بدايات أزمة الخليج تبلْوَر، واتضحت معالمُه بصورةٍ لم تترك شَكّاً لدى المواطن العربي أنّ الغرب تّهمُّه بالدرجة الأولى مصالحُه الشخصية في المنطقة.

ومما زاد في حدّةِ الصراع قدوم القوات الأجنبية للجزيرة العربية بصورة جعلته مكروهاً ، وملفوظاً حتى من رمالِ الصحراء ونخيلها. فظهر عدّواً حاقداً مستعمراً وطامعاً في ثروات المنطقة.

ثم برزت صورةُ العراق بأمجادِه وحضارتِه العريقة، ودفاعه المستميت عن أمتِه العربية منفرداً إلاّ من نفرٍ قليل من شرفاءِ العرب في طليعتهم الأردن. كما وُجِّهَ النقدُ السياسي وِجهةً جديدة وهو الذّم والشتم والتشنيع على من كان سبباً في قدوم القوات الأجنبية للمنطقة، وتعرَّضَ لبعضِ الحكام العرب الذين وقفوا موقفاً معادياً للعراق ويرجعُ السببُ إلى طبيعة الصراعِ الدائرِ الذي استهدف العراقَ بوصفِها القوةَ العظيمةَ التي علّق عليها الشعراءُ آمالَهم في التحرير والنصر.

الفصل الأول

الأسلوب

اللغة هي مادة الشعر الأولى، وهي الوعاء الذي تُسكبُ فيه الأساليب والأدوات الشعرية الأخرى، واللغات المتميزة هي اللغات القادرة على أن تسايرَ العصرَ، لا أن تبقى قعيدةَ التقليد والجمود، ظانةً أنها كلّما ابتعدت عن حياة الشعب العامة كان أسمى لها.

ولهذا كانَ معظمُ الشعراء في فترة الحكم العثماني أسرى التقليد مما جعل الشعرَ في هذه الفترة يغدو في أكثرِه مجرَد ألغازٍ وأحاجٍ وتنميقِ ألفاظ خالية من المضامين التي تعبّر عن روح العصر، ولم يستطعْ أيضاً أن يواكبَ روحَ العصر وأن يواكبَ ركبَ الحضارة والتقدم.

لذلك كانت مهمةُ الشعراءِ في العصر الحديث مهمةً شاقة، إذ كان عليهم مواكبةُ مشكلةِ اللغة، باعتبارِها العنصر الأول في التجديد، وبخاصةٍ بعد ظهور الشعرِ الحرّ في الوطن العربي نتيجةَ تأثيراتٍ سياسيةٍ وثقافيةٍ بعد الحرب العالمية الثانية.

كان على الشعراءِ أن يبدأوا بالألفاظِ والتراكيبِ التي فقدت طاقتَها التعبيرية والإيحائية بعد فترةٍ استهلكت فيها هذه الألفاظ، إذ ليس من المعقول وقد غزت وسائل الحياة الحديثة كل ميدان، أن يقفَ الشاعر تُجاهها. وهو ابن بيئتِه- بِمعْزلٍ عنها.

فبدأ تأثُرُ الشعراءِ في الوطن العربي بتياراتِ التجديد عن طريق الاختلاط بالغرب، وحاولوا في بداية الأمر استخدامَ ألفاظِ الحياة في الشعر، ودبّت روحُ الشعر الجديدة في تعبيراتِهم العصرية، وتغلغلت في نسيجِ القصيدة، حتى صارت تبتعدُ شيئاً فشيئاً عن اللغةِ المعجمية التي لم تَعُدْ تجذبُ الأسماع.

وتفاعلَ الشعرُ الأردني المعاصر مع هذه الروح الجديدة بعد أن رانَ التقليد على معظم النتاج الأدبي في مرحلة ما قبل نكسة حزيران عام ١٩٦٧، فحاولوا

استخدامَ الألفاظِ السهلة، وألفاظ الحياة العامة، وأدخلوا التعبيراتِ العصريةَ وألفاظَ الحضارةِ في قصائدِهم، وبهذا كان الشعرُ طليعياً للانتقال إلى عوالم العصر الحديث.

١- الألفاظ والتعابير والتراكيب

امتازَ الشعرُ القومي في الفترة ما بين ١٩٦٧-١٩٩١م من غيرِه بالسهولة، والتقريرية، وغلبت على معظمِه النبرةُ الخطابيةُ والنثريةَ، ويعودُ السبب في حدود تقديري إلى أن الشعرَ القومي في هذه الفترة كان شعراً يلاحقُ الأحداثَ القومية والصراعاتِ الدائرة فيصورَها، ومن هنا كان في أغلبِه منفعلاً متأثراً بالأحداث والصراعات ومتفاعلاً معها، فهو في هذه الناحية أقرب ما يكون إلى شعر المناسبة منه إلى الشعر المؤثر والمستشرف الأحداثَ قبلَ وقوعها.

وبعد استعراضِ مجموعةٍ لا بأس بها من الدواوين في الفترة المخصصة للبحث نجدُ أنّ الشعراءَ يتغنَّوْنَ بانتصاراتِ الأمة أو ينتقدونَ تخاذلَ الحكام والشعوب في حالة النكسات، فهو شعرٌ قويّ يعبّرُ عن أصداءِ الأحداث ووقعها على أبناء الأمة العربية، ولهذا كان شعراً جماعياً امتازَ بالسهولةِ والمباشرة وهذه المباشرة ليست سطحية، وإنما المباشرةُ التي تنبعُ عن قناعةِ الشعراء باستخدامِ اللغة السهلة ومن ذلك قول نزيه القسوس:[1]

الوحدةُ مطلبُنا الأكبر
وبغيرِ الوحدةِ لن نثأر
فشعوبُ الأرضِ العربية
تتحدى كلَّ البشرية
من غيرِ حدودٍ وهمية

---

(١) نزيه القسوس: يوميات حزيران، ص٥٠-٥١.

إلا أن بعض الشعراء تجاوَزحدُّ المباشرة إلى التقريرية والخطابية، فاستخدام بعضهم بعض الألفاظ الخالية من الشعرية نحو، (فلتعلم) في قوله أديب نفاع:(١)

فلتعلمْ إسرائيل أن شبابنا ... هم عدة الوطن ليوم الثـار
ولتعلمْ إسرائيل أن أرضنا ... هي روحنا هي قبلة الأنظار
فإذا خسرنا جولة فأمامنا ... جولاتنا عربية الأقطار

كما أجبرته القافية على استخدام القافية المستدعاة في كلمة(الأقطار) التي لا تفيد معنىً وإنما تأتي ليستوي فيها الرويّ فقط.

كما برزت ظاهرة الخطابية في كثير مما تناوله الشعراء حتى غدت صالحة للإلقاء أمام الجماهير كقول عبد الرحيم عمر:(٢)

أيها الأخوةُ في أرض بلادي الطاهرة
أصبحت كلّ الخفايا ظاهرة
وقوىً دولية كبرى وراء المجزرة
لم تزل تكبر ساحُ المجزرة
غيرَ أنّا سنقاتل
وإلى آخرِ جنديّ شريفٍ سنقاتل

وتميّزُ كثيرٌ من الشعر الأردني في هذه الفترة (الفترة المخصصة للبحث) بالنثرية ولولا الوزن والقافية أو الوزن فحسب لصارت بعض القصائد كلاماً نثرياً خالياً من أيِّ إيحاءٍ شعري، كما في قول محمود فضيل التل:(٣)

(١) أديب نفاع: قلبي عليك ياوطن، ص٣٧.
(٢) عبد الرحيم عمر: الأعمال الشعرية الكاملة، ص١٧٩.
(٣) محمود فضيل التل: أغنيات الصمت والاغتراب، ٧٩.

لأنّكم محاصرون كالسوار

وعندما تمتدُ أيدينا إلى جرارِ الماء

ويمنعون الماءَ عنكم ...... والطعامَ والدواء

فأكادُ لا أخفيك أنّي

قد فقدتُ الاعتزازَ بكل شيء

بعد ما خابَ الرجاء

وحتى بعض الشعراء الذين أَجادوا في القصيدة التقليدية، ومهروا في قصيدة الشعرالحر كانت لهم بعضُ القصائد التي طغت على سطحِها النثرية إلى الحد التي تصلُح أن تكونَ أغانيَ للأطفال، كقول نايف أبو عبيد:[١]

دِ ازي ليمون وسلاسل

زهرٌ بريٌّ وغلال

وتلال تزهر وجبال

جزناها العتمة جزناها

وليالي المحنة دسناها

وصروح العزة شدناها

والعرس سيبقى عرس

وعلى الرّغم من أنّ السهولة والوضوح من الأمور المحمودة في تناول الموضوعات القومية والاجتماعية، إلاّ أنه من غيرِ المقبول في الشعر أن تطغى عليه المباشرة والخطابية؛ لأنّ مثلَ ذلك يقلّلُ من روعة العمل الأدبي القائم على الاحتيال على التصريح، فلغةَ الشعر تجنُح إلى التلميح الذي هو أبلغ من التصريح.

(١) رنة الشعر وملتقى المبدعين، الجزء الرابع، ص٢٤٧. وللتدليل على السهولة والنثريةأنظر عبد الرحيم عمر: تيه ونار، ص٤٩، أديب نفاع: قلبي عليك يا وطن، ص٤٩ وادوارد عويس: رواد المساء، ص٨٣.

ومن الأساليب التي تناولها الشعراء في قصائدهم أسلوب العرض القصصي القائم على الشخصية أو البطل والأحداث وذروة التأزم وحل العقدة وهو أسلوب وإن بدا متواضعاً إلاّ اننّا نجدُ بعضَ الشعراء قد خاض مضمار هذا النوع من الشعر بعد أن نضجَ الشعرُ الغنائي واستوى على سوقه.

ففي قصيدة (الفتى جاسم) لخالد محادين نجد بوادر هذا الاتجاه، إذ رسم في هذه القصيدة صورة العاشق البطل جاسم (رمز العراقي الشجاع) بعد أن خطبَ فتاةَ أحلامِه، وتوجّه إلى الجبهةِ للقتال دون وداعٍ محبوبته فشارك في المعركة إلى أن سقطَ مضرّجاً بدمائه، فجاءت إليه خطيبته تنادي عليه بين الجنود في الفاو (أرض المعركة) وإذا به ملقىً على الأرض فجثت عليه قائلةً له:[(١)]

لو أنك لم ترحل في الفاو

لكنت بكيتُ عليك

آه يا توأم روحي

لم أتوحد بعدك لكنّي أتوحدُ فيك عراق

كما استخدمَ بعضُ الشعراء الأسلوب الحواري القائم على السؤال والجواب. كما في قول حيدر محمود:[(٢)]

من يذكرُ أسوأَ أيام العرب؟

- الرّدة؟

كلاّ

- غزوُ الكعبة؟

كلاّ

- داحسُ والغبراء؟

لا بل هو يومَ ظهورِ الطلعِ الشيطاني

(١) خالد محادين: الأعمال الشعرية، ص٣٩١-٣٩٢.

(٢) حيدر محمود: المنازلة، ص٢٩.

على خاصرةِ الصحراء.

وظهرت الحكمةُ في الشعر القومي قبلَ مرحلةِ خوضِ الشعرِ ميدانَ الشعر الحر-، وكمثال على ذلك ما قالَه عبد الرحيم عمر:[1]

وليسَ الذي يشْري كرامةَ قومِهِ   بغالي دماءٍ مثلَ من هو بائع!

أو قول خالد محادين:[2]

وليس يُرثى بغير الثأرِ من غدروا   ما قيمةُ الثأرِ بالقرطاسِ والقلمِ؟!

وهناك نصوصٌ كثيرةٌ تمثّل هذا الجانب الحكمي في الشعر القومي[3].

ومن الظواهر الأسلوبيةِ الجديدة في الشعر الأردني التضمينُ. هذه الظاهرة التي شاعت في الشعر الأردني بنوعيه:العمودي والحر، كقول خالد الساكت: [4]

«يا أمةً ضحكت من عارها الأمم»   وجيشها قبل بدءِ الحربِ ينهزمُ

وهو مأخوذٌ من قول أبي الطيب المتنبي:[5]

أغايةُ الدِّين أن تحفوا شواربَكم   ياأمةً ضحِكت من جهلها الأممُ

ومنهم من ضمّن نصاً ببعض ألفاظه، كقول جميل علّوش:[6]

(١) رئة الشعر وملتقى المبدعين، الجزء الثاني، ص١١٧.

(٢) المصدر نفسه، الجزء الأول، ص٢٩٥.

(٣) انظر سليمان عويس: العنقود، ص١١٢. كمال رشيد: شدو الغرباء، عمان، ط٤، ١٩٨٣، ص٦٤. زكي خصاونة: من ظلال القضية، ص٢٢، ٨٤. محمود فضيل التل: جدار الانتظار، ص٥٤. ووجدتك عالماً آخر، ص٦٣. وجميل علوش:جراح ودماء، ص٣٨. وداود معلا: الطريق إلى القدس، ص٤٧. حيدر محمود: الأعمال الشعرية الكاملة، ٤٨٧.

(٤) خالد الساكت: المخاض، ص٧٩.

(٥) ناصيف اليازجي (شرح): العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت، ص٣٩.

(٦) جميل علّوش: جراح ودماء، ص٣٨.

لك يا منازلُ في القلوب منازلُ　　　أقفرتِ أنتِ وهنّ منك أواهلُ

وورد التضمين عند مجموعة من الشعراء الأردنيين[1] إلاّ أنّ الملاحظ على هذا التضمين أنه تضمين يؤكد على انتماء الشاعر وهو يتوثب إلى مرحلة جديدة لوطنه وأمته وأنه موصول العرى مع تراثِهِ وأمجادِهِ لا سيما أنه يجابه تحديات وصراعاتٍ قومية تستهدفُ النيلَ منه ومن تراثِهِ المجيد.

الرمز　والأسطورة

الرمز هو «الدلالة على ما وراء المعنى الظاهري، مع اعتبار المعنى الظاهري مقصوداً أيضاً»[2]. ويمكن تقسيم الرمز إلى ثلاثة أنواع:

أ- الرمز الشخصي: وهو الرمز الذي يستخدمه شاعر معين دون غيره. ومن ذلك ما ترمِزُ إليه (ريما) في قول مصطفى الصيفي- مثلاً- ويقصد فلسطين:[3]

ذبحوه، ياألله، أريما لم تجد　　　من مسعفٍ إلاّ ابتسام المزدري

ب- الرمز الأصيل: وهو الذي يدركُ معناه في السياق الأدبي كرمز نفطان في قول حيدر محمود: [4]

لو كان عندي
بعض ما عند أخي نفطان
من مال وأرصدة
كنت اشتريتُ الأمَمَ المتحدة

ج- الرمز التقليدي: هو الرمزُ المتعارَفُ عليه في اللغة والأدب نحو: الثعلب رمز للغدر، والنسر رمز للشموخ والإباء، والتنين رمز الدولة الكبرى الظالمة، ونعمان رمز للفلسطيني أو الدم الفلسطيني. وبعض الرموز التراثية كالمسيح ويوسف، ونوح عليهم السلام.

(١)　المصدر السابق:المجلد الأول، ص٣٨.
(٢)　إحسان عباس: فن الشعر، ص٢٠.
(٣)　مصطفى الصيفي: قنابل للسفر الطويل، ص٤٥.
(٤)　حيدر محمود: الأعمال الشعرية الكاملة، ص١٣٧.

كما ترددت في الشعر الأردني بعض الرموز الجزئية عند كثير من الشعراء منهم: عبد الرحيم عمر، خالد محادين، حيدر محمود وغيرهم. ومن ذلك بعض الرموز الجزئية التي استخدمها حيدر محمود مثل: النخيل، السكاكين، الرمل، الصحراء .... وهي رموز يحدِّد السياق ما ترمزُ إليه. فالصحراء في قوله التالي قد تكون رمزاً للوطن العربي كما أنّ المكابَد طفلُ الانتفاضة:(١)

على من تنادي؟!

أيهذا المكابدُ ....

ولم يبقَ في الصحراء

غيرُك .... شاهدُ

واتّجه بعض الشعراء اتجاهاً رمزياً بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧، و. نتيجة للتطورات السياسية التي أثرت على المنطقة، بدأ الشعراء يستخدمون الرمز للتنفيس عن مشاعرهم القومية، ورأوا أنّ الرمز الوسيلةَ الوحيدة لنقل معاناتهم إلى الجماهير العربية، فظهرت الرمزية كحركة فنية تمردت على المباشرة والسطحية لطبيعة الظروف التي نجمت عن النكسة. ومثال ذلك ما قاله إبراهيم نصر الله منتقداً بعض الأنظمة العربية باستخدام رمز «العبد»:(٢)

سقطت مدنٌ وعواصم

لكنّ قاتلَنا العبَد لمّا يزل سيِّدا

وفي كلّ عرسٍ له ألفُ قرص

ويصعدُ في كلّ يومٍ علينا

ومن دمنا منشداً .... مزبدا

«أخي جاوز الظالمون المدى»

(١) حيدر محمود: الأعمال الشعرية الكاملة، ص١٤٥.

(٢) ديوان الانتفاضة، ص١٨١.

كما استخدمَ حسين خريس الرمز وهو هنا (مصرع الكبش) الذي يمثل زعامة عربية معينة، فيقول:[1]

وقفتَ فما أغراكَ يا كبشُ بالموت ... أما كان خيراً لو مضيتَ على سمتِ
وَظِلْتِ لنعجات يـرْيَنك سيّـدا ... وكنتَ بها تمضي إلى صالح النبتِ
بدت صورةً شوهاء قرنان لوّحـا ... وعينان مثل النّارِ نفثاً بلا صـوتِ
هجمتَ تريد الخصمَ وهو معرّس ... بمرآته يختـالُ كالفـارسِ الصّلـتِ

واستخدمَ الشعراءُ بعضَ الأساطير القديمة في الشعر القومي إلاّ أنّهم لم يعتمدوا الغامضةَ منها، وإنّما اعتمدوا الأساطيرَ التي شاعت في الشعر نحو: الهامـةِ (طائر يخرج من هامة القتيل الذي لم يأخذ بثأره، فلا يزال يقول اسقوني، اسقوني، حتى يقتل قاتله فيسكن)[2]. والفينيق (طائر يحترق فيصبح رماداً ثم ما يلبث أن يعود حيّاً) وعشتار (الإهة الحب والشهوة والتشخيص الإلهي لكوكب الزهرة، أحبت تموز إله الخصب وهي أكثر الآلهة شهرة في بلاد آشور وبابل)[3] وسيزيف (أحذق البشر كما يقول الإغريق وقد عوقب على حذاقته بأن يعمل بلا نهاية ولا توقف في العالم السفلي إلى الأبدية إذ حكمت عليه الآلهة بأن يدحرج مرمرة إلى قمة تل ثم تسقط قبل وصولها القمة، وهو رمزٌ للبعث)[4]. وبنْلوب (رمز الوفاء إذ ظلت مقيمة على عهدها مخلصة لزوجها الذي غاب عشرين سنة تعرّضت في أثنائها لمضايقات شتى من الطامعين، وأخيراً عاد زوجُها وحاربَ هؤلاء المتطفلين[5]. ويوليس (أكثر أهل اليونان اشتياقاً للإبحار عائداً إلى اليونان وبعد مخاطر عظيمة عبرَ كلَّ تلك المخاطر بأمان ووصل إلى

(١) محمود مهيدات: اتجاهات شعراء الأردن، ص٢٦٧-٢٦٨.

(٢) انظر حسين الحاج حسن: الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ص٧٦.

(٣) انظر لطفي الخوري: معجم الأساطير، الجزء الثاني، دا الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، ط١، ١٩٩٠، ص١٢٧-١٢٩.

(٤) آرثر كورتل: قاموس أساطير العالم، ترجمة سهى الطريحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط١، ١٩٩٣، ص١٦٤.

(٥) انظر الموسوعة العربية الميسرة، ص٤١٨.

منزله وزوجته وكللّ بالغار كبطل إلى بقية حياته)[1].

ولا أعتقد أنّ هذه الأساطير التي وظّفت توظيفاً حسناً عند بعض الشعراء تشكل عاملَ غموضٍ في الشعر القومي لأنّها صارت مألوفةً لكثرةِ تداولها في الشعر الحر حاولت أنْأفسّر أشهرَ هذه الأساطير كثيرة الدوران في الشعر الأردني. ويمكن أن يضافَ في توظيف الأسطورة أن بعضَ الشعراء أخفق في ذلك فكانت هذه الاشارات الأسطورية نباتاً غريباً على أرضِ القصيدة، مما أفقدها قدرة التواصلِ مع الجماهير.

وممّن وظّفَ الأسطورة بشكل جيد ادوارد عويس إذ يستخدم أسطورة الفينيق وعشتاروت، وكأنه يريد أن يقول: إنّ توهجه وثورتَه وغضَبه مصدرُه حبّه لفلسطين إلهة الحب الخالد فيقول:[2]

أتوهّجُ في غضبِ الفينيق

تصعّدهُ عشتاروتُ

أما الهامةَ عند محمود الشلبي فدائمةُ الصياح في سهل الواقوصة طالبةً الثأرَ ولكنْ ما من أحدٍ يلبّي استغاثتَها:[3]

أيتُها الهامةُ صاحت

في سهلِ الواقوصة ...... في حطين

في قرطبةَ المنفى ...... في صحراءِ الربعِ الخالي

في قاسيون

«اسقوني»

ما مِنْ أحد

---

(١) انظر بياتريس الكسندر:الآلهة والبشر، ترجمة صالح عبدالحسين عيسى، منشورات وتوزيع المكتبة العالمية، بغداد ١٩٩٠، ص٨٠-٩٨.

(٢) ادوارد عويس: وراء المساء، ص٩٥. وانظر خالد الساكت:المخاض، ص٧٨. ومحمد عيسى الحوراني: بيادر الرماد، ص٢٠، ورنة الشعر وملتقى المبدعين، الجزء الثالث، ص٢٧.

(٣) محمود الشلبي: عسقلان في الذاكرة، ص٣٦-٣٧.

وإذا كان الأسلوب: «هو اختيار الألفاظ وترتيبها في شكل له أثره وطابعه في اللغة المستعملة»[1]، و«الأسلوب هو الرجل إذ لا يوجد شخصان ينظران إلى الاشياء نظرة واحدة»[2]، فإنّ الشعراءَ مختلفون في طرقِ تعبيرهم بناءً على ذلك ، وأنّ التعبيرَ عن العصر الحديث بات مطلباً ملحاً عند الجميع، فمنهم من عبّر عن حبّه لوطنه بشكلٍ مباشر، ومنهم من هاجَمه بقصدِ إصلاحِه ومنهم من كانَ معتدلاً في نقده.

وفي الفترةِ المخصّصة للبحث أرى من الضروري التأكيدَ على أنّ لغة الحياة اليومية هي اللغةُ التي عبّر فيها الشعراء عن ذواتِهم، وصارت -كما يقول أدونيس-: «اللغة ليست سوى التعبير الاجتماعي لحقبةٍ معينة، وبذا فهي قابلة للتعديل والتطور وكذلك للموت ...... وأنّ اللغةَ العربية مدعوّةٌ شئنا أم أبينا إلى أنّ تصبحَ بالتدريج لغةَ مجتمعِنا وإلى أن تكونَ حيّةً في حياتِنا وعلى أفواهِنا، وليسَ في المؤلفات والمعاجم»[3].

ولهذا دخلت الشعرَ القومي ألفاظٌ وتعبيراتٌ أسلوبيةٌ جديدة تعبّر عن طبيعةِ المرحلة ، وروحِ العصر، وهذا من أهّم الأسباب التي ساعدت على انتشار الشعر القومي بين الجماهير، وبخاصةٍ في المهرجانات والأمسياتِ والمناسبات القومية المختلفة.

ومن هذه الألفاظ والتعبيرات التي شاعت في الشعر الأردني: (كانوا على مرمى عصا، ومرمى حجر)، (كان يا مكان)، (وليكن ما يكون)، (مجرم حرب)، (كأنّ عيناً أصابها)، (شمس عمان بالحنا تحنيها)، (رأيتهم بأم عيني)، (لا ترتضي وسيطاً)، (زغردن)، (سلّمت يداك)، (ما من حق يضيع)، (خلّي الموجة تحكي)، (عشنا وشفنا)، (جنب إلى جنب)، (بيّضت وجوهنا)، (طفح الكيل)، (والحاصل)، (نكيل الصاع صاعين) .... ومن الصيغ: عفواً، شكراً، حنانيك، لا بأس، كيف الحال، حتّام وعينيك (في القسم)، يا حادي العيس، طوبى لكم.

---

(١) محمد كامل جمعة: الأسلوب، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٩٦٣، ص٦٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٦٧.

(٣) كمال خيربك: حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر، ط١، ١٩٨٢، ص٩٠.

أما الألفاظ الحديثة فيمكن أن تُقسَم إلى فئات منها:

أ-الألفاظ المبتذلة: القرف، البذاءة، الخنوع، البصاق، دم الرحم، الفخذ، العري، الحيض، دم النفاس، زناة الليل، الخنا، ينزو، القذى، السافلين، البغايا، البكارة، المواخير، الغلمان الجرد، النجاسة، المسخ، سراويل الخليلات، الخوازيق (عمود مدبب الرأس كانوا يُجلِسون عليه المذنب فيدخل من دبره ويخرج من أعلاه. وهي دخيلة)[1].

ومثال هذه الألفاظ البذيئة يصور المأساة اللبنانية في صبرا وشاتيلا:[2]

وحنٍّ لحاهم بدمٌ اللواتي

افتضضن ببيروت قسراً

ب- الألفاظ العامية: دخلت اللفظةُ العامية نسيجَ القصيدة فأعطتها دلالاتٍ وإيحاءاتٍ جعلت الشعر يقتربُ من نبض الحياة العامة وأمدّت الشاعر بطاقةٍ تعبيرية جديدة وساعدت في التعبير عن همّ الشاعر القومي في معالجتِه لقضايا أمته، على أنّه من الخطورة بمكان أنّ يُغرِقَ الشاعر في عاميته حتى تغدوَ القصيدة الفصحى عامية لايفهمها العربي فيُعرض عن الشعر وتفقدُ القصيدةُ تواصلَها مع الجماهير العربية.

ومن أمثلة توظيف اللفظةِ العامية في الشعر الأردني قولُ محمد القيسي عندما نقل على لسان الطفلة التي سألته عن بيته بعد النزوح عن فلسطين فأثارت ببراءتها الحزن:[3]

تسألني الصغيرة:

تجرحني أصابعُ البراءةِ الصغيرة

تقول لي: «عمو وين بيتكو»؟

اللهَ يا عصفورة.

---

(١) المعجم الوسيط: مادة خزق.

(٢) علي الفزاع: مرتبة للمحطة الثالثة، ص٧٤.

(٣) محمد القيسي: الأعمال الكاملة، ص٧١.

ومن هذه الألفاظ العامية (باس: قبّل)، (يتفرجون: يشاهدون)، (هلهولة: زغرودة)، (انفلق: متْ غيضاً)، (خرمش: شوّه)، (منيّا: منّا)، (فشر: خاب وظل)، (شخر: نام وأخرج صوتاً)، (حاميها حراميها: حارسها لصها)، (عكروت وزعران: محتال، مخادع)، ومثل هذا كثير في الشعر الأردني.

وكان من الأفضل -تجنباً للغموض- أنّ يشار إلى معاني هذه الألفاظ والتراكيب في حواشي القصائد عند الضرورة

جـ- ألفاظ الحضارة

أ- أسماء المدن: القدس، بغداد، القاهرة، عمان، دمشق، صيدا، صور، البصرة، الفاو، بيروت، الدامور، الشياح، الشقسف، النبطية، غزة، عسقلان، عمواس، الجولان، الجليل.

ب- أسماء المعارك: حطين، القادسية، اليرموك، ذي قار.

ج- ألفاظ الحضارة: الكهرباء، الرصاص، الطباشير، الطائرات، المصابيح، المرافئ، الكافيار، التبغ، النبذ، جوازات السفر، بطاقات الإقامة، الديسكو، وكالة الغوث، الجرافات، الصالات.

د- أسماء الأعلام الأجنبية والعربية: شارون، ريغان، بوش، رينولد، ريتشارد، اتان، رامبو، لوركه، كسرى، قورس، الخميني، شكسبير، مائير، الشاة.

والعربية نحو: الحسين، حافظ، مبارك، فهد، صدام، القعقاع، المثنى، سعد.كما ظهرت في الشعر القوميّ بعض الأخطاء أو التجاوزات النحوية، والظواهر اللغوية ويدور معظمها في فلك الضرورات الشعرية الجائزة كالوقف على الاسم المنصوب المنون بالسكون كقول الشاعر:

وليبقَ موطن الحراب والسنابلِ مسالماً

مقاتل

إذ الصواب أن يقول مقاتلا

ومن ذلك أيضاً صرف الاسم الممنوع من الصرف نحو: فاطمة، غزة، صحائفاً، قلائد. وقصر الممدود ومدّ المقصور و«اجمعوا (البصريون والكوفيون) على أنّه يجوز قصر الممدود في ضرورة الشعر»[1].

ومنهم من خفّف المشدد وبخاصة في النسب واضطروا إلى ذلك لسلطان الوزن والقافية كالنسبة إلى فلسطين فلسطيني والصواب فلسطينيّ .... ويجوز ذلك في الشعر اعتماداً على قول أمرئ القيس في الفعل المضعف:[2]

لا وأبيك ابنة العامريّ لا يدعي القوم أنّي أفِرْ

إذ خفّف ما حقه التضعيف في كلمة (أفر). ومن الظواهر كذلك قطع ألف الوصل نحو: ألله، أكتبْ (فعل الأمر من الثلاثي).

وكلّها ظواهر لغوية تبدو مستساغة طلبها الشعراء إما لحاجة نفسية أو لاضطرارِ القافية والوزن. يضاف إلى ذلك بعض الظواهر كالجمل المعترضة، الاشباع في الضمائر، وتقديم الجمل الاسمية على الجمل الفعلية[3].

كما برزت ظاهرةُ التكرارِ في الشعر القومي بصورة واضحة، ومن البدهي أن يأتي التكرار لوظيفةٍ داخل النص لا أن يأتيَ لقصورٍ أو ضعفٍ في استخدام الشاعر لأدواته الفنية فيصير التكرارُ عبئاً على القصيدة.

ومن وظائف التكرار: تأكيد المعنى وتقويته، أو الإيحاء والاحساس من خلال تكرارِ الحرف أو الفعل أو الاسم أو الجملة فيعطي شعوراً معيناً. وأفردت نازك الملائكة فصلا عنّ التكرار تحدثت فيه عن أصناف التكرار: البياني

---

(١) ابن الأنباري (كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد المتوفي ٥٧٧هـ): الإنصاف في مسائل الخلاف، الجزء الثاني، دار الفكر (بلا مكان وطبعة)، ص٧٤٥.

(٢) ديوان امرىء القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ص١٥٤.

(٣) انظر ادوارد عويس: رداأ المساء، ص٧١، ٩٩، ١٠١. وسليمان عويس: العنقود، ص١٢٣. ومحمد الحوراني: بيادر الرماد، ص٢٧. وجميل بركات: فلسطين والشعر، ص٢٦٢، وحيدر محمود: المنازلة، ص٣٨. وخالد الساكت: المخاض، ص٥٤ ويوسف أبو لوز: صباح الكاتيوشا أيها المخيم، ص١٥. وزكي خصاونة: من ظلال القضية، ص٥٢-٥٥.

والتقسيم واللاشعوري، وطبقت نماذج من الشعر الحر على هذه الأصناف[1].

ويكون التكرارُ بالحروف نحو: لن، لا، لام الأمر، الواو، لو ....

وبالفعل، نحو: يموتون، أترككم، سأعود ....

وبالاسم،والضمير نحو: لحظة،الصمت، أنت، فلسطين ....

ومن التكرار للفعل نأخذ مثالاً من قصيدة لعبد الرحيم عمر يُمثل تكرير الفعل المضارع (يموتون) الركيزة في القصيدة التي وصف فيها جرائم العدو الصهيوني المتمثلة بقتل الأبرياء من أبناء الشعب الفلسطيني[2].

يموتون ذبحاً

يموتون خوفاً

يموتون قصفاً

يموتون تحت الركام

يموتون تحت سنابل خيل الغزاة

يموتون والأمهات .....

ومن التكرار غير الموفّق لما فيه من قصور وضعف قولُ نزيه القسوس:[3]

أشتاق لأرضي لبلادي

أشتاق لنبع في الوادي

أشتاق لأشجار الزيتون

أشتاق لأشجار الدحنون

والقدس الثكلى

---

(١) انظر نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص٢٦٣-٢٨٧.

(٢) عبد الرحيم عمر: الأعمال الكاملة، ص.٣٧.

(٣) نزيه القسوس: يوميات حزيران، ص٥٥

ومواقع التكرار في القصيدة القومية كثيرة[1] حسبُنا ما أُشير إليه.

تضمين الأغاني الشعبية:

ومن الظواهر التي شاعت كذلك تضمين القصيدة الأغاني الشعبية و(الفلكلوريّة)، وأغلب الظن أنّ مثلَ هذه الظاهرة تسرّبت إلى القصيدة الأردنية نتيجةَ احتكاكِها بقصيدةِ المقاومة الفلسطينية، ولاعجبَ في ذلك بعد أن رأى الشاعر الأردني عبْرَ الصراعات القومية في المنطقة أن العدوَّ الصهيوني والفارسي والغربي كان يستهدفُ تراثَ الأمةِ وتاريخَها العريق، بل يعمل جاهداً لاقتلاعِ التراث العربي من جذوره.

ومن شعراءِ المقاومة الفلسطينية الذين برزت عندهم هذه الظاهرة وتبِعَها الشعراءُ الأردنيون: محمود درويش [2] وسميح القاسم[3].

أما عند الشعراءِ الأردنيين فدخلت هذه الأغاني لتؤدي دورها القوميّ داخل القصيدة إذ أعطَت - على بساطتِها وعفويتها - شعوراً قومياً نبيلاً يتمسك بالتراث العربي. ومن ذلك قول علي الفزاع:[4]

أغنية من الطرقات تأتينا

تلخصّ حزننا العربي تشفينا

«ما فيه حدا لا تندهي ما فيه حدا

فرسان في صف الحكي وخرفان قدام العدا»

---

(١) انظر ادوارد عويس: رواء المساء، ص٧٥، ١٠٧. يوسف أبو لوز: حيفا تطير إلى الشقيف، ص٨٥. باسل طلوزي: بقية المنفى، ص٥٢-٥٣. حيدر محمود: الأعمال الشعرية الكاملة، ص١٤٢-١٤٣. فايز التلاوي: بيروت تصرخ، ص٦٤، خالد محتدين: الأعمال الكاملة، ص٣٢. وإبراهيم الخطيب: غن لي غدي، ص٥٠.

(٢) ينظرمحمود درويش: الديوان، المجلد الأول، دار العودة، بيروت، ط٦، ١٩٧٩، ص٢٩٥.

(٣) ينظرسميح القاسم: الديوان، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧، ص١٦٦، وص٣٥٣.

(٤) مرثية للمحطة الثالثة، ص٤٤.

واستخدم الأغاني الشعبية في القصيدة القومية مجموعةٌ من الشعراء ببراعة فائقة منهم محمد القيسي بقوله:(١)

ومات الصبح مخنوقاً على بوابة الأحزان

«يا تعبي يا شقاي

ياشماتة عداي».

كما تأثر الشعر القومي بالقرآن الكريم، وهذا دليل واضح على أن الشاعر كان يستقي مضامينه القومية من تراثه الرائع ليؤكد على تلازم العروبة والإسلام وأنه لا انفصام بينهما. ومن الشواهد على هذا التأثر قول إبراهيم المبيضين:(٢)

انفروا قومي خفافاً وثقالاً	وأجيبوا داعي الله تعالى(٣)
وأعدّوا ما استطعتم من قوىً	واجعلوها لذوي البغي نكالا
أعلنوا الحرب على العادي الذي	عاث في الأرض فساداً واغتيالا
جاء نصر الله والفتح الذي	قد ترقبناه أعواماً طوالا
ادخلوا الباب عليهم عنوةً	اسمعوا العالم إعوال الثكالى

كما ورد تأثر الشعراء بألفاظ القرآن الكريم واضحاً نحو: حصحص الحق، علّم بالقلم، قريش، الملائكة، الشرك، حجارة من سجيل، طير أبابيل، الزلزلة ....

ولا عجب في ذلك فالشعراء القوميون هم صوت الأمة النابض إذا ما ادلهمت الخطوب وسرعان مايعودون إلى تراثهم ليستمدوا منه ما يعينهم على

(١) محمد القيسي: الأعمال الشعرية الكاملة، ص٥٨. وانظرمثل هذا التضمين سليمان عويس، العنقود، ص١٢٠. عيسى بطارسة: الآخر البعيد، ص٩٨. حيدر محمود: الأعمال الكاملة، ص٦٤. محمد ابراهيم لافي: مواويل على دروب الغربة، مطبعة عمان، ١٩٧٣، ص٨١.

(٢) حسن علي مبيضين، فوزي الخطبا: إبراهيم مبيضين حياته وشعره، ص١٩٢.

(٣) انظر لتوضيح أثر القرآن الكريم في هذه الأبيات على التوالي: التوبة: ٤١، والأنفال:٦٠، والبقرة:٦٠، والأعراف:١٦١.

مواجهة التحديات والأخطار[1].

والأمر الآخر أنّ الصراعات القومية التي شهدتها منطقتنا العربية في الآونة الأخيرة، وتفاعلَ الشعراءُ مع الأحداث، وتصويرهم الواقع المعيش أذكى التجربة الشعرية، وولّد عندهم المعاناة؛ لأنّ الشاعر الذي لا يعاني لا يستطيع أنّ ينقل معاناتِه للآخرين «كالمرأة التي تريد أن تصل إلى الأمومة، دون المرور بمراحل الحمل والمخاض»[2].

ولأنّ الشعرَ القومي كان في أكثرِه منفعلاً بالأحداث التي مرّ بها الوطن العربي، كان للمناسبةِ دورٌ كبير في تبلور المعاناةِ، وشحذِ هممِ الشعراء لتصوير الأحداث الجسام، التي تعرّضت لها الأمة، الأمر الذي نجم عنه ولادةُ العشرات من الدواوين الشعرية، وتفاعلَتِ الجماهيرُ العربية معها. ويدلُّ هذا على معاناة الشاعر الأردني بعض الصراعات كالصراع العربي-الإسرائيلي الذي كوّن جزءاً كبيراً من همّه القومي، ودفعه إلى تبني القضايا القوميّة، والدفاع عنها بعد أن نضجت عندهم التجربةُ الشعرية منذ تأسيس الإمارة عام ١٩٢١.

إنّ صورَ المأساةِ الفلسطينية كانت ماثلةً في وجدان الشاعر الأردني نتيجةَ التواصل والمشاهدات اليومية للحدث، ومنهم من عاشَ التجربةَ وآلام الشعبِ الفلسطيني بنفسه، وهم يغادرون فلسطين إلى الأردن. ومع أنّه ليس من الضروري أن يكونَ الشاعر قد عانى التجربةَ بنفسِه حتى يصفَها، بل يكفي أنْ يكونَ قد لاحظها، وعرفَ بفكرِه عناصرَها، وآمنَ بها، ودبّت في نفسه حُمّياها[3]. إلاّ أنّ الشاعر الأردني يُمثّل الأحداث القومية تمثيلاً رائعاً، وتبنّى قضايا أمتِه، فنقل أدقّ التفاصيلِ المتصلةِ، وعبّر عن تجربته من أعماق نفسه حتى غدت قضايا أمته همّه الأكبر، وأمله المرتجى.

(١) انظرفي أثر القرآن الكريم في الشعر، محمود القيسي: الأعمال الكاملة، ص٧٤. حيدر محمود: الأعمال الكاملة، ص١٣٠ والمنازلة، ص٨٤، إبراهيم الخطيب: ذي قار الأخرى، ص٧، ١٥. محمود الشلبي: أشجار لكل فصول، ص٦٦، ٦٧. وجميل بركات: فلسطين والشعر، ص٢٥٦. ومجلة أفكار، العدد ٦٥، تموز/ آب، ١٩٨٣، ص٣٣.

(٢) مجلة المعرفة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، العدد ١٣١، كانون الثاني، عام ١٩٧٣ «مقالة نزار قباني عن الشعر والقصيدة والتجربة».

(٣) محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص٣٨٦.

٢- الموسيقا:

كان القدماءُ من علماء العربية لا يَرَوْن في الشعر أمراً جديداً يميزُه من النثر إلاّ ما يشتملُ عليه من الأوزان والقوافي[1]

وينقلُ محمود غنيمي هلال قولاً: «وما الشعر إلاّ ضربٌ من الموسيقا إلاّ أنّه تزدوج نغماتَه بالدّلالة اللغوية»[2].

يتضحُ من ذلك أن الموسيقا عنصرٌ هامٌ في الشعر، وبخاصة في البيت ذي الشطرين الذي تَردّدُ فيه وحدة الموسيقا وفي جميع أبيات القصيدة.

ومع بداية ظهور الشعر الحر واستقرار الحركة استخدمت التفعيلة بدلاً من البحور الشعرية الخليلية. غير أن الملاحظَ على الشعر الأردني - والقومي بخاصة- في فترة البحث أن الشعراءَ راوحوا بين النوعين (التقليدي والحرّ) إلى أنّ طغى الشعر الحر في السنوات الأخيرة على معظم النتاج الشعري الأردني.

وتشتمل الموسيقا على:

أ- الوزن: وهو (مجموع التفعيلات التي يتألفُ منها البيت وقد كان البيت هو الوحدة الموسيقية للقصيدة العربية) [3].

ولو استعرضنا كنوعٍ من التدليل بعضَ الأعمال الشعرية لمجموعة من الشعراء لوجدنا أنّهم عبروا عن أحاسيسهم القومية دون تفضيل نوع على أخر حسبما يرونَه مناسباً لهم.

وفي مجال الشعر التقليدي أكثَر الشعراءُ من النَّظم على بعض البحور الشعرية الصارمة في قالبها الهندسي التي لا تسمحُ بأيّ تلاعبٍ أو تغيير». كالبسيط والطويل، وأكثروا من استخدام البحور الممزوجة[4] التي لا تصلُحُ

(١) إبراهيم أنيس: موسيقا الشعر، دار القلم، بيروت، ط٤، ١٩٧٢، ص١٩.

(٢) محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث،ص٤٦٣.

(٣) المرجع نفسه، ص٤٦٣.

(٤) البحور الممزوجة: وهي التي يتألف الشطر فيها من أكثر من تفعيلة واحدة مثل: السريع، والوافر. (انظر محمد علي شوابكة، أنور أبو سويلم: معجم مصطلحات العروض والقافية، ص.١٥٠.

للشعر الحر عند نازكِ الملائكة كالبسيط والمديد والخفيف والمجتث والمنسرح وسواها[1] على الرغم من أنّ بعض الشعراء العرب كبدر شاكر السياب نظم شعراً حراً على هذه البحور.

والشيء المؤكد أنّه لا ارتباطَ بين البحر والموضوع، وهذا ما يؤيده محمد غنيمي هلال [2]. وللتدليل على ذلك هناك نصّان الأول لجميل علوش والآخر لحيدر محمود، فعلى الرغم من تشابه الموضوعين إلاّ أنّ الأول استخدم بحر البسيط، والثاني استخدم بحر الطويل في قوليهما:[3]

الكون يقذِفُ غازاتٍ ونيراناونحن ننفثُ آهاتٍ وأحزانا

ويقول حيدر محمود:[4]

إذنْ فلقد كانت عروبتُهم كِذباً وإسلامُهم زوراً وإيمانُهم نصبا

منهم من نظمَ على بحر الخفيف في القصائد القوميّة التي تعبر عن الحزن والمرارة فهذا عيسى الناعوري ينظِم قصيدة بعد نكسة حزيران يقول فيها:[5]

من حَزِيران في فؤادي جرحٌغائر في الصّميمِ من كبريائي

وعند استقراء عددٍ من الدّواوين الشعرية نلاحظ ما يلي:

- استخدام البحور المركبة مختلفة الأجزاء نحو: الطويل، المديد، السريع، المنسرح، الخفيف، المضارع، المقتضب، المجتث.
- ظهور بعض الظواهر الموسيقية كالزحافات، والعلل، والقبض[6]

(١) نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص١٨.

(٢) يوسف بكار: بناء القصيدة العربية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٩، ص٢٣٦.

(٣) صحيفة الرأي ١٩٨٧/١٢/٤، العدد ٦٣٥٧.

(٤) صحيفة الرأي ١٩٩١/٢/٢٤، العدد ٧٥١٧

(٥) عيسى الناعوري: أناشيد أخرى، ص٦٢-٦٣.

(٦) القبض: زحاف وهو حذف الخامس الساكن في كل من فعولن، ومفاعيلن فتصير: فعولُ ومفاعلن. (انظر معجم المصطلحات العروض والقافية، سبق ذكره، ص٢٠٤.

واستخدام البحور المجزوءة كالكامل وهو أكثر بحور الشعر العربي غنائية وليناً وانسيابية وتنغيماً واضحاً كقول نايف أبو عبيد:[1]

سَـــرَقَ اللئـــامُ رغيفَهوثوى على وجـــهِ الرصيـــف

مع أنه كتَبَ البيتَ متصلاً على نظام الشطر الواحد.

لقد استفاد الشعراءُ من النظم على مجزوءات البحور، وبخاصةٍ الكامل -كما قلت سابقاً- وهو من المجزوءات التي مهّدت للشعراء أن ينظموا على الشعر الحر الذي يعتمد على تكرار (متفاعلن) أربع مرات لذا أكثَرَ الشعراء في بدايات نظمِهم الشعرَ الحرَّ من النظم على هذا البحرِ بتكرار (متفاعلن) حتى وصلت عند بعضهم إلى ثماني تفعيلات.

- استخدام بعض الأوزان القصيرة التي تميل إلى التكرار والقصّ ومواصلة الحوار، كمجزوء الوافر في قول نايف أبو عبيد أيضاً:[2]

أعدها مثلما بدأت معربةً مراميها

أعدها السيرةَ الأولى فقد طالَتْ لياليها

أعدها يا بن سيِّدها كريماتٍ معانيها

والملاحظ على الشعر الأردني أنّه بعد انتشار الشعر الحُرّ بدأ يتخلص من البحور المركبة، ويميل إلى مجزوءات البحور كالكامل والوافر التي توفر لهم الحرية في اختيار التفعيلات وتتناسب مع روح التجديد ومن ذلك قول إدوارد عويس من بحر المتدارك الذي يعتمد على تفعيلة رئيسة (فاعلن)، أو تفعيلات فرعية نحو :(فَعِلن، فَعْلُن):[3]

بيروتُ ... أغامرُ بيروتُ

والليلُ حصارُ موقوتُ

الليلة جنّ جنونُ دمـــي

---

(١) صحيفة الرأي ٣٠/٨/١٩٩٠، العدد ٧٣٣٨.

(٢) مجلة أفكار العددان ١٠١/١٠٢، حزيران، ١٩٩١، ص٦٨. وانظر استخدام الوزن نفسه، رئة الشعر وملتقى المبدعين، ج١، ص٥٠٧ «قصيدة أقمار بغداد».

(٣) إدوارد عويس: رواء المساء، ص٩٩.

والحومةُ زيت ... كبريت

ونتيجةً للتطور الذي شهدَهُ الوطنَ العربي في أعقاب الحرب العالمية الثانية وما رافق ذلك من تغيرات سياسية وثقافية واجتماعية، واتصال العرب بالغرب تأثَر الشعراءَ العربُ بحركة الشعر الحديث، وطغى الشعر الحر وبعده قصيدة النثر أو النثيرة على معظم الانتاج الأدبي، وهو تطور مشروع اقتضته طبيعة المرحلة سواء أكان ذلك في الشكل أم في المضمون.

إن طبيعةَ الصراعات القومية هزّت بُنى التفكير العربي وساعدت على كسرِ الأنظمةِ الشعرية التقليدية التي سيطرت على أعمال الشعراء فترة طويلة من الزمن فكلما ثارَ الشعراءُ على واقِعهم المرير ثاروا أيضاً على النظام الشعري، وإنّ نظرةً واحدةً تكفي لِتؤكَد على انتشار الشعر الحربأشكاله الجديدةً على أيدي بعض الشعراء الأردنيين نذكر منهم: عبد الرحيم عمر، حيدر محمود، عز الدين مناصرة، محمود الشلبي، محمد القيسي، خالد الساكت، نايف أبو عبيد، خالد محادين ....

وبما أن الوزنَ في الشعر الحر يقوم على أساس وحدة التفعيلة مع إعطاء الشاعر الحرية في عدد تفعيلاته أو طول الأشطر، نجده يستخدم أو يكثر من البحور الصافية[1]، فعبد الرحيم عمر في قصيدة (الرحيل السابع) يستخدم بحر المتقارب، وهو من البحور المفردة التي يتألف الشطر فيها من تكرار تفعيلة صافية واحدة هي: (فعولن)، وهو وزن رتيب يعتمد على إيقاع مكرّر، ولقتل رتابة التكرار لجأ إلى الضرب الصحيح (فعولن)، والمقصور(فعول)، والمحذوف (فعو)، فيقول:[2]

---

(١) البحور الصافية: وهي التي يتألف شطراها من تكرار تفعيلة واحدة وهي، الكامل، الهزج، الرجز، المتقارب، المتدارك، ويضاف إليها وزن مجزوء الوافر. (انظر نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص٨٣).

(٢) عبد الرحيم عمر: الأعمال الشعرية الكاملة، ص٣٦٧.

بحقي عليك ترحل (فعولن، فعولُ، فعولن)

بحبي، بأطفالِنا، بحياةِ الجميع هنا

(فعولن، فعولن، فعول، فعولن، فعول، فعو)

بما كان في عمرنا من رجاءٍ وجوعٍ وخوفٍ وسخطٍ وكدحٍ

(فعولن، فعولن، فعولن، فعولن، فعولن، فعولن، فعولن، فعولن)

ترحّل فعولن

من هذا يظهر أن عبد الرحيم عمر يطلبُ بل إنّه يلحُّ على عناصر المقاومة الفلسطينية في بيروت أن تغادرَها، وهو إذ يستحثّهم على الخروج، يستحلفهم بما بينهم من حُبٍّ ونضالٍ مشترك جعلَه يزيدُ من حرارةِ الطلب بأن كرَّر التفعيلة ثماني مرات متواصلة، ثم قطع ذلك بتفعيلةٍ واحدةٍ حادّة. مفاجئة بعد هذا التدفق العنيف.

ومن التضمين الموسيقي ما قاله خالد محادين إذ كانَ السطر الأول ينتهي بزيادة موسيقية تتبع السطر الثاني، وهذا يشبه التضمين في نظام الشطرين عندما يتصل البيت الأول من حيث المعنى مع البيت الثاني،كأن ينتهي البيت الأول بحرف الجر ويبدأ البيت الثاني بالاسم المجرور وهكذا، قول خالد المحادين:[١]

على شرفة العمر في لحظةٍ من صباح جميل تجيئين

متعبة بالرماد

فالنون من تجيئين تابعة موسيقياً إلى السطر الثاني، ولأن الكلمة متصلة لا يستطيع الشاعر فصلها فيختلّ المعنىفاضطرّ إلى ذلك.

وتكرّر مثل هذا في قوله:[٢]

وباكية سلاسل التين

والزيتون

والعنب

(١) خالد محادين: الأعمال الشعرية، ٣٢١.

(٢) المرجع السابق، ص٣٢١.

ويمكن إعادة كتابة الشكل السابق كما يلي:

وباكية سلاسل التين والزيتون والعنب

ومثل هذا كتب حيدر محمود:(١)

يا شاعر الشعب

صار الشعب مزرعة

لحفنة من عكاريت وزعران

لا يخجلون

وقد باعوا شواربنا

من أن يبيعوا اللّحى

في أي دكان

إذ يمكن كتابته بالصورة التالية ولا يتغير إلاّ الشكل:

يا شاعر الشعب صارالشعب مزرعةلحفنة مـــن عكاريتٍ وزعــــران

لا يخجلون وقد باعوا شواربنامن أن يبيعوا اللحى في أي دكان

ومن التعديلات التي خدمت المعنى ما قاله خالد الساكت من ديوان: الذي يأتي العراق، على الرغم من أنّ الشاعر قد ارتكب مخالفةً عروضية إذ تكرر عنده سبعُ حركات طويلة وهذا لا يجوز عروضياً كما في قوله:(٢)

قالوا شمشونٌ شمعون

ويقول في هذا المقطع:(٣)

هذا المشحون

---

(١) حيدر محمود: الأعمال الشعرية، ص١١٥.

(٢) خالد الساكت: الذي يأتي العراق، ص٧٧.

(٣) المصدرنفسه، ص٧٧.

بالحقد الأسود

هذا التنين

في قلب العالم قنبلةٌ موقوفةٌ

فالملاحظ أن جميع الأسطر السابقة مقاطع طويلة إلاّ السطر الأخير يظهر على النحو التالي: - - - -ب ب-ب ب - - - -. ففجرّ قنبلة موسيقية داخل السطر قطع به رتابة المقاطع الطويلة. فتناسبت مع المعنى الذي يريده، وهو أن الولايات المتحدة تشكل خطراً عظيماً على العالم فهي قنبلة موقوتة من الممكن أن تنفجر في أية لحظة.

ومن الشعراء من ركب البحور الممزوجة، أو البحور المركبة فطوّعها للشعر الحر وذلك عن طريق تكرار التفعيلة الأولى والاكتفاء بالثانية في نهاية السطر ومثال ذلك بحر البسيط ووزنه: مستفعلن/فاعلن/مستفعلن/ فاعلن. إذ كرّر الشعراء مستفعلن عدة مرات واكتفَوْا بـ(فاعلن أو صورها الأخرى) في نهاية السطر فقط.

ومن الشعراء من زاوجَ في القصيدة بين الشكلين: التقليدي والحر كما هو عند عبد الرحيم عمر، وإبراهيم العجلوني، ومحمد ناجي عمايرة[1]

ومن الشعراء من خرج عن الوزن، واعتمد على القوافي، وموسيقا الحروف كما في قول فضيل التل:[2]

فصرتُ أخجلُ عندما تمتدّ أيدينا إلى جرار الماء

وعندما تمتد أيدينا إلى أطايب الطعام

لأنكم محاصرون كالسوار

ويمنعون الماء عنكم والطعام والدواء

(١) انظر عبد الرحيم عمر: الأعمال الشعرية الكاملة، ص٤١٩. وابراهيم العجلوني: طائر المستحيل، ص٢٧. وأم المعارك الديوان الشعري، الجزء الثالث، «قصيدة الأرض لمحمد ناجي عمايرة»، ص١٧٧.

(٢) محمود فضيل التل: أغنيات الصمت والاغتراب، ص٧٩.

فأكاد لا أخفيك أني

قد فقدت الاعتزاز بكل شيء

بعدما خاب الرجاء

فاعتمد القافية: الماء، الدواء، الرجاء. ولولا وجود هذه القصيدة في أحد دواوينه الشعريةلظننتهّ نثراً لما فيه من سهولة مفرطة.

ب- القافية:

للقافية تعريفاتّ كثيرةّ منها أنّها «مجموعة أصوات تكوّن مقطعاً موسيقياً واحداً، يرتكزُ عليه الشاعر في البيت الأول، فيكرره في نهايات أبيات القصيدة كلِّها مهما كان عددها»[1].

وهي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي قبل هذا تتكون من آخر كلمة إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن كقول الشاعر:

عفت الديار محلُّها فمقامها.

فالقافية عنده من القاف إلى آخر كلمة في البيت[2]. أما عند الأخفش فهي آخر كلمة في البيت، وإنما قيل لها قافية لأنها تقفو الكلام ومنهم من يجعل حرف الروي قافية، وهو رأي قطرب[3].

أما في الشعر الأردني الحديث فقد استخدم الشعراء القافية في الشكلين: التقليدي والحر؛ ففي الشعر التقليدي ظهرت بعض القوافي السهلة التي تكررت في كثير من القصائد، وابتعدوا عن القوافي التي ترد قليلاً في الشعر العربي كرويّ الضاد، والظاء، والزاي وغيرها. فمالوا إلى القوافي الذّلل كالباء، الراء، الحاء، هاء السكت، النون، حروف المد والإشباع والردف[4] والدال، والميم، واللام.

---

(١) عبد الرضا علي: العروض والقافية، ص١٥٤.

(٢) المرجع نفسه، ص١٥٥.

(٣) المرجع نفسه، ص١٥٥.

(٤) الردف: حرف مد أو حرف لين ساكن قبل الروي مباشرة مثل: العباد، تذوب.

ومن الظواهر التي قلدوا فيها الشعراءَ قبلَهم التصريعُ[1] كما في قول سليمان عويس:[2]

أحرقتُ فوق لهيبِ الشوقِ ما كُتِباوجئتُ أغزِل من أمجادِكِ الكتبا

وظهرت بعض أنواع القافية في الشعر الحر نحو:

١- القافية الموحدة في كل سطر ومثال ذلك خالد محادين في قوله:[3]

ترفّق يادوار البحر وحدي المتعب العاني

ترفق ضاع مجدافي وضاعت كل شطآني

ولم يشفق بي الموج الذي أهديت أحزاني

ففصل الشاعر القوافي مع أنه يمكن كتابة ذلك على النحو التالي:

ترفّقْ يادوارَ البحر وحدي المتعب العاني

إلاّ أن حالة الشاعر النفسية جعلته يُفرد القافيةَ لما تتمتع به من حروف المد، فاستطاع أنّ يعبّر عما في نفسه من وحدة وضياع.

٢- القافية المهملة: وتكمُن صعوبةُ مثل هذا النوع في أنّ الشاعر يعتمد على إيقاع الحروف والإيقاع الداخلي عوضاً عن إيقاع القافية. ولا يتقن مثل هذا النوع إلاّ الشعراء المجيدون. والشواهد على هذه القافية كثيرة في الشعر الأردني[4].

٣- القافية المنوّعة: وهي أن يستخدم الشعراء القوافي في القصيدة الواحدة دون نظام ثابت فتراه ينّوع في قوافيه حسب ما يقتضيه الموقف الشعوري،

---

(١) التصريع: تصيير مقطع آخر المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها. (انظر يوسف بكار: بناء القصيدة العربية، ص٢٢٨).

(٢) سليمان عويس: غنيت بغداد، ص١٩. وانظر كذلك ديوان الانتفاضة، ص٧٣.

(٣) خالد محادين: الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢٤٧ وانظر ص٢٨٧.

(٤) انظر مثل هذا النوع من القوافي عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية، ص٥٥ وص٤١١. خالد الساكت: الذي يأتي العراق (معظم صفحات الديوان)، محمد ضمرة: أحاول أن أبتسم، ص١٥. رئة الشعر وملتقى المبدعين، ج٢، ص٤٤٧.

ومثال ذلك قول عبد الرحيم عمر:[1]

تعوّدتُ يا أمتي الساجدة

وأدمنتُ فقدَكِ

أدمنتُ حزني اعذريني

وعُوِّضتُ عن وجهكِ العربيِّ الحنون

أغاني المنافي

وحزنَ القوافي

وحين تضيقُ الفيافي

تطلُّ مراثي الخروج

وأيام أمتِنا الماجدة

فالقوافي: (المنافي، القوافي، الفيافي) و(الساجدة، والماجدة) جاءت كلها دون نظام ثابت. وورد مثل هذا عند خالد محادين:[2] وحيدر محمود[3].

ومما يلاحظ على الشعراء في هذه الفترة أنهم أكثروا من هذا النوع من القافية، وهذا ينسجم مع موقفِهم من الحياة العامة وروح العصر لأن هذا النوع يعطيهم حرية إضافية مع التمسك بما يشاؤون من القوافي التي ساعدت على التنغيم الداخلي في القصيدة الحديثة.

نخلص من دراسة لغة القصيدة القومية المعاصرة في الأردن منذ عام ١٩٦٧ إلى أنها لغة انفتحت على الاتجاهات الجديدة في الشعر الحديث، فشارك شعراء الأردن أبناء أمتهم العربية آمالهم وآلامهم، فكانوا يعبرون عن أشعارهم عن روح العصر ومتطلبات المرحلة الجديدة. فانتشرت في أشعارهم لغةُ الحياة العامة واليومية بألفاظها السهلة البعيدة عن الإغراب والتعقيد. وظهر في تناولهم للموضوعات القومية بعضُ الخصائص العامة كالنثرية، والنبرة

---

(١) عبد الرحيم عمر: الأعمال الشعرية الكاملة،ص٢٢٢.

(٢) خالد محادين: الأعمال الكاملة، ص١٥٣.

(٣) حيدر محمود: الأعمال الشعرية الكاملة، ص٤٢٦-٤٢٧.

الخطابيـة، والسهـولة المفرطة، كمـا ظهـرت بعضُ الأسـاليب الجديدة كـالأسلوب القصصي، والحواري، والرمزيّ، وخاضَ الشعراءُ تجربةَ الشعر الحر حتى غدا هذا النوعُ غالباً على إنتاجِهم بعد نكسة حزيران.

وشاعَ في لغة الشعر بعضُ الظواهر الجديدة منها: استـخدامُ الألفاظ العامية ، وألفاظُ الحضارة الجديدة، ودخول الأسماء الأجنبية في القصيدة، كما ضمن الشعراء قصائدهم بعض المقاطع والأغاني الشعبيـة، وبرزت في شعرِ الفترةِ ظاهرةُ التكرار بأنواعه المختلفة بشكل واضح.

أما في مجال الموسيقا، فلقد استخدمَ الشعراءُ البحورَ المركبةَ كالطويل والبسيط في الشعر التقليدي. كما استخدموا البحورَ الصافية في الشعر الحر ونوّعوا في قوافيهم حَسْب ما يقتضيه الموقف الشعوري.

إنّ التعبيرَ الصادقَ عن آلام الأمةِ وآمالِها، ومشاركةِ الشعراء الأردنيين في صنع الأحداث أدى إلى إنسجامِ الجماهير معهم لأنّهم كانوا صادقين مع مكنوناتِ معاناتِهم، ومن هنا ولّدت المعاناةُ عندَهم اختيارَ طريقِ الشعر الحر الذي يعطيهم الحريةَ اللازمة للتعبيرِ عن تجاربِهم ومعاناتِهم. ولولم يبدأ الشعراءُ هذه المرحلة لا نقطعت صلتُهم بالجماهير في وقتٍ نحن فيه بأمسِّ الحاجة إلى تبني همومِ الأمةِ العربية ونضالِها العادل في مواجهة الصراعاتِ القوميّة الخطيرة التي نتعرض لها.

الفصل الثاني

الصورة الشعرية

الفصل الثاني

الصورة الشعرية

تناولَ الفصلُ السابق اللغةالشعرية في المضامين القومية خلال الفترة المحددة للبحث، وظهر جلياً أنّ الشعرَ الأردني راوحَ بين اللغة التقليدية المحافظة على جزالتِها والملتزمة بعمود الشعر العربي، تلك اللغة التي جدّدها زعماءُ حركةِ الإحياء في مطلع هذا القرن ...... وبين اللغة الحديثة المعاصرة التي هي من سمات هذا العصر.

إنّ إيقاعَ الحياة السريع، وتنامي الأحداث القومية التي شهدتها منطقتُنا العربية منذ أواسطِ هذا القرن، والتأثر بالتيارات الأدبية الغربية جعل الشعراء يتّجهون اتجاهاتٍ حديثة كاستخدام اللغة العادية أو لغة الحياة العامة واللغات المحلية، وتضمين الأغاني الشعبية، واستخدام المفردة العامية.

وإذا كانت اللغةُ الشعرية التي تخلّصت من أعباء التقليد تناقضُ التوجهاتِ القومية التي تسعى إلى توطيد دعائم الفصحى، والتمسك بها باعتبارها هدفاً قومياً، فإن اللغة الجديدة -بالمقابل- قد أمدّت المضامينَ القومية بما يشحذُ تجاربَ الشعراء. ويولّد نوعاً من الصدق والعفوية من خلال المعاناة والمعايشة المستمرة للأحداث في الوطن العربي.

ولِما للصورةِ من مجالٍ رحبٍ لا يحدُّه فصْلٌ ولا فصول في دراسة، فسيقتصر هذا الفصل على إبراز دورِ الصورة التي تحملُ في خلاياها همّاً قومياً -هو مجال هذا البحث- كما سيعرضُ بعضَ أنواعِ الصّور تمثيلاً لا تحديداً، وعرض بعضِ محاولات التجديد فيها.

تعريف الصورة:

تختلف تعريفاتُ الصورة باختلاف مناهج النقاد؛ لذا ليس من اليسير الاتفاقُ على تعريف جامع مانع.

فالصورة عند عبد القادر القط: «هي (الشكل الفني) الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في قصيدة، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتراكيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير»[١].

وهي عند س.دي لويس: «رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة»[٢]. في حين يرى صالح أبو اصبع أنها: «تركيب لغوي لتصوير معنى عقلي وعاطفي متخيل لعلاقة بين شيئين، يمكن تصويرهما بأساليب عدّة إمّا عن طريق المشابهة أو التجسيد[٣] أوالتشخيص[٤] أو التجريد[٥] أو التراسل[٦]»[٧].

أما عز الدين اسماعيل فعرّفها تعريفاً نفسياً بقوله: «إنّ الصورة الشعرية رمزٌ مصدره اللاشعور»[٨].

ومما يتراءى لي من خلال الاطلاع على بعض التعريفات للصورة أنها تتمثل في الكيفية التي يتناول الشاعر فيها الواقع، ومقدرته في تحويل غير

(١) عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، المنيرة، ١٩٨٧، ص٤٣٥.

(٢) سيسيل دي لويس: الصورة الشعرية، ترجمة أحمد نصيف الجنابي وآخرين، مؤسسة الفيلج للطباعة والنشر، الكويت، ١٩٨٢، ص٢١.

(٣) التجسيد: إبراز الماهيات، والأفكار العامة والعواطف في رسوم وتشابيه محسوسة، هي في واقعها رموز معبّرة عنها (جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ص٥٩)

(٤) التشخيص: إبراز الجماد أو المجرد من الحياة من خلال الصورة بشكل كائن متميز بالشعور والحركة والحياة (جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ص٦٧)

(٥) التجريد: استخراج الماهيات ذهنياً من الموجودات والارتفاع بها من المحسوسات والجزئيات الى الأمور الكلية والشاملة .(جبور عبد النور،المعجم الأدبي، ص٥٩).

(٦) التراسل: وصف المحسوسات بأوصاف محسوسات أخرى أو تبادل المحسوسات، وهي أن الحواس الخمس تتكاتف فيما بينها وهي نقل مظاهر عالم المحسوس إلى الفعل (عبد الفتاح النجار: التجديد في الشعر الأردني، ص٩٣). وانظر كمال البصير: بناء الصورة الفنية في البيان العربي، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٧، ص٤٢٧/٤٢٨.

(٧) عبد الفتاح النجار: التجديد في الشعر الأردني، ص٨٩.

(٨) أحمد مطلوب: الصورة الفنية في شعر الأخطل، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٥،ص٣٦.

المرئي من المعاني إلى المحسوس، وتقديم الفكرة في شيء ملموس، كما أنّ الشاعرَ يستطيعُ التعبيرَ عن المعنويات تعبيراً يجعلها صوراً مرئية موحية تثير الفكر والعاطفةَ. وهناك تعريفاتٌ أخرى[1].

ولمّا للتصوير من أهمية بالغة كان هو الأسلوب المستخدم في القرآن الكريم فهو «يعبّرُ بالصورةِ المحسّة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسيةلوحة أو مشهد»[2].

كما أهتمّ النقادُ العرب القدامى بالصورة؛ فالجاحظ المتوفّى سنة (٢٥٥هـ) قال في معرض تعريفه للشعر ومبيّناً أهمية الصورة: «إنّما الشعرُ صناعة، وضربٌ من النسيج، وجنس من التصوير»[3].

وجاء بعده عبد القادر الجرجاني المتوفى (٤٧١هـ) ليؤكد أهمية الصورة بقوله: «ومعلومٌ أنّ سبيل الكلام سبيل التصوير»[4].

كما نظر إليها حازم القرطاجني المتوفى سنة (٦٨٤هـ) من خلال فهمه للتخيل والمحاكاة التشبيهية بقوله: إنّ المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنّه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أُدرَك منه»[5].

---

(١) انظر في تعريف الصورة: نعيم اليافي: مقدمة لدراسة الصورة الفنية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٢، ص٣٩-٤٠. وإحسان عباس: فن الشعر، ص٢٣٠. وبشرى موسى: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤و ص٢ ومدحت سعد الجيار: الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤، ص٦.

(٢) احمد مطلوب: الصورة الفنية في شعر الأخطل، ص٣٦.

(٣) الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الجزء الثالث، بيروت، ط٣، ١٩٦٩، ص١٣٢.

(٤) أحمد مطلوب: الصورة الفنية في شعر الأخطل، ص٣٥.

(٥) المرجع نفسه، ص٣٥.

مفهوم الصُّورة قديماً وحديثاً:

تعني الصورة في الشعر العربي قديماً تلك الصور الحسيّة والنقلية التي كان مفهومُها يقتصر «على التشبيه والاستعارة»[1].

وتقفُ عند « حدود الصورة البلاغية في التشبيه والمجاز»[2]، فمهمة الشاعر في مثل هذا «أن يلتقط وجهَ الشبه الحسي بين أمرين مختلفين، فيصور الأشياءَ الجامدة والمتحركة في إطارها المكاني والزماني»[3].

وإذا كان المفهوم القديم قد قصَر الصورة على هذا فإن المفهوم الجديد للصورة قد وسّع من إطارها، فلم تعدِ الصورةُ البلاغية هي وحدَها المقصودة بالمصطلح بل ضُمّ إلى الصورة البلاغية «نوعان آخران هما الصورة الذهنية، والصورة باعتبارها رمزاً»[4]. فكان على الشاعر : «ألاّ يقتصر في شعره على الوقوف عند التشابه الحسيّ بين الأشياء، دون ربطِ التشابه بالشعور المسيطر على الشاعر لدى نقلِ تجربته»[5].

كما اعتمدت الصورةُ الحديثةُ على الإيحاء الذي يحرّك في النفس آثاراً شعورية لا تستطيع الصورُ التقريريةُ أو الوصفيةُ أن تثيرَها، ولهذا كان كثيرٌ من الكلام المنظوم نثراً لا يعتدُّ به لأنّه خالٍ من الإيحاء أو لأنه لم تتوافرْ له قوةُ التصوير، فالشعرُ كما يقول إحسان عباس : «... إذا خلا من الإيحاءِ والتصوير فقدَ روحَه، وأصبحَ نظماً، وليس بشعر»[6].

(١) علي البطل: الصورة في الشعر العربي، شركة الفجر العربي، بيروت، (بلا سنة طبع)، ص٢٥.

(٢) المرجع نفسه، ص١٥.

(٣) ساسين سيمون عسّاف: الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٢، ص٢٣.

(٤) علي البطل : الصورة في الشعر العربي، ص ١٥ .

(٥) الولي محمد : الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص ٥٧ .

(٦) إحسان عباس : فن الشعر، ص٢٣٠ .

ومن هنا فالصورةُ الحديثة تتكونُ من مجموعةٍ من الصور الجزئية وكلُّ صورةٍ جزئية توحي، إلاّ أنّ الفكرة أو العاطفة أو الإحساس لا يتأتى من هذه الصور المتفرقة وإنما يتأتّى من الصورةِ الكلية إذْ إنّ كلَّ لوحةٍ صغيرة تشكّلُ زاويةً في اللوحة الكاملة. لذلك كانت الوَحْدةُ العضوية بين الأجزاءِ المتفرقة هي من أهمِّ سماتِ الصّورة الشعرية الحديثة. و«لا يمكن قطّ تصور أية صورة تحمل بعداً واحداً من أبعادِ التعبير القيمي للشعر، فالتعبيرُ المباشرُ يظلُّ ناقصاً مالم يتطورْ معَه التعبيرُ الإيحائي الذي يتولّدُ من جملةِ المرئيات التي تصنعُ الصورة»[1].

وهي «عضوية في ظلِّ تجربةٍ عضوية صادقة، وأصبحت تعبيريةً إيحائية لا تقفُ عندَ حدِّ الحس»[2].

كما أنّ النقدَ الحديث يناهضُ «اقتصار الصورة على الحس ووصف العلاقة بين المشبه والمشبه به، والاهتمام بالوضوح الكامل، وحرفية التصوير، والعناية بتقديم الشعر البرهاني العقلي، وكثرة الاحتجاج، وإقناع القارئ عن طريق الجدل المستمر»[3].

الصّورة الشعرية في القصيدة الأردنية المعاصرة :

لعلّ من العسيرَ تحديدَ فترةٍ زمنية لاستخدام الشعراء كلّ نوع من أنواع الصور الشعرية، إلاّ أنّ عرض بعض أنواع الصّور ما هو إلا للتمثيل على الفترات المختلفة .

ومن هنا فلقد مرّت الصورة الشعرية في الشعر الأردني منذ تأسيس

---

(١) مصطفى عبد الغني : البنية الشعرية عند فاروق شوشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢، ص ٥٧ .

(٢) محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث، ص٤٦٠. وانظر مصطفى ناصف : الصّورة الأدبية، ص ٢٠٢ .

(٣) عبد الفتاح نافع : الصورة في شعر بشار بن برد ، ص ٨٤ .

الإمارة الأردنية بمراحل متعددة، إذ كانت قديماً تراثيةً جاهزة، وتقليدية حاكى فيها الشعراءُ نهجَ القصيدة العربية القديمة من حيثُ الشكلُ والمضمونُ. واقتصرت معظمُ هذه الصور على المظاهرِ الحسية والاهتمام بالوضوح الكامل، وحرفية التصوير ، والاعتماد على البراهين والحجج المنطقية كما هو عند جيل الرواد كعرار، عيسى الناعوري، وحسني فَريز .

ثم تطورت فيما بعد ، إذ ظهرتْ الصورةُ الكليةُ المركبة التي تتكون من مجموعة من الصور الجزئية داخل القصيدة -وبخاصّةٍ في الشعر الحر- مما جعل أجزاءَ القصيدة مترابطةً، وأشدّ تماسكاً من ذي قبل .

ومن الصور الهامة التي ظهرت في الشعر الأردني في -فترة البحث-: صورة المدينة، صورة النخيل، صورة البطل .

أ. صورة المدينة :

اهتمّ الشعُر الحديث بالمدينة اهتماماً واضحاً، حتى صارت في أكثر القصائد القومية الأردنية بطلة تدافع عن وجودها وتراثها وحضارتها بكل ما أوتيت من قوة .

ولعلّ الشعراءَ كانوا يدركونِ أهمية هذه المدن المقاتلة -وهي غالباً ما تكون مدناً حضارية- فيلجأ الشعراء في فترات الحروب إلى استنهاض همّة المقاتلين من خلال عرض صور عن حضارة هذه المدن، وذكرِ بعض انجازات هذه المدن في الماضي، ولهذا ارتبطت المدينة بالأم في مواجهاتها مع الأعداء، إذ كان الشعراء يُسْبِغون عليها الصفات الأنثوية حتى غدت المدينةُ امرأةً بطلةٍ في جميع أحوالها لم تتخلّ عن شرفِها وعروبتِها، وكانت تحرِّضُ أبناءَها على مواصلة القتال، والصمود في وجه الأعداء، وهذا ما وُجِد في صورةِ مدنٍ عربية مقاتلة في العصر الحديث كبيروت، القدس، بغداد، البصرة، وغيرها .

فهذه بيروت في قصيدة لمحمود الروسان لؤلؤة البحار التي غرقت بالدماء وصارت مرتعاً للمذابح الأهلية، وهي حزينة، خرساء، إنها صورة لمدينة

مدمرة، مزّق الأسى قلبَها. واستخدَم الشاعرُفي عرض هذه الصور المؤثرة التشبيهَ البليغ، والاستعارةَ المكنية، التي ساعدت على رسم صورةٍ لبيروت الحزينة، فيقول :[1]

بيروتُ لؤلؤةُ البحارِ بكت دماً ومن التفجّعِ والأسى تتأرّقُ
بيروتُ صارت للمذابحِ مرتعاً وفمُ الجريحةِ ويحَه بتشدّقُ
بيروتُ تَظْهرُ في الصباحِ حزينةً حيرى ومن خَرَسٍ بها لا تنْطِقُ
بيروتُ تُغرقها الدماءُ ومن يرى بيروت بين دمٍ ونارٍ تغرقُ؟

ورسم محمود الشلبي صورة لبيروت المنكوبة التي نادت ولم يسمعها العرب فاحترقت، وتغيّرت ملامُحها، وضاعت صرخَتها، يقول :[2]

احترقت بيروت
وما عادت بيروت
نادت من آخر حلمٍ
لم يسمعْها (المعتصمون)
لم يسمعْها البحرَ ولا النخلَ ولا الخيلَ
وضاعت صرخَتها في وادي الطاغوت .

ومن الصّورِ التراثية تصويرُ المدينة بالعروسِ التي تنتظرُ عريسها – وهو عادةً ما يكونُ الشهيد- وتكررت هذه الصورة في الشعر الأردني،ويبدو لي أن الشعراءَ مالوا إلى هذا لأن الأرضَ والمرأةَ ترتبطان بالخِصب والجمال، وهما مرتبطتان أيضاً بالطّهر والعفاف، فالتفريطُ في أيٍّ منهما يُعَدُّ منقصةً ورذيلةً، لهذا أسبغَ الشعراءُ على الأرضِ صفاتٍ أنثوية،فاستعاروا لها أعضاءَ جسمِ المرأة مثل: الجيد، العيون، الضفائر، القدّ .... وكلّها صفاتٌ حسيّة تقليدية «تكادُ تكون قسطاً مشتركاً بين عدد كبير من الشعراء، وهي صورٌ ليست جديدةً بل متوافرة

(١) محمود مهيدات : اتجاهات شعراء شمال الأردن، ص ١٥٨ .
(٢) محمود الشلبي : أشجار لكل الفصول، ص ٧٠، وينظر في ذلك أيضاً قصيدة قراءة من شرفات بيروت، ص٤٦، وص٥١ .

في الأدب القديم والوسيط[1]. ومن أمثلة ذلك صورة القدس التي تستغيث والقيود في يديها، وضفائرها في الأسر، في قول حيدر محمود:[2]

وهي في قيدِها تستغيثُ
فمَن سيفكُّ ضفائرَها العربية من أسرِها
من سيرفَعُ عن صدرِها القدمُ الهمجية؟
مَن؟! سيردُّ إليها الحياة؟

وفي الأبيات التالية تظهَرُ القدسَ عروساً تُزَفُّ للشهيد وهي بأبهى صورها:[3]

والقدسُ زُفت للشهيد وحولَـها   بيضُ الوجوه كأنّهم أقمـارُ
وزهت عروساً في القلوب يزينها   من جند أحمد مغفر وسوارُ

وإذا كان الشعراء قد رسموا لبيروت والقدس صوراً حزينة لِما وقعَ على هاتين المدينتين من عذاب ودمار في فترة ما بعد النكسة، فأظهروا بصورهم ما عانتا من اعتداءات وحشية، فإنّ هذه الصورة الحزينة تختفي عند تناولهم المدن العراقية في أثناءِ حروبها مع الأعداء.

ومن ذلك: أن بغدادَ وقفت وحيدةً أمام الأعداء، لكنّها لم تبدُ ضعيفةً أو خائفة، بل كانت كاللؤلؤةِ التي لم يضرّها تفرُدها، يقول خالد محادين:[4]

يُتّمتِ والمجد يا بغدادُ هل عَجَبٌ   وقيمةُ اللولؤِ المكنونِ في اليتمِ

---

(١) إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص٩١.

(٢) حيدر محمود: الأعمال الكاملة، ص٦٧-٦٨. وهناك صورة جيدة تظهر وجه القدس الحزين وهي ترسف في أغلالها ينظر صحيفة الرأي، العدد ٦٣٥٧، بتاريخ ١٩٨٧/١٢/٤ «قصيدة لجميل علوش»

(٣) ديوان الانتفاضة، ص٧٣. كما ينظر في مثل هذه الصورة، داود معلا: الطريق إلى القدس، ص١٣ وأحمد غطاشه: استقالات الدم والزنابق، ص١٦١. نايف أبو عبيد: سلام عليه سلام عليكم، ص٢٥. وباسل الرفايعة: خماسين الوطن، ص١١.

(٤) رئة الشعر وملتقى المبدعين، الجزء الأول، ص٢٩٧. وانظر عبد الرحيم عمر: تية ونار، ص٦٣ ومحمد سلاّم جميعان: عصافير الرماد، ص٥٨-٦٠. وجميل علوش: مواكب الربيع، ص٤٣.ديوان أم المعارك،الجزء الثاني، ص٨٨. ومجلة أفكار العدد ٦٥، تموز/آب، ١٩٨٣، ص٣٣.

ما ضرَّ كونك في الساحاتِ واحدةً   والسيفُ في الغِمد لم يثْلم ولم يجم

والسيفُ في الغمدِ لم تفزعهُ وحدته   وإنّ تقاعسَ عنـــه كلُّ ذي رَحم

كما اعتمدَ الشاعرَ على الحُجج المنطقية لإثباتِ صحة ما يقول باستخدام التشبيه الضمني.

أما البصرةُ فتبدو شامخةً برمالِها ونخيلِها، لا تُرْهبُها نارُ المجوس وهي التي جعلت نارَهم برداً وسلاماً على أبنائِها المقاتلين الذين يستمدُّون العزمَ من تاريخِ مدينتِهم ومجدِها المؤثل. يقول محمود الشلبي من قصيدةٍ بعنوان: أغنية قصيرة للبصرة:[1]

في كل ثانيةٍ قذيفةّ

البصرةُ الشّماءَ ترفعُ رأسَها للبحرِ سيدةً شريفةِ

نهران من لَهَبٍ، ونهرٌ من دمٍ تجرى

وأغنيةً عنيفة

والنخلَ أجنحةُ العراق مظلةَ العُشاق

مروحةً يغازلُها دُخانَ منازِلِ الشرفاء في الآفاق،

والشهداءَ ما فتئوا يرشُّونَ المدى بدمائِهم ....

ويلوّنونَ الحرفَ في ورقِ الصحيفة ....

والبصرةُ الشماء تُنْشِدُ وَحْدَها للنار،

يا نارَ المجوس، تحلّي انطفئي

ألا كوني سلاماً، هاهنا البصريّ أقوى ما يكون

ونخلةٌ أعلى، وغضبتهُ مخيفة ....

والبصرةُ كما قال حسين غرايبة: تطحن الأعادي، وتربتُها تغدو ناراً في

---

(١) رئة الشعر وملتقى المبدعين، الجزء الثاني، ص٤٦٧-٤٦٨.

وجهِ العدو:[1]

والبصرةُ الشماء شيمتُها	طحنُ الأعادي في أراضيها
والبصرةُ الشماء تربتُها	نارٌ تلظّي وجه باغيها

واعتمدَ الشعراءُ في رسم صورة المدينة على نوعين من الاستعارة: التصريحية والمكنية نحو: (في كل قطر لنا جرح)، (تناهبت أرضَنا الذؤبان)، (في بغداد أُسود الله تزأر)، (المدن تلبس ثوبَها)، (أثمر الغضب)، (نادتهم الأرض)، (عضَّ الأسى كبدي)، (تعانق أم المعارك أولادها) ....

كما أكثروا من التشبيهات وبخاصة التشبيه البليغ نحو: ليل المنايا غمامة الحزن، أحلام الصمود، عيناك بحار، قلبي عصفور، أنتم الملح هو موّال ....

صورة النخيل:

غدت النخلة الصورةَ الرئيسة في الشعر الأردني الذي تناول الحربين الأولى والثانية في الخليج العربي، فكانت النخلةُ حاضرةً في الشعر والوجدان، والرمزَ التامّ للصمود العراقي، وعنوانَ المجد والعنفوان، فظهرت عصيّةً على كلّ معتدٍ، شامخةً تزيدُ جمالاً وبهاءً وهي تتحدى طائراتِ العدو وقد أرْخَت ضفائرَها للأطفال والنساء، وهي أمّ العراقيين المعطاءُ ...... يقول حيدر محمود:[2]

ماتَ كلّ النخيلِ فينا ولكنّ
نخيلَ العراقِ بعدُ ... ولودُ
كلما قصّت المِقصّات عنقوداً
تدلّى من سَعْفِه عنقودُ

---

(١) حسين غرايبة: أصالة هاشمية، دار الخواجان، عمان، ط١، ١٩٩٢، ص٥٢. وانظر في صمود البصرة، سلوى السعيد: صرخات على جدا الصمت، ص٥٢.

(٢) حيدر محمود: الأعمال الكاملة، ص٤٩٤.

والنخلة والزيتون شجرتان مقدستان، فكلّما انطلقت الزيتونة في فلسطين في وجه الأعداء، كانت النخلة رمحاً في صدر الأعداء، وصارت العرين المنيع:[1]

وهذا النّخلُ والزيتون
في الشطآنِ أجامُ العروبة
والعرين

وصارت رمزاً للإباءِ العربي غيرَ أنّها أضحت عند غير العراقيين مُهانةً ذليلةً كما في قول علي البتيري:[2]

قمر يمتطي صهوة الريح
يشعل أنفاسه في الظلام لهاثاً مضيئاً
ويسألُ عن نخلة
دفنت رأسها في الرمال
وحلّت ضفائرها الخضر
حتى استحالت بساطاً
يداسُ بنعلِ الغزاة الثقيل

صورة البطل:

كان للأحداث القوميّة التي مرّت بها أمتنا العربية أكبرُ الأثرِ في بروز البطل، فمنذُ نكسة حزيران ظهرت صورة البطل الشهيد في القدس، وصورة البطل الفرد في بيروت وفي المخيمات الفلسطينية كما أظهر الشعر صورة البطلة التي كانت تقوم بتضحيات فردية مثل سناء محيدلي ووفاء اللتيين

(١) محمود الشلبي: آفاق ليست لنا، ديوان مخطوط، ص٤٢، وانظر ص٤٧، ٤٨، ٤٩. الدستور، العدد ٨٤٣٨، بتاريخ ١٥/٢/١٩٩١.

(٢) صحيفة الرأي، العدد ٧٣٧٤، بتاريخ ٥/١٠/١٩٩٠. «علي البتيري: قمر واحد لفضاء النخيل».

قامتا بعملياتٍ انتحارية[1] وأظهر الشعُر كذلك صورةَ المقاومة الفلسطينية في بيروت كبطلٍ رفضَ الانسحابَ من بيروت.

أمّا البطلُ الفردُ فيما يتعلق بالعراق في مواجهاتها مع الفرس أو مع الغرب فتركزت على صورة البطل الفرد (صدّام)، إذ تناول الشعراء هذه الشخصية من زوايا متعددة، وجاءت صورُهم تقليدية، تعتمدُ على التشبيه والاستعارة ومن ذلك: فهو الأسد، السيف، خائض الغمار، المرجىّ للخطوب، مُشفي المرضى، الفارس المقدام، حامل الأعباء، البرق، مغيث الصريخ، منقذ الأمة مُخلّص البشرية.

يقول جميل علوش معتمداً في صوره على التشبيه البليغ:[2]

صدّامُ منك الوحي والإلهامُ ... فلأنت غيثُ مكارمٍ سجّامُ

ولأنتَ روض الشعر يعبق نافحاً ... منك الأريج وتخفق الأنسامُ

ولأنتَ مصرخةُ اللهيف وحصنه ... ومجنّه وحسامه العضام

أنت البريق الوض يومضُ باهراً ... في الحالكات فيرحلُ الإظلامُ

أنت البلاسم لا تمسّ جراحه ... كفّاك إلاّ زالت الآلامُ

أنت المُرجّى في الخطوب جميعها ... وبنانك الهطل الهتوف غمام

صدّام أنت الفارس المقدامُ ... وسماك فيها البرق والإرزامُ

لوقلتُ كالضرغام كنت مقصراً ... فلقد ينوءُ بحملكِ الضرغام

أنت المطلّ على العروبة كلها ... والمستقل بعبئها الهمّامُ

والخائضُ الغمرات وهي دميّةٌ ... والحاملُ الأعباء وهي جسام

---

(١) ينظر أديب نفاع: قلبي عليك ياوطن، ص٥، ٦٣.

(٢) جميل علوش: ديوان صوت الشعر ، منشورات دار الينابيع للنشر والتوزيع، ١٩٩١، ص٩٧-٩٩.

ومن الشعراء من أسبغ على (صدّام) صفات أبطال تراثيين كالبطل صلاح الدين الأيوبي محررِ القدس من براثنِ الصليبيين، يقول محمد نصيرات:[١]

صدّام أنتَ صلاحُ الدين منبعثاً   ويومُ حطينَ في التاريخ يحيني

كما تجدرُ الإشارةُ إلى ظهور صورة جلالة الملك الحسين بطلاً قومياً في شعر شعراء الأردن، ويكفي للتمثيل على ذلك ما قاله حيدر محمود في حفلٍ أقيم بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على تعريبِ الجيش الأردني الذي هوجيش العرب ووارث رسالة الثورة العربية الكبرى، فالحسين رمحٌ هاشمي، وسيدٌ من سادة العرب:[٢]

معربَ الجيشِ ...... يارمحاً يعانقه

رمحٌ ...... ويا سيداً من سادةٍ نُجُبِ

ثم يخاطبه أن ينقذ أمةَ العرب التي دبّ الخلاف في أوصالها، وليس لها إلاّ هو:[٣]

مُعربَ الجيش ...... يالَهفي على عربٍ

لا يشحذونَ المدُى، إلاّ على العربِ

ودونَهم ألفُ محتلٍّ يمزقهم

وفي منازلهم ...... مليون مغتصب

وكان التركيزُ على أنّ رسالةَ الحسين هي رسالةُ الثورة العربية الكبرى القومية:[٤]

وهل يعانِدُمَنْ كانت رسالتُه

رسالة الثورة المشبوبة اللهبِ

---

(١) ديوان أم المعارك، الجزء الثاني، ص٢٥١. كما ينظر المصدر نفسه، ص١٤٤، أديب نفاع: قلبي عليك ياوطن، ص٤١، محمد الظاهر: أغنيات للعراق، ص٢٧-٣١. حيدر محمود: المنازلة، ص١١-١٧.

(٢) حيدر محمود: الأعمال الكاملة، ص٤٨٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٨٨.

(٤) المصدر نفسه، ٤٨٩.

وبرزت في الشعر القومي بعضُ الأساليب البنائية في الصورة كالتشخيص والتجسيد والتجريد وتراسل الحواس، وكلها من الظواهر التي ازدادت العناية بها في الفترات اللاحقة.

ونلمحُ مثلَ هذه الأساليب في صورة الحجر الذي أضحى بعد الانتفاضة الفلسطينية كائناً حياً، يتنفس ويأكلُ ويغضبُ، ويفرحُ ...... وغدا رسولاً ومفجراً ومهراً جامحاً، وسيلاً مقدساً كما في قول حيدر محمود:[1]

يا أيها الحجرُ النبيل

«افتح لنا باب الجليل»

واكتب على الحيطان

«بعد الآن .... ما من مستحيل»

طال انتظارُ الجاهلية

للهدى .....

فكن المبشرَ، والمفجِّرَ، والمغيِّرَ والرَّسول.

ومثل هذا ورَدَ التجسيد والتجريد والتراسل كما في: (تُسائِل صمت الدار في كلِّ ليلة)، (أطلق جنون النفط)، (الليل الأشهى)، (الصوت الناعم)، (النهار الحلو) ....

ومن الشعراء من استخدم بعض الرموز التقليدية كاستخدام رمز ليلى للعراق، مستوحياً هذا من قول الشاعر

يقولون ليلى بالعراقِ مريضةٌ فياليتني كنتُ الطّبيبَ المداويا

فرسم صورةً لليلى المحاصرة التي تحوّطها الأوغادُ من كلّ الجهات، فدافعت عن بيتِها بما تملك من سلاحٍ لتبقى حرّة، وهي على الرغم مما حلّ بها من شدة وضيق تسامح أهلها، وتصفح عنهم:[2]

(١) المصدر السابق، ص٩٠-٩١.

(٢) نايف أبو عبيد:سلام عليه، سلام عليكم، ص٢٥.

يقولون ليلى يا رفـاقُ مريضـةٌ   فمن يفتدي ليلى ويفدي عراقَها
تحوّطها الأوغادُ مـن كـلّ جانب   بكلّ حبالِ الغدر شدوا وثاقَـها
وليلى كما تدرون صعبٌ مراسُها   فوارسُها في الساح جمرٌ حراقها
تدافعُ بالأظفارِ عن باب خِدرها   ليبقى على الأيامِ حُبّراً رواقُـها
تظلّ على البأساء أيوب عصرها   وعن زلة الأهلين تغضي حداقها

وهو رمز لم يكن له أي مدلول داخل النص، لأنّه جاء تقليدياً مباشراً مفهوماً. والملاحظ أيضاً أنّ الصورةَ (القناع)[1] اختفت تماماً وفي رأيي أن الشاعركان يعبِّر تعبيراً مباشراً عن المواقف القومية المختلفة، ونلمح ذلك في الشعر الذي توجه إلى بغداد منتقداً المتخاذلين عن نصرته حتى إننا نرى أن الشعراء كانوا يصرّحون تصريحاً مباشراً بنقد فئة من الحكام خذلوا الأهل، وشاركوا في هزيمته، بل تعاونوا مع العدو للقضاء على جيش العراق وقواته العسكرية العظيمة.وبعد استقراء معظم الانتاج الشعري في فترة ما بعد النكسة وحتى منتصف السبعينات، وُجد أنّ الصورةَ الشعرية في مجملها لم تتعدّ أن تكونَ صورةً حسيّة وصفية، التزم الشاعرُ من خلالها بالتعبير عن مشاعره القومية بدلالات توائم روحَ العصر، وانعكست من خلالها تجربتُه الشعرية ومعاناتُه الدائمة.

ومن الشواهد على (فواتوغرافية) الصورة، ما قاله علي البتيري سنة ١٩٧٢، يصوّرُ ما يقاسيه الأهل تحت نيرِ الاحتلال، ولم تخرج الصورةُ الشعرية عن النقل الأمين لما يرتكبه العدوُّ الصهيوني على الأرض العربية صباحَ مساء

(١) القناع: هو الاسم الذي يتحدث من خلاله الشاعر متجرداً من ذاتيته، أي إن الشاعر يعمد إلى خلق وجود مستقل عن ذاته (علي حداد: أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة(آفاق عربية)، بغداد، ط١، ١٩٨٦، ص١٤٧)
ويمثل القناع شخصية تاريخية -في الغالب- يختبئ الشاعر وراءها ليعبر عن موقف يريده (إحسان عباس: أتجاهات الشعر المعاصر،ص١٢١).

وبخاصة في فلسطين:[1]

رأيتهم بأمّ عيني الرؤوم
يجرّدون شيخاً سارياً إلى الصلاة
من ثيابه
يوضئون وجهه الجليل من زجاجة النبيذ
يجففّون بالسيجار شعرَ ذقنِه
وفوقَ الشاربِ المحتل يبصقون

ثمّ بدأ الشعرُ الأردني بعد ذلك يتخفّفُ من الصور التقليدية الجاهزة التي سيطرت على معظم نتاجاته السابقة، إذ كان المقياسُ في التشبيه القديم المقاربة بين المشبه والمشبه به جرياً على عمودِ الشعر العربي، الذي قال فيه (المرزوقي): «إنّهم كانوا يحاولون شرفَ المعنى وصحتَه، وجزالةَ اللفظ واستقامتَه، والاصابةَ في الوصف ...... والمقاربةَ في التشبيه، والتحامَ أجزاء النظم والتئامَها على تخيرٍ من لذيذِ الوزن ومناسبة المستعار منه للمستعار له ...... وعيارُ المقاربة في التشبيه الفطنةُ وحسنُ التقدير فأصدقُه ما لا ينتقِضُ عند العكسِ، وأحسنُه ما أوقعَ بين شيئين اشتراكَهما في الصفاتِ أكثرُ من انفرادهِما لِيَبِيْنَ وجهُ التشبيه بلا كُلفة»[2].

بدأ الشعرُ يتخلّص من مثِل هذه العلاقات الشكلية والسطحية والمشابهة الحرفية والحسيّة بين طرفي التشبيه، كما أخذَ يتخلّص من هذه العلاقات المنطقية، والحجج العقلية التي تركّزُ على أن يكونَ المشبّهُ به أكبَر وأعظَم قدراً من المشبه، فظهرت التشبيهاتُ المتباعدة، غيرَ أنها كانت ترتبطُ من جهةٍ أخرى بصلات شعورية ونفسية أعمق من الأمور الشكلية التي تقيد حرية الفنان،

(١) مجلة أفكار، العدد ١٦، تموز، ١٩٧٢. كما ينظر أديب نفاع: قلبي عليك ياوطن، ص٥٥.

(٢) المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المتوفي ٤٢١هـ): شرح ديوان الحماسة، السم الأول، نشره أحمد أمين، عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ط١، ١٩٩١، (المقدمةص٩)

وتجرّه إلى مهاوي التقليد والنمطية. وكمثالٍ على ذلك ما قالَه حبيب الزيودي عندما دخلت القواتُ الأجنبية والحليفة أرضَ الجزيرة العربية إذ صارت الأرضُ تفاحةً بين كلبين:[(١)]

وما زالت الخيلَ تكثرَ .... تكثرُ

والأرضَ تصغرُ تصغرُ

حتى غدت مثلَ تفاحةٍ بين كلبين

كلّ يحَاولُها مغنما

ومن خلال الصورة الجزئية التالية، نستطيع أن نرسَم لوحةً كليّة لبغداد بعد الحرب:[(٢)]

ما زلتُ أبحرُ في الرماد

متلمساً وجهي .... وجهَ حبيبتي

بغداد، رممت جرحي وانطلقت

فهزّني النخلُ الكسيح

ولوعةُ الأولاد

وأذلّني الوجه الأسير

عينان مبحرتان في ليل سديمي الرفات

تتراقص الدمعات في الاحداق

تحترقُ الجهاتُ، أهدابها الخجلى تسير

خلفَ انطفاء الأفق تحلم بالأثير

عربية هذي العيون الحجل

ما سجرت منابعَها الحرابُ

---

(١) رئة الشعر وملتقى المبدعين، الجزء الثالث، ص٢٧.

(٢) صحيفة الدستور: العدد ٨٤٩٤، بتاريخ ١٢/٤/١٩٩١.

«محمد عيسى الحوراني: قصيدة من أوراق بغداد»

لن تستق من فيضِها الوثّاب

قطعان الذئاب

ما زلتُ أبحرُ في الرماد

متلمساً وجهي

وصوتَ حبيبتي

ما زال يخترق الفؤاد

ومن الصور التي اعتمدت على التشبيهات المتلاحقة، فلم يعد في وسع القارئ متابعة هذه الصورة: قصيدة أقمار بيروت لمحمد ضمرة يقول فيها:[1]

بيروت قنبلة، وتفاحٌ عصيّ وارتقاب

بيروت كمثرى العرق

فلينهض الشهداء، فليتقافزوا

بيروت مصيدة، وما من صيغة أخرى

الشتاء القرمزي، الورد، والعشاق، والكاكي

تحت الخوخ مرتقب الطير النار

هذي إذن بيروت

نحل راقص تحت النوافذ

فارة أخرى من القتلى

وأكفان من القطن المهرب

رمانة بيروت

طيرٌ خرافي أتى من آخر الأحراش

في وطن الطوارئ والحروب الخاطفة

كما برزت بعض الصور الحركية (الدرامية) في التقاط المشاهد المؤثرة مستخدمة الأسلوب القصصي الذي يعرض المشهد من زوايا مختلفة. ومن

(١) محمد ضمرة: أقمار بيروت، ص٧٦-٨٥.

ذلك صورة الأم التي اعتدى عليها المجرمون، بعد أن ذبحوا رضيعها على صدرها، وقد استخدم الشاعر عناصر اللون (الدم)، والرائحة (العنبر) والصوت (ارتجاج الجبال) في رسم الصورة:(١)

بقي الصغيرُ بحضنها فمضت به مذهولةً تعــدو بغيــرِ مدّبرِ
فإذا الوحوشُ ثلاثــةٌ قــد أغلقـوا كلَّ الدروبِ بوجهِهـا المتكدّرِ
وتقدموا. طعنوا الصغيـرَ بخنـجرٍ ذبحوهُ كالغصن النديِّ المزهرِ
ذبحوه فانتشَر الـدّمُ القاني على وجهِ الأديم كـدَفْقَةٍ مـن عنبرِ
ذبحوه فارتجّت جبالُ الأرضِ تشكو الظلمَ في بيروت ظُلَمَ الغُدَّرِ
مـدوا أياديهـم فهـذا ناهــشٌ في فخذِها في نهدِها المتكورِ
قـالوا لـها: هــذا طــريقٌ آمـنٌ لا بدّ من ثمنٍ لنا كي تعبـري

نخلص من هذا كلّه أنّ الصورةَ الشعرية في الشعر الأردني -خلال الفترة الزمنية لهذا البحث- اعتمدت في بداياتها الأولى على الصورة التقليدية الجاهزة التي تقرِّبُ بين طرفي التشبيه (المشبه والمشبه به) جرياً على نظام عمود الشعر العربي الذي بيّن خصائصه (المرزوقي). ثم تطورت مفاهيمُ الصورة الشعرية نتيجة لطبيعة العصر، والمواقف القوميّة المختلفة التي أثّرت على الساحة العربية منذ عام ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٩١. كما استفاد الشعراءُ الأردنيون في هذا المجال مما كتبه الشعراء العرب، وبخاصة شعراء الأرض المحتلة مثل: محمود درويش، وسميح القاسم وتوفيق زياد وفدوى طوقان. كما تأثّر الشعرُ الأردني بالشعر الغربي أيضاً. فبدأ الشعر يتخلّصُ من الصورةِ الجاهزة ومالت الصورةُ الشعرية إلى التفكيك فتبدو غيرَ مترابطة لكنها في الحقيقة ترتبطُ هذه الصُورالجزئية برباطٍ شعوري هو بالتالي الذي يشكل الصورةَ الكلية داخل القصيدة.

وبهذا أصبحت الصورةُ الحديثةُ صورةً مترابطةً في واقعها، ملتحمةً أجزاؤها بوحدةٍ عضوية مجدُها النقد الحديث، بعد أن كانت قبل ذلك تتشكل الصورة الشعرية داخل البيت المفرد معتمدةً على التشبيهات القريبة والأوصاف الحسيّة

(١) مصطفى الصيفي: قنابل للسفر الطويل، ص٤٥.

الفصل الثالث

المضامين التراثية

الفصل الثالث

المضامين التراثية

التراث

لم ترد كلمة التراث في لسان العرب بالمعنى المقصود هنا، وما ورد فيه: ورِث الشيء يرثه وِرثاً وورثةً ووراثةً وإراثةً[1].

أما التراث بمفهومه الذي قُصد اليه في هذا الفصل فهو: «ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب، وخبرات، وفنون وعلوم، في شعب من الشعوب، وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي والإنساني، والسياسي والتاريخي والخلقي، ويوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه»[2].

أما التراث العربي فهو: «ما نراه متمثلاً فيما خلّفته لنا الأمةُ العربية منذ عصورٍ موغلة في القدم من عطاءٍ متعددِ المضامين، يمكنُ تمثّلهُ في جوانب من حياتِنا العصرية أو نستعينُ به في مواصلةِ المسيرة الحضارية للأمة»[3].

علاقة التراث بالقومية:

إنّ من طبيعةِ الأمم أنها في فترات أزماتِها ونكباتِها تلوذُ بماضيها العريق لتستوحيَ منه أمجادَها السالفة، وتستذكرَ منجزاتِ أبنائها العظيمة؛ فالعودةُ إلى التراث هي العودةُ إلى النّبعِ الثرّ الذي تستقي منه أممُ الأرض ما يساعدها على مواجهةِ الصِّعاب، وتخطي الكوارث والنكبات وهي تهمُّ لبناء مشاريعها الحضارية المستقبلية.

و«إنّ الشاعرَ العربي الحديث بحكم فترة البعث القومي التي يعيشها وتبعاً لثقافته الوثيقة الاتصال بتراث العرب وماضيهم كان شديدَ الوعي لعنصر التاريخ في المضمار القومي، يضاف إلى ذلك أن هالة محببة إلى النفوس

---

(١) لسان العرب، مادة: ورث.

(٢) جبّور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٩، ص٦٣.

(٣) علي حداد: أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، ص١٣.

ترتسم حول ذكريات الأفراد والأمم كلما أوغلت في القدم»[١].

إن رغبةَ الشعراء الأردنيين في التوجه إلى التراث العربي والإسلامي في هذا العصر رغبةَ المحبِّ لكل ما يمثلُه هذا التراث، فراحوا يتغنَون به، ويرددون أسماء أبطال العرب والمسلمين، ويُحيُّون هذه الرموز مثل: سعد بن أبي وقاص، المثنى بن حارثة، خالد بن الوليد، صلاح الدين الأيوبي وغيرِهم لأنّ «أيّ شخصية ثقافية تواجه تحديات مصيرية تردّ على التحديات عن طريق الإلحاح على مكوناتها الأُساسية التي تَعدّ اللغة في مقدمتها»[٢]. «وارتبط التراث بالمفهوم القومي في الآونة الأخيرة ارتباطاً وثيقاً -كما يقول عز الدين إسماعيل-، فشعراء هذه التجربة الجديدة قد استطاعوا -لأول مرة- أن ينظروا إلى التراث من بعدٍ مناسب، وأن يتمثلوه لاصوراً وأشكالاً وقوالب بل جوهراً وروحاً، ومواقف فأدركوا فيه بذلك أبعادَه المعنوية»[٣].

أمّا عن العلاقة بين المعاصرة والأصالة (القديم والجديد أو التراث والمعاصرة) فالشعر «لا ينبثق فنّاً مبدعاً إلاّ إذا انطلق من قاعدة القديم ...... والشاعر لا يكون شاعراً إلاّ إذا اعتمد اعتماداً أساسياً وضرورياً على تراث أمتِه الشعري ليتمكن من التجديد والإضافة»[٤].

وينقل إحسان عباس لصلاح عبد الصبور قولهُ: «إنّ الشاعر العظيم هو الذي يستطيع أنّ يتجاوَز التراث مضيفاً إليه شيئاً جديداً»[٥] وهو عند (أدونيس) الغور بقوله «الشاعر الجديد -إذن- منغرس في تراثِه أي في الغور، لكنّه في الوقت ذاته منفصل عنه»[٦].

---

(١) عمر الدقاق: الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث،ص٣٥٧.

(٢) علي حداد: أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، ص٢٣.

(٣) انظر عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر: قضايا وظواهر الفنية والمعنوية، دار العودة، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨١، ص٢١ وص٢٨.

(٤) فتحي أحمد عامر: من قضايا التراث العربي، منشأة المعارف، الاسكندرية، (بلاسنة وطبعة)، ص١٠٩.

(٥) إحسان عبّاس: اتجاهات الشعر المعاصر، ص١١٤.

(٦) المرجع نفسه، ص١١٤.

ولا يعني تقديرُ التراثِ واحترامُه أنْ نقفَ عنده مقلِّدين ومتّبعين فحسب، فهذا يعني الجمودَ والتخلف عن ركب الحضارة السريعة التغير، ولكنّ على الشاعر أن يجعلَ من التراث سُلَّماً يرتقي به حتى يصلَ إلى عوالمِ التجديد والمعاصرة، وبعدها ينطلق إلى المستقبل في ثبات وثقة، وبهذا يكون قد جمع بين التراث والمعاصرة؛ فكما أنّ شاعراً تمسّك بالقديم ووقف عنده يعدّ جامداً عديمَ الرؤية، فكذلك الشاعر الذي يتنكّبُ لتراثِه وحضارتِه، فهو شاعرٌ بلا جذور، وهو كمن يحاول أنّ يبني قصراً شاهقاً بلا أعمدة.

المضامين التراثية في القصيدة القوميّة الأردنية المعاصرة:

أولاً: المضامين الدينية

يدين غالبيةُ أبناءِ الأردن بالديانة الإسلامية لهذا كان للمضامين الإسلامية النصيبُ الأكبر في الشعر الأردني، وإن ظهرت بعض الإشارات النصرانية لكنّها قليلة.

ومن أبرز مظاهر التأثر الديني بالقرآن الكريم معجزةِ الرسول الأعظم، والكتابُ الذي تحدّى به الله سبحانه وتعالى الناس جميعاً؛ لهذا كان القرآن الكريم مثَلَ الشعراءِ والنموذجَ الكامل، فبدأوا يستلهمون منه قَصَصَ الأنبياء والصالحين، ويستفيدونَ من معانيه ومضامينه.

واختلفت طرائقُهم في الأخذِ عنه، فمنهم من اكتفى بذكرِ بعض القصص أو الأسماء، ومنهم من وظّفَ القصةَ القرآنية داخلَ النص، واستلهم من القرآن الكريم رموزَه على وَفْقِ تجاربهم برؤىً معاصرة تتفقُ مع طبيعة العصر الحاضر.

ويتّضحُ هذا التأثيرُ القرآني في قول محمود الشلبي مصوّراً مأساة لبنان والجرائم التي ارتكبت فيه من قتلٍ وتشريد وتدمير بعد الغارات الإسرائيلية المتكررة عليه، فاستوحى الشاعر صورةً محزنةً مؤلمةً باستخدام مضمون الآيتين التاليتين من سورة الزلزلة قال تعالى: «إذا زُلْزِلتِ الأرضُ

زلزالَها وأخرجتِ الأرضُ أثقالها»[١] فقال محمود الشلبي:[٢]

هذي الشواع زَلزلَت زلزالَها

والأرضَ ألهبها الرصاصُ

وأخرجت أثقالَها

واستفاد عبد الرحيم عمر من مضمون الآية الكريمة: «وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا»[٣].فيذكر أنه طالما هزّ الشجرة لكنها لم تعطِ ثمرها، لذا يقرر أنّه لن يهزّ الشجرة، فيقول:[٤]

هزّي إليك بجذعها

يا رب قد كلّت يداي ولا ثمر

وإذا كانت الموؤدةُ تُسألُ يومَ القيامة عن سبب وأدها، فإنّ الشلبي يرى أنّ هذا الزمن لا تستطيعُ فيه موؤدةٌ أنّ تسألَ عن ذنبها، فما ضحايا هذه الفترة الراهنة إلاّ من الأطفال الأبرياء:[٥]

هذا زمنٌ لا تُسأل فيه الموؤدة

عن سبب قتلت فيه بلا ذنب

كما اقتبس بعضُ الشعراءِ ألفاظاً من القرآن الكريم أو آيات منه،ويبدو هذا في قول سهيل أحمد، إذ صارت رحلة الشتاء والصيف ليست من بلاد الشام إلى الحجاز، وإنّما صارت فوق ناقلة النفط التي تغادر مكةَ عبرَ محيطات العالم فيقول:[٦]

وما زال الطريق إلى دمشقَ من المدينة

---

(١) سورة الزلزلة: آية ١-٢.

(٢) محمود الشلبي: أشجار لكل الفصول، ص٦٦-٦٧.

(٣) سورة مريم: آية ٢٥.

(٤) عبد الرحيم عمر: الأعمال الكاملة، ص١٣٧. وتكرر ذلك ص١٣٩ كما ينظر تكرار هذا: إبراهيم الخطيب: ذي قار أخرى، ص١١، أفكار العددان ١٠١، ١٠٢، حزيران، ١٩٩١، ص٧٣.

(٥) محمود الشلبي: ويبقى الدم ساخناً، ص٢٨.

(٦) سهيل السيد أحمد: الخروج على معاوية، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٩٢، ص٤١. وانظر حسين مبيضين وزميله: ابراهيم المبيضين حياته وشعره، ١٤٢.

ناقةٌ تجترُّ صاحبَها

وإيلافُ قريشٍ نفطُهم

وبطاحُ مكةَ فوق ناقلةٍ تسافرُ في المحيط

ومن الشعراءِ من وظّف بعض المعاني في التعبير عن معنى معاصر؛ فعند اشتداد الحرب بين العراق وإيران مزجَ بعضهم بين عبادة الفرس للنار، والنار التي جعلها الله برداً وسلاماً على إبراهيم:[1]

يا نارَ المجوس، تحللي، انطفئي

الا كوني سلاماً

ها هنا البصري أقوى ما يكون.

كما تكررت في قصيدة أخرى بعض أسماء السور القرآنية: سورة النمل، الأنبياء، وبعض الإشارات الإسلامية نحو: المنّ والسلوى، سادن الجاهلية، أبو جهل، الحسنين، أقرأ ما تيسر:[2]

وفي الوقت الذي تشكل فيه مجلس التعاون العربي بين مصر والعراق والأردن واليمن، راح الشعراء يتغنون بهذا الإنجاز القومي، ومما قاله حيدر محمود في هذه المناسبة القومية ومقتبساً آية كريمة[3]: [4]

وقد أتت من ثرى بغداد كحلتَها

وشمسُ عمانَ بالحنا تحنيها

وألبستها ذرى صنعاء عباءتها

والنيل يقرأ: «بسم الله مجريها»!

وفي قصيدة بعنوان (حرب رمضان) لإبراهيم مبيضين -ذكرت سابقاً- نقل آيات من كتاب الله، وضمّنها أبياتَه مثل انفروا قومي، أعدّوا لهم ما استطعتم، عاثوا في الأرض فساداً، جاء نصر الله والفتح، ادخلوا الباب عليهم عنوة.

(١) رئة الشعر وملتقى المبدعين، الجزء الثاني، ص٤٦٧-٤٦٨.

(٢) انظر ابراهيم الخطيب: ذي قار أخرى، ص١٦-١٧.

(٣) سورة هود: آية٤١.

(٤) حيدر محمود : المنازلة، ص٧١-٧٢.

وكلّ هذا يؤكد على تمسك الشعراء بالتراث الديني والقرآني منه وهو اقتداء يدلّ على الثقافة الإسلامية التي كانت تشكل مساحةً واسعة في دواوينهم، وتؤكد على التزامِ الشعراء الأردنيين بأهمِّ مقومات القومية القرآنُ الكريم[١].

ومن الألفاظِ القرآنيه التي دارت في قصائد الشعراء القومية بدرجات متفاوته: حجارة سجيل، طير أبابيل، الصافنات، هيت لك، الزنيم، ظهر الفساد في البر، ألم تر الفلك، بكّة، نقيم به الأوداء، آمنا بربنا، والتين والزيتون، فاصدع بأمرك، السنوات السبع العجف..........

إنّ وجود مثل هذه الألفاظ القرآنيه لتؤكد حقيقة احترام الشعراء للقرآن الكريم بوصفه دستور الأمة، كما استطاعت هذه الألفاظ أن تثري القصيدة المعاصرة بما تحمله من مضامين غنية الدلالات، قرّبت بين المتلقي والمبدع، وشاركت في تجسير الهوّة بين القصيدة والاتّصال الجماهيري.

إنّ المضامين الدينية في الشعرالأردني لم تكن في الألفاظ القرآنية فحسب، وإنما كانت في المعاني أيضاً، ولعلَ القارئ يدرك عند قراءة بعض القصائد في المواقف القومية المختلفة أن الشعراء استمدوا مضامينهم من المعاني القرآنية المختلفة. ومثال ذلك نراه عند محمود فضيل التل الذي استمد مايلي من قول الله تعالى:«يا أيها الذين آمنوا إنْ تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم»[٢]. وقوله تعالى: «الله ولّي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور»[٣]. فيقول في هذا المعنى:[٤]

وقال اللهُ ما معناهُ:

ياقومُ، إذا قمتم على نصري سأنصركم

(١) انظر مثل هذا التأثر عمر شبانة احتفال الشبابيك بالعاصفة، ط١، ١٩٨٣،ص٩١.
يوسف أبو لوز: نشيد الحجر، دار المهد للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٤، ص٧٨.
نايف أبو عبيد : أرجوان العمر، ص٣٦.
عبد الرحيم عمر: قبة ونار، ص٦٥. أم المعارك (الديوان الشعري)، الجزء الثاني، ص١٤٤
(٢) سورة محمد: آية ٧.
(٣) سورة البقرة: آية ٢٥٧.
(٤) محمد فضيل التل: شراع الليل واالطوفان، ص١٥، ص٢٣.

إذا سرتم على هديي

من الظلماتِ أخرجُكم ...... وأهديكم

بكل الخيرِ أرزقكم

كما يستلهِم إبراهيم العجلوني معنىً قرآنياً، وهو ما ينتظر الشهيد من منزلة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى، وما وعدَ الشهداءبه من نعيم مقيم في قوله تعالى: «ولا تحسبنّ الذين قُتِلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُرزَقون»[1].

يقول إبراهيم العجلوني:[2]

إن كان حقاً، فالفراديس العلى مأواك فاهنأ ذاك فوزُ الساعي

حُيّيتَ في غرف الجنان فإنّما بالحقّ نلتَ وبالشبا اللّماعِ

وورد في الشعر الأردني أسماء بعض الأنبياء عليهم صلوات الله، فأشاروا إلى بعض قَصَصِهم في القرآن الكريم. ومن ذلك قصة قوم موسى عليه السلام: «الذين نكلوا عن الجهاد، وخالفوا رسولهم، وتخلفوا عن مقاتلة الأعداء»[3] فقال الله تعالى في حقّهم: «قالوا يا موسى إنّا لن ندخلَها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربُّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون»[4] ثم استخدمها عز الدين المناصرة برؤية معاصرة بقوله:[5]

طُفتُ المدائنَ: بعضُهم قذفَ القصائد

من عيون الشعر يرثي والدي

والآخرونَ تنكروا:

«اذهبْ وربّك قاتلا»

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٦٩.

(٢) إبراهيم العجلوني: الطائر المستحيل، ص٥٧-٥٨.

(٣) انظر ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسسماعيل المتوفي سنة ٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم، المجلد الثاني، دار الخير، ط١، ١٩٩٠، ص٤٤.

(٤) سورة المائدة: آية ٢٤.

(٥) عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية، ص١٤٨-١٤٩.

وكأنهم ما مرّغوا تلك الذقون على فتات موائدي.

ونكسة حزيران كانت عند المناصرة كطوفان نوح وبعدها تمّ التشرد والضياع في بقاع العالم:[1]

أنا منذُ خمسٍ أنوحُ

أنا قبلَ طوفانِ نوح

أجوبُ صحاريك أسألُ عن واحةٍ أو جزيرة

وهذا المعنى (سفينة نوح) تناولَه عبد الرحيم عمر بقوله:[2]

وأنت كلّ عالمي في هذه السفينة

فالآخرونَ واجمون استسلموا للموت، للطوفان

وكلّ زوجٍ للفرار صورتان

خائفتان ترقبان هجمةَ الردى

وأنتِ يا رفيقتي تغالبيه الخوف

تزرعين حولك الأمان:

«عجّل بنا ياأيُّها الرّبان»

ويعلّق هاشم ياغي على هذه الصورة التي رسمها عبد الرحيم عمر بقوله: «صورة غنية الدلالات، كريمة الأثر في نفس الشاعر والحياة معاً»[3].

قصة أهل الكهف

ومن القَصَص القرآني قصة أهل الكهف التي استفاد منها الشعراء لتوضيح تخاذلِ العرب، ونومهم عن نصرة إخوانهم، فهم لا يختلفون عن أهل الكهف على الرغم من أنّهم أحياء، فيقول محمود فضيل التل:[4]

---

(١) عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية، ص١٢٢، ومرّر هذا، ص١٦٢.

(٢) عبدالرحيم عمر: الأعمال الشعرية الكاملة، ص٥٧.

(٣) المصدر السابق، (مقدمة الدكتور هاشم ياغي)، ص٢١. وانظر ما قاله يوسف أبو صبيح: المضامين التراثية في الشعر الأردني المعاصر، ص٥٤-٥٥.

(٤) محمد فضيل التل: شراع الليل والطوفان، ص١٣.

فناموا نومةَ الكهف

فأهل الكهف أحياءٌ

وما ناموا كما نمتم، وقاموا بعد الآف السنين

وأنتم معشرَ الأحياء لا شئتم ولا قمتم

لقد انتظرَ الفلسطينيُّ في كهف الاحتلال مدةً تزيد على عشرين سنة، وهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال، ولا منقذَ لهم من أسرهم:(١)

عرفتك لا ما عرفتك أذكرُ أنّي

نظرتُك عشرين عاماً بكهف الرقيم

تقلبني الشمس ذات الشمال وذات اليمين

وهي تضمينات تُبيّن مدى تخاذل العرب عن نصرة الشعب الفلسطيني وأحسّوا أن أبناءَ عروبتهم أمواتٌ نائمون كأهل الكهف.

قصة يوسف عليه السلام:

تناول الشعراءُ قصةَ سيدنا يوسف عليه السلام من زوايا مختلفة؛ فيوسف حمدان أشار إلى أن أخوةَ يوسف عليه السلام ألقَوْه في غيابةَ الجبِّ ودليل ذلك قول الله تعالى: «قال قائلٌ منهم لا تقتلوا يوسف، وألقوه في غيابه الجبِّ يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين»(٢).

فاستفاد الشاعرُ من هذه القصة مصوِّراً حالةَ الشعب الفلسطيني الذي تُرك بعد النكسة شريداً طريداً في التيه دون مأوى أو مأكل:(٣)

أنا يوسف، وقافلتي رمتني في مهبِّ الريح مجروحاً

وأعزلَ في صحاري تكثرُ الحياتُ لاماءٌ ولا مأكل

ولادربٌ ليوصلَني

---

(١) محمد إبراهيم لافي: الانحدار من كهف الرقيم، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ط١، ص٥٨.

(٢) سورة يوسف: آية ١٠.

(٣) يوسف حمدان: حراس الصمت، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٨٣، ص٢٠.

وجرحي يرسُمُ المأساةَ فوق الرمل ...... يمزقني وما متُّ

الحياة تفجرت أعنف

وطالت بي سنون التيهِ في الصحراء

لا نجْمٌ (ليهديني) إليك النّجمُ أخفوه

ثم يبيِّن مكرَ إخوته تُجاهه، وكيف أنّهم أسلموه للقتل، كما أظهرَ خوف أبيه عليه الذي بقي مترقباً عودته، بقوله:[1]

أبي ما زال معتكفاً، ومنتظراً بلا موقف

تمزِّقُه ظنونُ الشك بالعودة

ولا يعرفُ أكنتُ أنا الذي قتلوه

أو سجنوه أو ألقوه في الجبِّ

وعلى الرغم من إغراءات زوجة (العزيز) فإنه بقي محافظاً على شرفه وطهره لم تلوثه مظاهر الخداع والزيف:[2]

أنا يوسف ألاّ تدرون كم مرة

أتاني ذلك (الفرعون) يغريني بزوجتهِ

زليخةُ مزّقت ثوبي

ولم تقدْر على قلبي

ليعرفَ (إخوتي) أني اتخذتُ إزاءَهم موقف

سأبقى دائماً يوسف

قصة سيدنا موسى عليه السلام:

تناول الشعراء قصة سيدنا موسى عليه السلام من زوايا مختلفة منها: قصة العصا، والسحر .... إلاّ أنّ حيدر محمود أبطل قدرة عصا موسى على التهام ما حولَها بعد الأحداث الجسيمة التي أعقبت حرب حزيران وما تلاها:[3]

---

(١) المصدر السابق، ص٢٠

(٢) المصدرنفسه، ص٢٢

(٣) حيدر محمود: الأعمال الكاملة، ص٤٣٠-٤٣١.

هاجت كل الحيتان ونادت:

(ياموسى لا تضربْ بعصاك البحر

فلن ينشقّ

ولن ينقضّ الطوفان

لا تلقِ عصاك (لئلا تلقفَها الحيات!)

ومن القصص الأخرى:

لقد رمزَ محمد سمحان للأمة العربية بـ(ثمود) ولفلسطين بـ(ناقة الله) بعد أنّ رأى تخلّي العرب بقرارات زعمائهم عن القضية الفلسطينية باعتبارها قضية تخصُّ الفلسطينين وحدهم فيقول:[1]

عادت ثمودُ تحاولُ عقركِ

يا ناقَة الله

هذا قرارُ شيوخِ القبيلة

إني أعوذ بوجهِكِ من غدر هذي العواصم

ومن بهلوانٍ

يغني بصوتِكِ

إشارة إلى قول الله تعالى: فكذّبوه فعقروها فدمدم عليهم ربّهم بذنبهم فسوّاها »[2]

وممن اتخذوا (إرَم) رمزاً لفلسطين عبد الرحيم عمر، و(إرم) مدينة عجيبة بناها شداد بن عاد، وورد ذكرها في القرآن الكريم بقوله تعالى: «إرم ذات العماد التي لم يُخلق مثلها في البلاد»[3] فقال مستخدماً الرمز ذاته:[4]

أحلماً ما أرى أم هذه إرمٌ

مهدمةٌ على جبروت بانيها

فلا عسَسٌ ولا حرسٌ

(١) محمد سمحان: أنت أو الموت، مطبعة الزرقاء الحديثة، الزرقاء، ط١، ١٩٨٠، ص١٣.

(٢) سورة الشمس: آية ١٤.

(٣) سورة الفجر: الآيتان ٧-٨.

(٤) عبد الرحيم عمر: الأعمال الشعرية الكاملة، ص٤٣١-٤٣٢.

ولا حرسٌ ولا قبس

كأن ردىً خرافياً طواها في مآسيها

وورد ذكر هذه المدينة العجيبة عند سلوى السعيد مصوِّرة نكبةَ فلسطين:[١]

تزلزلت (ذات العماد)

ومن تُرى يأتي ولا يأتي

من الفجِّ العميق

وعن شقاق الأخوة والمكيدة فيما بينهم، وظَّف الشعراءُ قصَّة قتل قابيل هابيلَ ابني آدم عليه السلام.وورد في القرآن الكريم قصتهما بقوله تعالى: «فطوّعت له نفسُه قتلَ أخيه فقتَله فأصبحَ من الخاسرين»[٢]. ويقال: «بعد أن قبل الله سبحانه وتعالى قربانَ هابيل ولم يُتَقبّل من قابيل، قال قابيلُ في نفسه: الليلَة أقتلُه وأخذَ معه حديدةً، فقال هابيل: قرّبتُ أطيبَ مالي، وقربتَ أنت أخبثَ مالِك وإنّ اللهَ لا يقبلُ إلاّ الطّيبَ .... فلما قالها غضِب قابيلُ، فرفع الحديدةَ وضربَه بها ....»[٣]

وعن الفُرقة العربية والطائفية استخدم محمد سلاّم جميعان هذه الحادثة بين الأخوين، مذكِّراً إيّاهم بأيام الجاهلية الأولى كداحس والشذا وغيرهما قائلاً:[٤]

هابيل قد تعبَ النشيدُ وابحري　　حيرىً ويسكنها النشيجُ المترعُ

ملأى عروبتنا بداحسَ والشذا　　حرب الطوائف كلّ يومٍ نُجـرعُ

ضدَّين صرنا لا يهزُّ قرابنـا　　سيف ولا يعِظُ العروبةَ تبـّعُ

إن هابيل قضى في هذه الصحراء القاحلة ولا أحدُ يقصُّ خبر مقتله إلاّ الغراب الذي وارى سوأته، وهي الحالة نفسها عند الفلسطيني في محنته يُقتل

---

(١) سلوى السعيد: اشتعالات امرأة كنعانية، ص٤٥

(٢) سورةالمائدة آية ٣٠.

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المجلد الثاني، ص٤٨-٤٩.

(٤) محمد سلاّم جميعان: عصافير الرماد، ص٤٦. وانظر يوسف أبو صبيح: المضامين التراثية في الشعر الأردني المعاصر ص٥٣-٥٤.

على يد الأخ:(١)

هابيل هذا القفر حولك والخراب

تقضي ولا مَنْ قَدْ يَقُصُّ حكاية الأخ

والأخ الجاني عليه سوى غراب

هو نفسه الجاني الذي أغرى أخاك بفعله الشر الوبيل

وفي النص السابق أيضاً إشارة إلى قوله تعالى: «ياويلتى أعجزت أن أكونَ مثلَ هذا الغرابِ فأواريَ سوأة أخي»(٢)

وتناولَ سهيل السيد أحمد قصة هابيل، وكان تركيزه على قتل الأخ بسلاح أخيه بلا شفقه أو رحمة، فيقول: (٣)

ما زلتَ تقتلني، وأقتلُ فيك إنسانيتي

وقتلتنَي وأنا أخوك

ووردت بعضُ الإشارات النصرانية واليهودية، لكنّها إشاراتٌ قليلة في مجال الشعر القومي، ومثالٌ على ذلك ما قاله عز الدين المناصرة، معبِّراً عن الحالة الحزينة التي يمرُّ بها المواطن العربي، والعذابات التي يحملها على رأسه طوال سنوات الاحتلال، وما من أحدٍ يدقُّ ناقوس العودة، فيقول:(٤)

كم سيبقى من القهرِ من حصتي ..... يا يسوعُ

أيها الرعويّ الذي يركب الآن مهرتَه في الحقول

على رأسِه تاجُ شوكٍ وسعفُ النخيل

قل لنا: كيف نمشي إذا طافَ هذا الحرس

كيف تجلبُ مريام هذا المساء حليبَ الرضيع

---

(١) عبد الرحيم عمر: الأعمال الشعرية الكاملة، ص٤٧١.

(٢) سورة المائدة: آية ٣١.

(٣) سهيل السيد أحمد: الخروج على معاوية، ص٩١.

(٤) عز الدين المناصرة: الأعمال الكاملة، ص١٩٧ وانظر راشد عيسى: بكائية قمر الشتاء، دار الإبداع للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٢، ص٢١، ص٣٩.

لماذا أبي لا يدقُّ الجرسُ !!

أما إبراهيم نصر الله فينقل قصةً وردت في الاسرائيليات، وهي أن هيرود كان يهيمُ حباً خفياً بسالومي (ابنة زوجته من زوج سابق) وفي أحد الاحتفالات طلب إليها أن ترقصَ له على أنّ يعطيَها ما تطلبُه .... مهما كان، فقالت سالومي: أريدُ رأسَ يوحنا المعمدان (النبي يحيى) الذي لم يستجب لاغراءاتها، فاستخدَم إبراهيم نصر الله هذه القصةَ اليهودية للتعبير عمّن يتركُ مصلحة الأمة لتحقيق مصلحةٍ ذاتية، ومحاولة الإطاحة برأس من ينشرُ الأفكارَ العظيمة، ليخلَو الجوُّ لِلفساد والمفسدين:(١)

قالت: يوحنا سيتحدى ويسدُّ الدرب

وليس لنا من حِلٍّ إلاّ جمجمته

لك يا سيدتي جمجمته

ما دامت جمجمة ستحرك فيك رفيع الإحساس

لك يا سيدتي جمجمته

وجماجم حتى كلّ الناس.

ومن الموضوعات التي طرحَها الشعراءُ الأردنيون كذلك:

تخلّي العرب عن نصرةِ الأهل في فلسطين، نقدُ الأمة على تخاذلِهم أمام الأعداء والانصرافِ إلى اللهو والمجون، النزاعُ بين الأخوة والأقارب وتقديمُ المصالح الذاتية على مصالح الأمة العليا.

---

(١) إبراهيم نصر الله: جسدي كان الغربال، مكتبة الشباب، عمان، ص٥٥.

ثانياً: المضمون التاريخي:

كان للأحداث الجسيمة التي مرّ بها الوطن العربي أثرٌ واضح في انتشار الإشاراتِ التاريخية في الشعر الأردني؛ فبعدَ نكسة حزيران وما أعقبها من كوارثَ في كلٍّ من فلسطين وبعدها في لبنان والعراق التجأ الشعراء إلى تراثهم وتاريخهم ينهلون منه ما يساعدهم على الوقوفِ أمام التحديات القومية الخطيرة، الأمر الذي أوجدَ في الشعر الأردني ظاهرةَ الاتكاء على المضامين التاريخية التي عمّقت مضامين الشعراء بتراثهم، وربطتهم بتاريخ أمتهم المجيد.

ولهذا جاءَ استلهامُ الشعراء للتاريخ متنوعاً؛ فمنهم من اكتفى بالاشارة أو الرمز، ومنهم من قدّم الشخصيات التاريخية على وفقِ رؤىً معاصرة، أما النوعُ الثالث فقد أقْحَم بعضَ الإشارات التاريخية على غيرِ وعيٍ فجاءت إشاراته قلقةً، وأرهقت النصّ دون أن تخدَمه.

ومن هذه الإشارات التاريخية ما يتعلّق بأسماء أبطالِ العرب والمسلمين كخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص، وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم. ومنها ما يتعلق بأسماء المعارك الإسلامية وأيام العرب كذي قار وغيرها، أو القصص والروايات التاريخية المختلفة.

إنّ المعارك والحروب والنكبات في العصر الحاضر ولّدت نوعاً من الترابط بين التراث القومي للأمة العربية، والحياة المعاصرة؛ إذ عندما تشتدّ الأزمات تكون الأمة أحوج ما تكون إلى تراثها تستلهم منه ما يساعدها على الوقوف بقوة واقتدار.

لقد استفادّ الشعراء الأردنيون من هذا الموروث العظيم؛ لذا فهو عابقٌ في الشعر الأردني، ونابض بالحياة سواء أكان في الجاهلية أم في الإسلام.

وفي اثناءِ العدوان الفارسي على العراق عام ١٩٨٠، وقفت الحضارة العربية الإسلامية أمام الفرس بعد أنْ تأكّدَ العرُب أنّ العدوان إنّما هو يستهدف القضاء على الحضارة الإسلامية التي انضوى تحتها الفرس فترة من الزمن ولهذا

راح الشعراء يستلهمونَ تراثَهم الحربي فاستذكروا يومَ ذي قارفي الجاهلية، اليومَ الذي انتصر فيه العرب -متوحدين- أمام الفرس فكان يوماً قومياً عظيماً.

وممن بعثوا مجدَ هذا اليوم بافتخار واعتزاز محمد ناجي عمايرة بعد أن ذكر بعضَ المعارك الإسلامية الهامّة في التاريخ الإسلامي كحطين والقادسية واليرموك:(١)

هلالُ مجدِك من ذي قار مطلعُه   وفي الثنية من حطين يكتملُ
في قادسيةِ سعدٍ بعضُ وابلِه   وأمس كان على اليرموك ينهمل
العلجُ كسرى: صحا من بعد غفوته   وقومُ رستم جاءوا كلّهم ثملُ

ويستمد إبراهيم الخطيب من ذي قار ما يساعده على تخطي المحنة التي خلفتها الحرب العراقية-الإيرانية، وهو يشير إلى التعاون الغربي -الفارسي في سبيل القضاء على العروبة، ثم ينتقد العرب على وقوفهم متفرجين أمام الغطرسة الفارسية، بقوله:(٢)

ذي قار يا مقلتي الحارسة
وماذا ترين؟
ذراعان في رايةٍ واحدة
على مدّ عينيك يختلطَ الروم
والفرسُ في العرس
ذراعان في رأية واحدة
ومن حولهم عربٌ واقفون، وراياتُهم جالسة

ومن المعارك التي يتردد ذكرها ولا سيما أثناء الحرب العراقية-الإيرانية معركة القادسية لما تمثلُه هذه المعركة من رمزٍ عظيم في التاريخ الإسلامي بعامة والتاريخ العراقي بشكلٍ خاص، وتيمناً بها أطلق العراقيون اسمها على معاركهم

---

(١) رئة الشعر وملتقى المبدعين، الجزء الثالث، ص١٧١.

(٢) إبراهيم الخطيب: ذي قار أخرى، ص٧. وانظر الديوان الشعري (أم المعارك) الجزء الثاني، «قصيدة لعبد الرزاق العجلوني» ص١٤٤.

مع إيران.

فالفاو قد أُحيت أمجاد المسلمين في القادسية وحطين:(1)

فإنّ حطين بنتُ القادسية ..... والفاو

الأبيّة قد أحيت أمانيها

ويذكر هاشم سلامة عدداً من أبطال المسلمين وبعضَ المعارك كالقادسية، كما يمتدحُ جنودَ العراق بأنّهم أبطالُ القادسية، في قوله:(2)

ما أنت إلاّ يا عراق بنار حقّك تضطرم

قسماً بسعدٍ والمثنى والمجيب المعتصم

قسماً بفجر القادسية جهزت ناراً ودم

هذي جنود القادسية قد أبرّت بالقسم

ومن المعارك الإسلامية التي تكرر ذكرُها معركةَ حطين التي وقعت سنة ٥٨٣هـ بقيادة صلاح الدين الأيوبي، وكانت الانطلاقة الأولى لفتح بيت المقدس وقد كان ذلك، لهذا تكرر ذكرُهذه المعركة لاسيما أنّ القدس وقعت بعد نكسة حزيران في براثنِ الصهيونية، فأخذ الشعراء يتغنون بأمجاد حطين على أمل الاستفادة من دروسها العظيمة في تحرير بيت المقدس، ومن قصيدة له يفتخر كمال رشيد بحطين ويستلهم سيرة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم، يقول:(3)

«لولا الحياءُ» لكنْتَ أولَ باكٍ ... يا دوحةَ الإسراء في ذكراك

ولقد أتاكِ الغربُ يحملُ حقدَه ... مستنصراً بسلاحه الفتّاك

وتتابعت حَملاتُهم وجيوشُهم ... لكنّ سيفَ المخلصين حَماكِ

بالفخرِ نذكرُ يومَ حطينَ الذي ... بصلاحهِ المغوار ردّ عداكِ

(1) حيدر محمود: المنازلة، ص٧٤، وانظر عبدالرحيم عمر: الأعمال الكاملة، ص٤١٣.

(2) الرأي، العدد ٧٤٩٣، بتاريخ ١٩٩١/٢/١. وانظر يوسف العظم: عرائس الضياء، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٨٤، ص٢٢. والدستور العدد ٨٤٢٤ بتاريخ ١٩٩١/٢/١.

(3) كمال رشيد: شدو الغرباء، ص٥٩.

كما وردت إشارات لبعض المعارك الإسلامية ، مثل : بدر، اليرموك، عين جالوت، وغيرها[١].

أما المجال الثاني إضافة إلى ذكر معارك العرب والمسلمين فهو ذكر أبطال العرب والمسلمين -مع اختلاف الشعراء في طريقة التناول- فلقد استلهم الشعراء أسماءَ كثيرٍ من الأبطالِ في قصائدهم، غيرٍ أنّه من الصعب تتبع الإشارات التاريخية كلها، وإنما يكتفي في هذا المجال بذكر أشهر الأسماء التي وظّفت توظيفاً فنياً، وقُدّمت برؤيةٍ معاصرة، إذ ما يهّم هنا هو كيف استطاع الشعراءُ الإستفادةَ من التراث في تجربتهم، لا استدعاء هذه الرموز فحسب .

ومن هؤلاء الأبطال الذين داروا على ألسنة الشعراء : سعد بن أبي وقاص، خالد بن الوليد، المثنى بن حارثة، القعقاع بن عمرو، صلاح الدين الأيوبي، المعتصم، أبو محجن الثقفي، عبد الله بن الزبير، وغيرهم .

إن الحالةَ النفسية الصعبة، والعاطفة الدينية الصادقة عند يوسف العظم (شاعر الأقصى) اضطرتاه إلى استدعاء عدد من أبطال المسلمين ممّن كان لهم دورٌ بارز في التاريخ الإسلامي. وبعد أن رأى الشاعر أوطان العرب تهدم، والباغي يعفّرُ الوجوهَ بالدماء، لم يجد الشاعرُ أمامه إلا الاستعانةَ بأبطال المسلمين الأوائل، وكأنه يحرّضُ بني وطنه على أن يكونوا كأولئك عزماً وتصميماً :[٢]

قد عفّر الوغدُ وجهي بالدم القاني ومــزّق العِـلج أثوابــي وأرداني

فصحتُ علّ صلاح الدين يسمعني أو علّ حيــدرة الفرســان يلقـاني

أو علّ خيلاً لسعــدٍ وهي عادية ضبحاً تفـجر فـي لبنـان بركـاني

أين السيوفُ التي في كفّ معتصم صالت على البغي من فرس وروما ن

فلم تجبني من القعقـاع نخـوته ولم أجد في جموع القوم (شيباني)

---

(١) انظر رنة الشعر وملتقى المبدعين، الجزء الثالث، ص١٧١ .
زكي خصاونة : من ظلال القضية، ص٥٤ . وسليمان عويس : العنقود ، ص١١٩.

(٢) يوسف العظم : عرائس الضياء، ص ٣٠. وانظر كذلك رنة الشعر وملتقى المبدعين، الجزء الثالث، ص ١٧١. سلوى السعيد : اشتعالات امرأة كنعانية، ص٤٢ . الرأي العدد ٧٤٩٣، بتاريخ ١٩٩١/٢/١ .

أما كمال رشيد فاستدعى شخصية البطل المسلم صلاح الدين الأيوبي، بعد أن رأى بيت المقدس الذي حرّره يعبثُ به اليهود فساداً، مقارناً بين ماضي الأمة الجهادي، وحاضرها التخاذلي، فيقول :[1]

قم ياصلاحُ، وشاهِد القدسَ التي   حررتَها يزهو بها الحاخــــامُ
قالوا السلامُ سبيلُنا يا ويحَهم..   أوَ يُرجِعُ الحقَّ السليبَ سلامُ؟!
نحنُ الألى خبروا المعاركَ قـادةً   أيُرادُ منا الذلُّ والإرغــــــامُ

وتناول بعضُ الشعراء شخصيةَ الخليفة العباسيِّ (المعتصم) وكرروا قصته المشهورةَ وهي : استنجاد المرأة العربية به ، وهي في سجون الروم بأن أطلقت صرختها المشهورة (وامعتصماه)، فنقل هذه الاستغاثة أحدُ الجنود، فجهز المعتصم جيشاً ضخماً كان على رأسه، وانطلق إلى بلاد الروم ملبياً صرخة المرأة العربية، ففتح عمورية الحصينة، وفكّ المرأة من أسرها .

ومن الشعراء من قارن بين المعتصم[2] وزعماء العرب اليوم، ومنهم من انتقد الزعماء الذين يسمعون صرخات النساء واستغاثاتِ الشيوخ والأطفال فما من مجيب . ومن الذين تناولوا هذا المضمون التاريخي كمال رشيد في قصيدة له بعنوان (وامعتصماه) ، فيقول :[3]

صاحت فتاةٌ فاستجاب خليفة   لبيّك إني للمعــارك صــــابي
واليوم كل نسائنا نادينـا   أين الرجال وأين أسد الغاب؟

إنّ معتصِمَ اليوم لا يَبَرُّ بقسمه ولا يفي بوعده لذلك ينبغي أن تصبر فلسطين على ما هي عليه من تعذيب، وتشدَّ على جراحاتها :[4]

وعلى وجهك أبصرتُ سياطَ الذلّ والغزو .. فشدّي

(١) كمال رشيد : شدو الغرباء، ص ٣٤. وانظر زكي خصاونة : من ظلال القضية، ص٥٤ . والدستور، العدد ٨٤٢٤ بتاريخ ١٩٩١/٢/١ .

(٢) المعتصم : (٧٩٥-٨٤١هـ) خليفة عباسي بويع سنة ٨٣٣هـ يوم وفاة أخيه المأمون، فتح عمورية من بلاد البيزنطيين الشرقية، شيّد مدينة سامرا بعد أن ضاقت بغداد بجنوده، وتوفي بها (انظر الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، ص١٧١٨).

(٣) كمال رشيد : شدو الغرباء ، ص ٢٩ .

(٤) عبد الرحيم عمر : الأعمال الكاملة ، ص ٢٢٨ .

أهملينا واصبري للغزو والسوط وعدّي

سمَع المعتصمُ الصوتَ فما برّ

وما أوفى بوعدٍ

ويكرر هذا المعنى أحمد المصلح بأن تمنّى أن يستجيبَ المعتصم الحاضر لنداءات الأهل واستغاثات الصبايا على أرضِ فلسطين، فيقول : [١]

أنادي وأصرخُ في مطلع الشمس

أرجو السماء

بأن يسمَع المعتصم

ندائي .. نداءَ السبايا، ونوحَ الصبايا

ويأتي مع الشمس، يوفي العهود، ويحيي الرجاء

أما أبو محجن الثقفي فهو من الأبطال المسلمين الذين ورَد ذكرُهم في الشعر الأردني كرمزٍ للحرّ المقيد؛ إذ كان هذا البطل قد سجنه سعْد بن أبي وقاص لإدمانهِ الخمَر، فلما دارت معركة القادسية أبى على نفسه أن يبقى مقيداً ولا يقاتل في سبيل الله ، فتوسّل إلى (سلمى) زوج سعد أن تفكَّ قيودَه وتعطيَه فرس سعد (البلقاء) فسمحت له بذلك، وقاتلَ في المعركة قتالاً عظيماً، ثم رجع إلى سجنه ووضعَ القيودَ في يديه ثم عفى عنه سعد بعد ذلك [٢].

وممّن استعادَ هذا الموروث التاريخي عز الدين المناصرة في قصيدة له بعنوان : «أبو محجن الثقفي أثناء تجواله»، ففي هذه القصيدة يقول خالد الكركي : «هو مدخلٌ يتكئ على نافذتِه ليرويَ تجربتَه أو تجربة أي إنسان يتعرضُ للسجن والقمع ويتمرّدُ عليهما» [٣].

---

(١) أحمد المصلح : أصوات من النافذة الغربية، ص ١٤ . وانظر عبد الرحمن عمر : الأعمال الكاملة، ص ٢٢١ .

(٢) انظر خليل هنداوي : يوم القادسية، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٤، ص ٧٠-٧١ .

(٣) خالد الكركي : الرموز التراثية في الشعر العربي الحديث ، ص٢١٩ .

يقول عز الدين المناصرة :[1]

يعاد أبو محجن الثقفي من الرحلة المتعبة
كان يحمل تاريخَ عصيانِه في الحقائب
تكتبُ عنه التقارير، يُمنَعَ من شمِّ عطرِ الأحبة
ثم اغتيال هويته في صباح الجليد
يُعاد إلى أرضِه بالقيود، ولم يشربِ الخمرةَ الصافية

إنها قصةُ الباحث عن الحريةِ وهو وإن رجع إلى قيوده تبقى الحرية هاجِسَه وهو رمزُ الشعب العربي الذي حيل بينه وبين المشاركة في معركة التحرير وما يُطلبُ من أبي محجن الحاضر أن يَفُكَّ قيودَه لإطلاق طاقتِه المعطلة[2].

ويستصرخ محمد ضمرة خالد بن الوليد بطل اليرموك بعد أن دخلت القوات المتحالفة أرض الجزيرة العربية في حرب الخليج الثانية، طالباً منه أن يعوَد إلى الشرق، فبغداد تستغيث :[3]

يا ابنَ الوليد، أعد خيولَ الفتح
لا اليرموك ينتظرُ
ولا الأسوارُ عاتية
عليها ينفثُ الشررُ
فَعُد للشرق، بغداد تنادت
فاستجاشَ لصوتها عمر

ومن الشعراء من استدعى شخصيةً تاريخية ، وجعلها عنواناً لديوانه لما تتمتعُ هذه الشخصية من حضور في أذهانهم، كما هو عند محمد عبد الله

(١) عز الدين المناصرة : الأعمال الشعرية، ص ٢٢٠. وانظر إبراهيم الخطيب : ذي قار أخرى، ص ٨، ومحمود الشلبي : عسقلان في الذاكرة، ص ٢٧-٣٠.

(٢) انظر يوسف أبو صبيح : المضامين التراثية في الشعر الأردني المعاصر، ص١٠٧.

(٣) مجلة أفكار ، العدد ١١٢، تموز- آب ١٩٩٣ «محمد ضمرة : قصيدة أم العواصم»، ص١٦٥-١٦٦ .

قواسمة، في ديوانه : «عبد الله بن الزبير[1] في بيروت».

إن حالةَ المقاتل الفلسطيني في بيروت بعد أن خرج منها عام ١٩٨٢ لا تختلف عن حالة عبد الله بن الزبير الذي شكا إلى أمه خذلان الناس فقالت له: «إن كنتَ تعلمَ إنّك على حق وإليه تدعو فامضِ له فقد قُتِل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتِك غِلمانَ بني أمية، وإن كنتَ إنما أردتَ الدنيا فبئسَ العبدُ أنت، فخرجَ يقاتلُ حتى قُتِل سنة ٦٩٢»[2].

وعن خروج المقاتل الفلسطيني من بيروت يقول محمد القواسمة :[3]

ولدي لا تخشَ الموت

فلبنانُ يعلَم إنك أقوى من القهر

أقوى من الأحزان

وموتك ليس هنا في بيروت بل حولها

حين يلقاك القدُر في باقات الورود

وأغصان الزيتون

ولدي لا تخشَ الموت

فموتك يعني سقوط المدائن

ثم رؤوس السلاطين

فامضِ أيا ولدي ،

أما كربلاء [4] فتحضُر «رمزاً للأسى والجراح ، والحزن والندم، وقد أخذ الرمزُ ببعديه التاريخي والشعبي حيزاً في عدد من القصائد ، وأصبح النداء باسمه إشارةً رمزيةً للغضب والحزن والشهادة في أعلى أبعادها الدينية

(١) ينظر في ترجمته ص ٩٦.

(٢) ينظر محمد عبد الله القواسمة : عبد الله بن الزبير في بيروت ، ص ٩ .

(٣) محمد عبد الله القواسمة : عبد الله بن الزبير في بيروت، ص٧-٨ .

(٤) كربلاء : في الجنوب الغربي من العراق ، تقع على الضفة اليسرى من جدول الحسينية الذي يتفرع من نهر الفرات على مسافة ١٠٤كم من بغداد، وهي مدينة إسلامية مقدسة ، إذ بها مرقد الحسين بن علي الذي استشهد سنة ٦٠هـ (انظر الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الثاني، ص١٤٤٧) .

والشعبية معاً في سبيل الموقف، بل وصار رمزاً لخذلان الثائر العظيم من مؤيديه»[١].

وفي أثناء حرب الخليج الثانية يرى بعضُ الشعراء فيها كربلاء أخرى عندما تخلّى العرب عن العراق وأسلموه إلى الموت والهلاك، فيقول حسين الرواشدة :[٢]

فها كربلاء
تعودُ وكلّ الشهور محرّم
فيا أيهذا العراقيّ
خلّ رمال الحجاز تصير جهنّم

وفي حرب الخليج الثانية أرادت القواتُ المتحالفةُ أن تقضيَ على العراق وقائدِه فاستدعى علي البتيري الرموز الدينية نحو : الرسول عليه السلام، علي بن أبي طالب ، الحسن بن علي الذي استشهد في كربلاء بعد أن تخلّى عنه أصحابُه[٣]:

ألا يبصرونَ السماء
وما أرسلته عليهم طيور السماء
يريدون نهراً من الدم في كربلاء
ويبغون عطفَ النبي وصمت علي
ورأس الحسين يُساق إلى ثُكُنات الغزاة على مهرة
خجلتِ من دموعِ عروبتِها، واعتراها الحياءْ

ولم يكتفِ الشعراء باستخدام الرمز الإيجابي فقط، بل تجاوز ذلك إلى استخدام الرمز السلبي أيضاً، ففي الوقت الذي كانت القوات الأجنبية تتواجد على أرض الجزيرة لضرب العراق عام ١٩٩٠-١٩٩١، رأى نايف أبو عبيد أنهم لا

(١) خالد الكركي : الرموز التراثية في الشعر العربي الحديث، ص ١٨٣ .

(٢) جريدة اللواء ، العدد ٩١٠، بتاريخ ١٩٩٠/١٠/١٧. وانظر في ذكر كربلاء سهيل السيد أحمد : الخروج على معاوية، ص ٤٥ .

(٣) الرأي العدد ٧٥٠٠، بتاريخ ١٩٩١/٢/٨ .

يختلفون عن التتار الذين غزوا ديارنا، ودمروا جزءاً من حضارتنا بشيء، فأخلاقهم واحدة تعتمد على القتل والتدمير، يؤازرهم بعض من تواطؤوا معهم من العرب فيشير إلى العلقمي (الوزير الخائن الذي سلّم بغداد للتتار) وأبي رغال (الذي دلّ جيوش أبرهة إلى بيت الله الحرام)، فيقول:[1]

بغدادَ ياعبقَ الزمان، وزهوَه عاد التتار

في قلب (هولاكو) الجديد وحشده مليون ثار

والعلقميّ دليلهم عن وجهه خلعَ الستار

لكنّهم لم يعلموا أن العراقَ له القرار

وأبو رغال ورهطَه ناموا على زَنْدِ الحليف

أما محمد سلاّم جميعان فقد وظّف ما لاقاه أحمد بن حنبل[2] من أذىً وتعذيب على موقفِه والثبات عليه، فيدلّل الشاعر على أنّ العراقَ التي ربّت مثل هذا التقي الورع لن تتخلى عن مبادئها على الرغم مما تلاقيه من أذى:[3]

فليسألوا عنكِ ابنَ حنبل هل ثنى جَلْدُ السياط الحُرَّ عن إيمانه؟

كما يشيرُ بعضُهم إلى قصة عبد المطلب (جد الرسول عليه السلام) في حادثة جيش أبرهة الذي جاء لهدم الكعبة، فقال قولَته المشهورة: «إنّ للبيت ربّاً يحميه»، فيقول الشاعر إبراهيم الخطيب منددأً بمن استعانوا بالقوات الأجنبية بحجة حماية الديار المقدسة:[4]

البيت له ربٌّ يحميه

---

(١) الرأي، العدد ٧٢٣٨، بتاريخ ١٩٩٠/٨/٣٠

(٢) أحمد بن حنبل: أبو عبد الله بن محمد بن حنبل ... دُعي إلى القول بخلق القران (زيام أيام المعتصم، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فقال أحمد: أنا رجل علمت علماً ولم أعلم فيه بهذا، فأحضر له الفقهاء، والقضاة فناظروا) فلم يجب، فضرب، وحبس وهو مصرٌ على الامتناع سنة ٢٢٠هـ وبقي في السجن إلى أن مات المعتصم. انظر ابن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤، ص٦٤.

(٣) محمد سلاّم جميعان: عصافير الرماد، ص٥٩.

(٤) صوت الشعب العدد ٢٨٠٤ بتاريخ ١٩٩١/٢/٦.

فلماذا يلجأ لا مريكا

هل يتخذ مع الله ولياً وشريكاً

استغفرك اللّهم.

ووردت بعض الإشارات التاريخية مثل: كنعان وجفرا، وغيرها من الرموز التراثية[1].

ثالثاً: المضامين التراثية الأدبية

استفاد الشعراء الأردنيون في مضامينهم القومية من المخزون التراثي الأدبي عند العرب منذ عصر الجاهلية، مروراً بالعصر الإسلامي الأموي والعباسي والأندلسي، واستلهم بعض الشعراء الرموز الأدبية، ولا سيّما أعلام الشعر العربي كامرئ القيس ، عنتر بن شداد، المرقش الاكبر، الأعشى «ميمون بن قيس»، أبي تمام، المتنبي، المعري، ابن زريق البغدادي، وغيرهم.

ومنهم من أوردَ عدداً من هذه الرموز في قصائده دون أن يكونَ لهذه الرموز حضورٌ داخل النص، ودون أن تضيفَ إلى تجاربهم الشعرية شيئاً، ومنهم من تمثّل هذه الرموزَ فدخلت الرموزفي نسيج القصيدة بحيث لا تستطيع الاستغناء عنها لأنّها التحمت في مضامينها وصارت جزءاً لا يتجزأمنها، ومن هنا كانت رؤية بعض الشعراء ثاقبة لاستشرافهم ما وراء النص من أبعاد معنوية.

ومن أمثلة استدعاءالرموز الأدبية والتاريخية غير المشكِّلةِ بعداً فنياً داخل النص، ما قاله جميل علوش مسترجعاًتراث بغداد الخالد[2]

فإذا أجال بها أديب طرْفَه   لمَحَ الرشيدَ بها ينادمُ جعفراً

والأصمعيَّ يقصُّ عذْبَ حديثِه   فيهزُّ مستمعاً ويَخْلُبُ مُبْصِراً

---

(١) انظر عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية الكاملة، ص٧٨، ٢٥٩، ٣٣٧، ٣٤٣، ٣٩٩. وسلوى السعيد: اشتعالات امرأة كنعانية، ص١٧.

(٢) جميل علوش: مواكب الربيع، ص٤٣. وانظر كذلك إبراهيم الخطيب: ذي قار أخرى، ص١٨-٤٩.

وأبا نواس في الغواية سادراً   يقفو اللذائذ جاهداً ومشمراً

فلقد عرفتُ بكَ التراث مقدساً   ولقد وجدتُ بك القديمَ مقدراً

ومن الشعراء الأردنيين الذين أجادوا في توظيفِ التراث الأدبي عز الدين المناصرة، ففي بعض قصائده استدعى شخصية الشاعر امرئ القيس[١] بدقة ومهارة، إذ تابع تطورات هذا الرمز في حالاته المختلفة: سفره إلى بلاد الروم، مجونه ومعاقرته الخمرة، طلب الثأر، الوقوف على الأطلال ... فعن مقتل حجر بن الحارث (والد امرئ القيس) يقول عز الدين المناصرة، مسقطاً هذه الحادثة على الفلسطيني الذي تحمل العذابَ مترحّلاً طلباً للثأر بعد أنّ قضى حياته لاهياً معتمداً على غيره:[٢]

سأشرب حتى ولوكانت الكأس مرّة
فمن أجل غزلان وَجْرة
غداً أدخلُ الحربَ أوّلَ مرّة
رحلتَ وحملتَني عبءَ هذا النبأ
رحلتَ وحملتَني عبءَ هذا الفراق
رحلتَ وحملتني يا أبي ما يطاقُ
وما لايطاق

ومن الإشارات التي وردت عنده مقتلُ والد أمرئ إلقيس: «إنّهم قتلوا والدي وأنا شارد في حنايا اللغات»، «حَجَرُ المُسجّى على الرمل لم يدفنوه»، «وأنا أريد بني أسد، قتلوا أبي واستأسدوا»[٣]

---

(١) امرؤ القيس: هو ابن حجر بن الحارث الكندي من بني آكل المرار، يمني الأصل، نجدي الولادة، لقب بذي القروح، وبالملك الضليل، ولد بنجد حوالي سنة ٤٩٧م وتوفي بأنقرة حوالي عام ٥٤٥م. وهو من أصحاب المعلقات في الجاهلية. انظر يوسف أبو صبيح: المضامين التراثية، ص١٥٩.

(٢) عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية، ص٢٨.

(٣) انظر المصدر نفسه، ص٢٢٧-٢٣١، ص١٤٧-١٤٩.

وفي مقتل حُجْر بدايةٌ لمرحلةٍ جديدة من الكفاح والنضال من أجل الثأر وامرؤ القيس المعاصر أضاعَ ملكه وبلادَه، فهو طائفٌ في بلدان العالم يبحث عمّن يأخذ بثأره من قاتلِ أبيه بعد أن خذَله الأهلُ والأقاربُ وضيّعوه، ثم مضَوْا إلى لهوهم وخمرِهم ينعمون:[1]

ضاعَ ملكي في ذرى رأس المُجيمرِ[2]

ضاعَ ملكي، وأنا في بلادِ الروم أمشي أتعثر

من تُرى منكم يغيثُ الملكَ الضِّليلَ في ليلِ العويل

أنت يا صخرُ يغوث[3]

أرسل الموت لكوخ الندماء

ضيعوني ...... ومضَوْا في دربهم

يشربون الخمرَ في كلِّ مساء .....

ثم ألقى لومَهُ على أبناءِ عمه وأقاربه، الذين لم يدرّبوه على القتال ليوم مثلِ هذا اليوم، علّموه شربَ الخمرة واللهو والمجون، ثم طلبوا منه أن يثأرَ لأبيه!! فقال المناصرة:[4]

دعوني على زقِّ خمرٍ أنامُ وخلّوا يدي وخلّوا يدي تحملُ الكأس

حتى تطاولَ رأسَ المجرّة

ولا تطلبوا الثأرَ يا آل حُجْرٍ فإني

قتيلُ العذارى وكأسٌ من الخمر، لم أدخلِ الحربَ مرّة

وعن استعمال رمزِ امرئ القيس في الشعر الحديث، يقول خالد الكركي: رمزٌ مكثفُ الاستعمال في شعر عز الدين المناصرة، وتكادُ هذه الشخصيةُ تبرُزُ

---

(١) عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية، ص٢٨-٢٩.

(٢) إشارة إلى بيت امرئ القيس

كأن ذرى رأس المجيمر غدوة   من السيل والأغثاء فلكةُ مغزلِ

(٣) يغوث: اسم صنم في الجاهلية.

(٤) عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية، ص٢٥. «قصيدة قفا نبك».

باعتبارها الظاهرة البارزة الأولى في قصائده، وقد كشف المناصرة عن أبعادها ومراحل حياتها»[1]

وتناولَ الشعرُ الأردني رمزَ عنترة بن شداد[2] بوصفه شاعراً وفارساً وعاشقاً فها هو كمال رشيد يطلبُ من قومهِ أن يخبروا عنترة (وهوهنا المقاتل العربي) بأن سيفَه ضاع، وأن عبساً (العرب) خلعته من نسبها، ولم يبكِ عليه غيرُ عبلة (فلسطين) لأنّه القادرُ على فكّ قيودها:[3]

قولوا لعنترةَ الشجاع

السيف ضاع

خلعوك من نسب القبيلة مدعين

أن السياسةَ أصبحت أقوى من السيف اللعين

فالسلمُ رايةُ كلِّ مهزومٍ ودعوى المستكين

لم يبقَ عنترةٌ، ولا السيفُ ولا شيخُ القبيلة

لكنّ عبلةَ لم تزل تبكي، تنادي من يخلّصُها

يفكُّ قيودَها ويردُّ دمعتَها لتبسُمَ للربيع

وتخاطب سلوى السعيد المقاتل العربي (عنترة المعاصر) بأنّ الأهلَ قد تفرقوا عنه، وأصبحَ في الساحة وحيداً إلاّ من عبلة التي تنتظره، وتترقب عودته:[4]

أيا (عنترة) الأهل

هدّوا الخيام وشالوا الندى

---

(١) خالد الكركي: الرموز التراثية في الشعر العربي الحديث،ص٦٦.

(٢) عنترة بن شداد: من قبيلة عبس المشهورة، وأما اسم أمه فهو زبيبة، وهي أمة سوداء، وقعت في السبي فاستعبدها شداد ثم تزوجها فأولدها عنترة، لكنّ الأب لم يعترف بابنه ولداً كسائر الأولاد وذلك انسياقاً مع عرف جاهلي يقول إنّ أولاد الإماء لا يلحقون بآبائهم إلاّ إذا أنجبوا في القتال وقال له: كرّ وانت حرّ» (انظر شرح ديوان عنترة بن شداد: عباس ابراهيم دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤، (المقدمة ص٥).

(٣) كمال رشيد: عيون في الظلام، مكتبة الزرقاء، ط١، ١٩٨٤، ص٦٩.

(٤) سلوى السعيد: اشتعالات امرأة كنعانية:ص٤٩-٥٠، وانظر ص٤٣-٤٧.

وخيالهم، أطفأ الريح في الخيل

فاقرأ عليهم دم الفاتحة

....

(وعبلة) كم مدّت الطرف نحوك يوم الفراق

وكم عبّت الدمعة المالحة

ومرت رياح الهوى جانحة

وذكرك (عبلة)، بين الرماح، وتقبيلك السيفُ[1]

والدمُ يقطرُ والشوقَ يغمرُ ساحَ المعارك

والخيلُ غاديةٌ رائحة.

أما محمد إبراهيم فيظهر صورة عنترة الشجاع ... البطل الذي شهد الحروب فكان نعيمَ الصديق، وجحيمَ العدو[2]

هلا سألتِ الخيلَ

أجيئكِ مثل حدّ السيف

كاللحظات كالإعصار كالرعد

ألا فلتقرأي الغاراتِ في جسدي

أما المرّقش الأكبرُ[3] فهو رمزٌ عند عبد الرحيم استخدمه للدلالة على من يُترَكُ وحيداً يقاسي العذاب، يتخلّى عنه أقاربهُ وأصدقاؤه، والهذلي في قصيدة:

---

(١) إشارة إلى قول عنترة:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل	مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبل السيوف لأنها	لمعت كبارق ثغرك المبتسم

(٢) محمد ابراهيم لافي: الانحدار من كهف الرقيم، ص٣٨-٣٩. (وانظر شرح ديوان عنترة ص١٣٤).

(٣) المرُقش الأكبر: هو ربيعة بن سعد بن كالك ويقال بل هو عمرو بن سعد بن مالك، وهو أحد عشاق العرب المشهورين بذلك وصاحبته أسماء بنت عوف، وكان أبوها زوجها رجلاً من مراد، والمرقش غائباً فلما رجع أخبر بذلك .. فلما صار في بعض الطريق مرض فتركه مولاه هناك في غار وانصرف إلى أهله فأخبرهم أنّه مات فأخذوه وضربوه حتى أقرّ فقتلوه، انظر ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم المتوفي ٢٦٧هـ) الشعر والشعراء تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٥، ص١١٩م

المرقش في أيامه الأخيرة رمزَ المتخاذلِ عن مساعدةِ الصديق إذ تَركَ المرقش يعاني من المرض وحيداً في سفرٍ طويل إلاّ أنّ المرقش كتب على رحلِ ذلول الهُذَليّ يوصي إخوتَه بالثأر منه وهو لا يدري، فالهذليّ رمزُ الغادرِ الذي يستحق الرثاء لأنه لا يعرف قسوة المستقبل. فيقول عبد الرحيم عمر:(١)

مبهمٌ أنت

كما وجْهُ الهذيلّي توارىٰ الغدرُ فيه والإخاء

فهو يبكيني، ويبغي أجلي

وأنا أرثي له من قسوة المستقبل

كما أنّه خائن للعيش والملح(٢):

إنّه الخائنُ للعيشِ وللملحِ وللجارِ وللدارِ المهانة

والغٌ في الدّم والعهرِ وأقداسِ الأمانة

فاقطعوا الرأسَ التي دبرّتِ الأمر وأغرت بالخيانة

وإبراهيم خليل استدعى شخصية أدبية هي شخصية ابن زريق البغدادي الذي هاجر من بغداد إلى الاندلس طلباً للمال فكتب قصيدة رائعة منها هذا البيت:

استودعُ اللهَ في بغداد لي قمراً   بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه

وهي الحالة النفسية التي سيطرت على الشاعر إبراهيم خليل عند سفره إلى بلاد المغرب العربي يقول إبراهيم خليل(٣)

ها أنتَ تهبطِ افريقية

وعمّا قريب سيحملك البحرُ

تَنْشُدُ أندلساً

....

(١) عبد الرحيم عمر: الأعمال الشعرية الكاملة، ص٣٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٨٤.

(٣) إبراهيم خليل: تداعيات ابن زريق البغدادي الأخيرة، ص١٤.

تحقق ما كنت تحلم

تحذف من دفتر الذاكرة وطناً مزقته سيوف الفرنجة

وفي هذا الزمن المتردي تصبحُ الشخصية المشهورة بفخرها وزهوها في حالة من الذلة والامتهان والاستهجان، فالمتنبي (رمز العزة والشهامة العربية) يصبح عبداً محتقراً عند سيده في قول حيدر محمود[1]:

فالمتنبي ... غلامٌ يمشط

لحيةَ مولاه

يصنعُ قهوتَه في الصباح

وفي آخر الليل، يفركُ سُرّته ... وينام

فها هو حيدر محمود يرى أن النفطَ صار نقمةً على العرب، في لحظة من لحظات النقمة على النفط، ومظاهر الترف التي خلّفها، متمنياً أن ترجع الصحراء العربية قاحلة موحشة، تستجدي قصيدة من قصائد الأعشى في الصحراء[2]:

ليرجع ... هذا الوطن المتخمُ

للجوع، وللعري، وللأعشى

يستجديه قصيدة شعر

ومن الشعراء من استلهم سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم العطرة، متأثراً باتجاهه الإسلامي، لاسيما في المناسبات الدينية كعيد المولد النبوي، والإسراء والمعراج، وقد يكون هذا الاستلهام بمعارضة بعض المدائح النبوية وأشهرها قصيدة البردة للبوصيري التي عارضها كثير من الشعراء منهم كمال رشيد، ويوظف جانباً منها للحديث عن رحلته الشاقة بعد نزوحه عن فلسطين

(١) حيدر محمود: الاعمال الشعرية الكاملة، ص٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٩٨-٢٩٩.

مضطراً، فيقول:[1] معارضاً البوصيري[2].

أمن تذكر مسرى سيدِ الأمم ‏ ‏ ‏ «مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم»[3]

خرجتَ من سهل يافا وانتقلت إلى ‏ ‏ ‏ نابلس ثــم إلى عمّان فــي نــدمِ

كما ضمّن بعضهم مقاطع من الموشحات الأندلسية في قصائدهم، ومن أشهرها موشحة لسان بن الخطيب صاحب موشحة (جادك الغيث) يقول خليل عبويني[4]

جادك الغيث أذا الغيث همى

يا زمانَ الموت بالمجان

في مبغى بلاد الشرفاء

ويضّمن حيدر محمود مقطعاً من موشحة ابن زهر فيقول:[5]

ومضى للعين أيام الهوى

ولياليه التي قضّى معي

(أيها الساقي إليك المشتكى)[6]

كما استحضر الشعراء الأردنيون في هذا المجال أمثال العرب الملائمة لذوق الحياة في العصر الحديث، وضمّنوا بها شعرهم، فاتسع فضاء القصيدة لمضامين جديدة قرّبت بين المتلقين والشعر. ومن هذه الأمثال: المثل العربي الذي

---

(١) كمال رشيد: شدو الغرباء، ص٣٧.

(٢) البوصيري: شرف الدين محمد بن سعد الصهناجي، نسبة إلى صهناجة إحدى قبائل البربر، ولد في (دلاّص) بلد أمه سنة ٦٠٨هـ ونشأ في (بوصير) بلد أبيه وكان ذا ثقافة واسعة واشتهر بمدائحه النبوية ومنها: البردة.

(٣) تضمين من بيت البوصيري:

أمِن تذكر جيرانٍ بذي سلمِ ‏ ‏ ‏ مزجت دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ

(٤) خليل عبويني: البحث عن الزنبقة البرية، ص٥٠.

(٥) حيدر محمود : الأعمال الكاملة، ص٣٢٢.

(٦) إشارة إلى الموشحة:

أيها الساقي إليك المشتكى ‏ ‏ ‏ قد دعوناك وإن لم تسمع

انظر ابن سناء الملك (٥٥٠هـ-٦٠٨هـ): دار الطراز في عمل الموشحات، تحقيق جودت الركابي، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٩٨٠، ص٤٤.

يقول: «كلّ إناءٍ بالذي فيه ينضح»(١) ويضرب لكل امرئ يعودُ إلى أصله، وينزع إلى عنصره. فيضمنه حيدر محمود بقوله:(٢)

يا ألف مليون مخلوق ... ولا أحد   حتى الجراد ... يعادي من يعاديه

حتى الجماد له حدٌ، يذود به   عنه، (وكلّ إناءٍ بالذي فيه)!

وعن مضمون مجابهة القوة بقوة مثلها يقول كمال رشيد مستخدماً المثل العربي الذي يقول: «إنّ الحديد بالحديد يفلح) أي لا بد من الاستعانة في الأمر الشديد بما يشاكله(٣).

ومن الأمثال التي وظّفها الشعراء في قصائدهم: (تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها»(٤) «ورجع بخفي حنين»(٥)، « أعرفُ البئرَوالغطاء»، «يذوب الثلج ويظهر ما تحته»، «القول ما قالت حذام»، واستخدم عز الدين المناصرة المثل العامي الذي يقول: «ما أكذب من شاب تغرّب إلاّ شيخ ماتت أجياله»(٦).

كما زخرت القصائد الأردنية بتضمين أبيات أو أشطار أبيات تراثية لشعراء سابقين، وهذايؤكد على اتّباع الشعراء الأردنيين لفحول الشعر العربي القديم، وهم لا يقصدون من هذا التقليدَ فحسب وإنما كان يهمّهم أن يستلهموا تراث الأجداد والإضافة عليه بما يتناسب وواقع العصر المعيش.

ومن أمثلة هذا التضمين قول عز الدين المناصرة، وقد ضمّن شطراً من شعر العرجي(٧) إذ بعد مضي سنتين على الاحتلال الإسرائيلي رأى الشاعر

---

(١) انظر محمد عبد الغني حسن، عبد السلام العشري: من أمثال العرب، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨١، ص١٧١.

(٢) ديوان الانتفاضة، «قصيدة حتى يقول لنا الأقصى كفى مهجاً»، ص٩٦.

(٣) محمد عبد الغني حسن وزميله: من أمثال العرب، ص٢٨.

(٤) من أمثال العرب (مرجع سابق)، ص٥٣.

(٥) المرجع نفسه، ص١٠١.

(٦) عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية الكاملة، ص٦٢.

(٧) العرجي: (-٧٣٨م) عبدالله بن عمر بن عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عمر، غزل مطبوع، ينحو نحو عمر ابن ربي ربيعة، كان شغوفاً باللهو والصيد وكان من الأدباء الظرفاء، الاسخياء ومن الفرسان المعدودين ... ولقب بالعرجي لسكناه قرية (العرج) قرب الطائف وهو صاحب البيت المشهور: «أضاعوني ...»الأعلام ١٠٩/٤.

المناصرة أن العرب نسوا النكبة وآثارها، واتجهوا إلى الخطب الرنانة فتأكد من أنه ضاعَ كما أضاعَ قومُ العرجي شاعرَهم، فقال:[٥]

مضت سنتان قالت جدتي وبكت

وأعمامي يهزون المنابر، آه ما ارتجوا ولا ارتاعوا

مضت سنتان، قال الشاعرُ المنفيُّ حين بكى:

«أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا»[٦]

ومثل هذا التضمين كثير في الشعر الأردني[١]

كما ظهرت بعض المضامين التراثية الشعبية في القصيدة الأردنية مثل: قصة ألف ليلة وليلة، وحكايا السندباد ورحلاته الدائمة، وعلاء الدين، والزير سالم، وعنترة (في جانبها الشعبي والخيالي) وتغريبة بني هلال، وتوظيفها في الشعر الأردني عند وليد سيف، أحمد غطاشة[٢].

---

(٥) عز الدين المناصرة: الأعمال الكاملة، ص١٤٦.

(٦) اشارة إلى البيت العرجي:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغرى.

(١) انظر مثل هذا التضمين:

- عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية، ص٥٠.
- أحمد المصلح: أصوات من النافذة الغربية، ص١٠
- كمال رشيد: شدو الغرباء، ص٩١.
- أحمد غطاشة: تغريبة أخرى، ص١٩٩.
- خالد الساكت: المخاض، ص٤٥.
- عبدالرحيم عمر: تيه ونار، ص٨٢.

(٢) انظر هذا التوظيف:

- سلوى السعيد: استعالات امرأة كنعانية، ص١٢.
- عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية، ص٤٦، ص١٥٢.
- زكي خصاونة: من ظلال القضية، ص٥٤.
- محمد إبراهيم لافي: الانحدار من كهف الرقيم، ص١١
- حيدر محمود: الأعمال الشعرية، ص٤٢٨.
- سهيل السيد أحمد: الخروج على معاوية، ص١٣١.

تبين من خلال الفصل مدى تأثر الشعراء الأردنيين بالتراث الديني والتاريخي والأدبي، ففي مضامينهم تناولوا التراث الإسلامي وغيره، فانتشرت في شعرهم أسماء بعض الأنبياء كنوح، عيسى، يوسف، موسى عليهم صلوات الله. كما استفادوا من القصص القرآني في أنهم أدخلوا في قصائدهم بعضها للتعبير عن مواقف قومية خاصة كتناولهم قصة أهل الكهف، وقصة قابيل وهابيل....

وفي مجال التراث التاريخي أكثر الشعراء من استلهام أعلام التاريخ العربي وأبطال المعارك الإسلامية الخالدة، كسعد بن أبي وقاص، خالد بن الوليد، والمثنى بن الحارثة، عبد الله بن الزبير، ابي محجن الثقفي، وركزوا على شخصية البطل الفذ صلاح الدين الأيوبي محرر بيت المقدس، ومخلص الديار الإسلامية من براثن الصليبيين.

أما في المجال الأدبي فبرز أسماء أعلام الأدب لا سيما الشعر مثل: امرئ القيس، الأعشى، المرقش الأكبر، عبد يغوث الحارثي، عنترة، أبي نواس، المعري، المتنبي، وابن رزيق البغدادي، وغيرهم.

ولقد أمدت هذه الرموز المتنوعة مضامين الشعراء الأردنيين القومية بمعانٍ جديدة، كما سهّلت عملية التواصل الجماهيري مع الشعر. كما قدمت التراث على وفق رؤيا معاصرة أحدثت نوعاً من الترابط بين التراث والمعاصرة.

ولقد استوعب شعراؤنا التراث منذ مطلع هذا القرن، بعد أن انقطعت الأمة عن تراثها فترة من الزمن، فراحوا يعبُّون منه ما يعينهم على إبراز دور الشعر في مواجهة الأخطار والتحديات.

وقف الشعراء أمام التراث موقفين مختلفين: منهم من وظّف التراث لخدمة القصيدة المعاصرة وفق رؤية وتجربة معاصرة غنية بدلالاتها فاستوعبوا

التراث على أكمل وجه، كما هي الحال عند عبد الرحيم عمر، عز الدين المناصرة، خالد محادين، إبراهيم خليل، محمد عبدالله القواسمة، حيدر محمود، وغيرهم. ومنهم من وقف عند الرمز في القصيدة دون أن يقدّم من خلالِه تجربتَه الشعرية، ومن هؤلاء ظهر عدد من الشعراء استخدم الرمز بصورة سلبية إذ كان هدفه حشد عدد من الرموز التراثية في القصيدة فجاءت قلقة غير مستقرة أرهقت القصيدة، وشكلّت عبئاً عليها، مما أفقدها خاصية التواصل مع المتلقين كما عند: جميل علوش، يوسف العظم، كمال رشيد وغيرهم. وفي حدود تقديري أنّ هذه الرموز جيء بها لاستثارةِ عواطفِ الجماهير الدينية فحسب.

الخاتمــة

قدّم هذا البحثُ تمهيداً تاريخياً موجزاً للمرحلة التي شهدت بدء ظهور الشعور القومي في الوطن العربي بعامة، والمملكة الأردنية الهاشمية بخاصّة، وبيّن بواعث الوعي القومي المبكر ومظاهره.

كما بيّن البحثُ مدى مشاركةِ الشاعر الأردني أمتَه العربية في مراحل مدّها وانحسارِها القومي، إذ كان الشاعرُ يفرَحُ لفرح أمتِه، فتراه مزهوّاً في فترةٍ من فترات انتصارِها، ومتألماً في فترة ضعفِها فتراه حزيناً غاضباً.

وحاولَ البحثُ أن يُبْرِزَ دورَ الأردنّ الطليعي في احتضان الوعي القومي، وأن يُظْهِرَ دورَه التضامني ابتداءً من الثورة العربية الكبرى، وانتهاءً بموقفه من حرب الخليج الثانية، والذي يُعدُّ نواةً للتوّجه القومي العربي.

كما أسهمَ البحثُ في ربط حلقةٍ كانت مفقودةً في الدراسات القومية العربية والتي لم تعطِ الشعر القومي الأردني حقّه من الدراسة، فسعى هذا البحث إلى جمع النصوص الشعرية الأردنية القومية من مظانّها المختلفة: الكتب والدوريات والصحف المحلية، وحلّل القصائد الأردنية الواردة فيها، فدلّت هذه القصائد دلالة عميقة على ما يحمله الشاعر الأردني من همٍّ قومي تجاه أبناء أمته العربية.

كما قدّم البحث إضاءاتٍ لمضامين الشعر القومي الأردني والموضوعات العامة التي طرحها الشاعر الأردني من خلال مواكبتِه لأحداث أمته مع التركيز على الصراعات القومية التي جابهتها أمتُنا العربية، ومن هذه الموضوعات: تمجيد البطولة العربية، إظهار أعمال العدو الوحشية في فلسطين ولبنان والعراق، وانتقاد الحكام والشعوب الذين تخاذلوا عن نصرة أبناء فلسطين والعراق في أثناء مواجهتها الأعداء.

كما أبرز البحثُ عدداً من الشعراء الأردنيين الذين شاركوا في رفد الساحة الأدبية العربية بنماذج من قصائدهم القومية.

أما في مجال الدراسة الفنية للشعر القومي فقد قدّم البحث أهم الخصائص الفنية لهذا الشعر فتناول أسلوبَ هذا الشعر من حيثُ لغتُه، ألفاظُه وتراكيبُه، والذي وصل إليه البحث أن الشعَر الأردني استخدَم ألفاظَ الحياة العامة السهلة، ومال إلى المباشرة في التعبير لكنّها مباشرة غير سطحية كانت تهدفُ إلى تقوية الروابط بين القصيدة والجمهور.

كما تناولَ الشعراءُ الرمزَ والأسطورة، إذ مالوا إلى الرموز الشخصية والأصيلة والتقليدية، ووظفوا بعضَ الأساطير القديمة، إلاّ أنّهم تجنبوا استخدام الغامض منها، فجاءت بعضُ الأساطير المستخدمة مما شاع في الشعر الحديث مثل: الهامة، الفينيق، عشتار، بنلوب، وغيرها.

وظهرت في الشعر بعضُ الظواهر اللغوية كالتكرار، وتضمين الأغاني الشعبية، ، ومما يؤخذ على بعضِ الشعراء عدمُ تمكنِهم من ناحية اللغة، فورد عندهم بعض الأخطاء النحوية.

وكذلك طغى الشعرُ الخطابي على غيره من الأنواع الأدبية الأخرى لقربه من نفوسِ الجماهير، ولاحتوائِه على شحناتٍ حماسية قادرة على إثارة الجماهير ولذلك كانت معاناةُ الشعراءِ صادقة فيما طرحوه؛ لأنّهم اقتربوا من نبضِ عامة الناس، فتفاعلوا مع ما طرحوا من قضايا.

أما في مجالِ الموسيقا فلقد نظَم الشعراءُ على جميعِ الأوزان الخليلية، مؤكدين على أنْ لا ارتباط بين البحرِ والموضوع، لكنّهم مالوا إلى استخدام البحور الممزوجة كالطويل والبسيط والخفيف ....، ومالَ بعضُهم إلى البحور المجزوءة والأوزان الغنائية التي تميلُ إلى التكرارِ كمجزوء الوافر، ومجزوء الكامل، وظهر عند بعضهم الأخطاء العروضية وبخاصة عند أديب نفّاع.

أما الصورةُ الشعرية فاستخدم الشعراء فيها الصورَ التقليدية التي تعتمد على التشبيهات والاستعارت والكنايات ثم بعد ذلك اعتمدوا على الصور الكلية التي تتكوّنُ من مجموع الصور الجزئية مؤكدين بذلك على الوحدة

العضوية داخل القصيدة الأمر الذي يدعونا إلى أن نؤكّدَ على أن الشعَر القومي الأردني سايرَ ركَب التجديد شكلاً ومضموناً، وبخاصةٍ بعد أن طغى الشعُر الحرّ على غيره من الأشكال، فأعطى للشعراءِ الحريةَ في استخدام التفعيلةِ المناسبة، الأمر الذي ساعدهم في التعبير عن معاناتِهم تُجاه قضايا أمتِهم، فتمكنوا من أن يغطّوا بأشعارِهم القومية معظَم القضايا التي مرّ بها الوطنُ العربي في الفترة المخصصة للبحث.

ولقد وظّفَ الشعراءُ الموروثَ الدينيَّ والتاريخيَّ والأدبيَّ توظيفاً حسناً في أشعارِهم وهذا يؤكدُ على صلةِ الشاعرِ بتراثِه، ويؤكُد كذلك على أنّ الواجبَ علينا أن نستعينَ بكلّ ما لدينا من موروثٍ ثقافيٍّ ووجدانيٍّ لمواجهةِ ما نتعرضُ له من تحديات.

ويؤكدُ توظيفُ التراث على عُمق انتماءِ الشعراء لتاريخِهم المجيد، وماضيهم التليدِ وما استلهامُ الماضي إلاّ إحساسٌ منهم بعظمتِه وروعتِه.

وبعد، فقد بذلتُ ما أستطيعَ، ولم أدّخْر وُسعاً في التدقيقِ والبحث، والتنقيب، ومع ذلك فأنا واثقٌ أنّه قد فاتني الكثير، ومعترفٌ بأنه فوقَ كلّ ذي علم عليم، وما أنا إلاّ طالبُ علمٍ، أسألُ المولى القدير أن يأخذَ بيدي إنّه نعَم المولى ونعمَ النصيرُ.

طارق المجالي

المصادر والمراجع

أ- **القرآن الكريم**

ب- **المصادر والمراجع**

١- إبراهيم أنيس: موسيقا الشعر، دار القلم، بيروت، ط٤، ١٩٧٤.

٢- إبراهيم خليل: الانتفاضة الفلسطينية في الأدب العربي، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٩٠.

٣- إبراهيم الوحش: مأساة بيروت في الشعر العربي، المطبعة الاقتصادية، دبي، ط١، ١٩٩٢.

٤- الأبعاد الاستراتيجية للحرب العراقية -الإيرانية (ندوة علمية لمركز دراسات الخليج العربي)، جامعة البصرة بالتعاون مع مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي من ١٢- ١٩٨٨/٤/١٤.

٥- إحسان عباس:
- اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط٢، ١٩٩٢.
- فن الشعر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٨٧.

٦- أحمد عبدالمجيد: حرب المدن مدن الحرب، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط١، ١٩٨٧.

٧- أحمد مطلوب:
- القروي شاعر العروبة في المهجر، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٥.
- الصورة الفنية في شعر الأخطل الصغير، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٥.

٨- أرثر كورتل: قاموس أساطير العالم، ترجمة سهى الطريحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٣.

٩- ابن الأنباري (كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن بن محمد المتوفي ٥٧٧هـ): الإنصاف في مسائل الخلاف، الجزء الثاني، دار الفكر، (بلا مكان وطبعة).

١٠- أمينة العدوان: دراسات في الأدب الأردني المعاصر، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، ١٩٧٦.

١١- إلياس خوري: الانتفاضة الفلسطينية، الجزء الأول، شركة الفهرست للإنتاج الثقافي، بيروت، ط١، ١٩٨٨.

١٢- بشرى موسى: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤.

١٣- بلال التل:

-الأردن محاولة للفهم، منشورات دار اللواء للصحافة، ١٩٧٨.

- الأردنيون وفلسطين، دار البيرق للنشر، عمان، ١٩٩٢.

١٤- بويد شيفر: القومية (عرض وتحليل)، ترجمة جعفر قصّاب، عدنان الحميري، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (بلا سنة وطبعة).

١٥- بياتريس الكسندر: الآلهة والبشر، ترجمة صالح عبدالحسين عيسى، منشورات وتوزيع المكتبة العالمية، بغداد، ١٩٩٠.

١٦- توفيق أبو الرب: قراءات في الأدب الأردني، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٨٠.

١٧- الجاحظ (عمرو بن بحر المتوفى ٢٥٥هـ): الحيوان، الجزء الثالث، تحقيق عبدالسلام هارون، بيروت، ط٣، ١٩٦٩.

١٨- جميل بركات: فلسطين والشعر، منشورات دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٨٩.

١٩- جورج أنطونيوس: يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد، إحسان عباس، بيروت، ط٢، ١٩٦٦.

٢٠- حجر عاصي (شرح وتحقيق): ديوان امرىء القيس، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤.

٢١- حسن البدري وآخرون: حرب رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٥، ١٩٨٧.

٢٢- حسين الأجرب: جذور حرب الخليج، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٦.

٢٣- حسين الحاج حسن: الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٨.

٢٤- حضارة العراق: (تأليف نخبة من الباحثين العراقيين)، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٨٥.

٢٥- خالد الكركي: الرموز التراثية في الشعر العربي الحديث، دار الجيل، بيروت، مكتبة الرائد العلمية، عمان، ط١، ١٩٨٩.

٢٦- ابن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المجلد الأول تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤.

٢٧- خليل هنداوي: يوم القادسية، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٤.

٢٨- خير الدين الزركلي: الأعلام (قاموس تراجم)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، ١٩٩٢.

٢٩- ساسين سيمون عسّاف: الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٢.

٣٠- ساطع الحصري: آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، دار العلم للملايين، بيروت ط٣، ١٩٥٧.

٣١- سعد الدين الشاذلي: الحرب الصليبية الثامنة، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩١.

٣٢- سعدون حمادي وآخرون: دور الأدب في الوعي القومي العربي (بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي أعدّها ونظمها مركز الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٢.

٣٣- سمير مطاوع: الأردن في حرب ١٩٦٧، عمرة للنشر والتوزيع، لندن-عمّان، ط١، ١٩٨٨.

٣٤- سهيلة الريماوي: الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، ١٩٩٢.

٣٥- سيسيل دي لويس: الصورة الشعرية، ترجمة أحمد نصيّف الجنابي وآخرون، مؤسسة الفليج للطباعة والنشر، الكويت، ١٩٨٢.

٣٦- صالح أحمد العلي: تطور الفكر القومي العربي (بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. ط١، ١٩٨٦.

٣٧- صالح مسعود أبو يصير: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ط٥، ١٩٨٨.

٣٨- ضحى عبدالعزيز: حافظ إبراهيم حياته وشعره، دار كرم، دمشق.

٣٩- عباس إبراهيم: شرح ديوان عنترة بن شداد، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤.

٤٠- عبدالرحيم زلط: العروبة في شعر المهاجر الأمريكي الجنوبي، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٧٢.

٤١- عبد الرزاق الحسني: تاريخ العراق السياسي الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ١٩٨٩.

٤٢- عبدالرضا علي: العروض القافية، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل - العراق، ١٩٨٤٩.

٤٣- عبدالفتاح نافع: الصورة في شعر بشار بن برد، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٣.

٤٤- عبدالفتاح النجار: التجديد في الشعر الأردني، دارابن رشد للنشر والتوزيع، إربد، ط١، ١٩٩٠.

٤٥- عبدالقادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، المنيرة، ١٩٧٨.

٤٦- عبدالكريم الدجيلي: الجواهري شاعر العربية، الجزءالأول، مطبعة الآداب، النجف الأشرف.

٤٧- عزالدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨١.

٤٨- علي البطل: الصورة في الشعر العربي، شركة الفجر العربي، بيروت، (بلا سنة).

٤٩- علي محافظة:
-الفكر السياسي في الأردن، مركز الكتب الأردني، ط١، ١٩٩٠.
- تاريخ الأردن المعاصر، (١٩٢١ -١٩٤٦)، مركز الكتب الأردني، عمان، ط٢، ١٩٨٩.

٥٠- عمر الدقاق: الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٨٥.

٥١- عيسى الناعوري: الحركة الشعرية في الضفة الشرقية من المملكة الأردنية الهاشمية، وزارة الثقافة والشباب، عمان، ١٩٨٠.

٥٢- فتحي أحمد عامر: من قضايا التراث العربي، منشأة المعارف، الاسكندرية، (بلا سنة وطبعة).

٥٣- فهمية شرف الدين: الثقافة والأيديولوجيا في الوطن العربي، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٨٣.

٥٤- فوزي الخطبا، حسن المبيضين: إبراهيم المبيضين حياته وشعره، عمان، ١٩٨٦.

٥٥- قادسية صدام والخيار القومي: (مجموعة دراسات)، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، ط١، ١٩٨٦.

٥٦- قاسم محمد الدروع: أدبيات معركة الكرامة، عمان، ١٩٩٣.

٥٧- ابن كثير (الحافظ عمادالدين أبو الفداء إسماعيل المتوفى ٧٧٤هـ): تفسير القرآن الكريم، المجلد الثاني، دار الخير، بيروت، ط١، ١٩٩٠.

٥٨- كمال البصير: بناء الصورة الفنية في البيان العربي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧.

٥٩- كمال خيربك: حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر، ط١، ١٩٨٢.

٦٠- المؤتمر الثقافي الوطني الثاني من ١٩ -٢٢ تشرين أول ١٩٨٥، الجامعة الأردنية، عمان، ط١، ١٩٨٦.

٦١- محاضرات الموسم الثقافي الثالث، جامعة مؤتة، ١٩٨٨.

٦٢- محمد أحمد موسى: عبدالمنعم الرفاعي حياته وشعره، دائرة الثقافة والفنون، عمان، ١٩٨٧.

٦٣- محمد عبدالغني حسن، عبدالسلام العشري: من أمثال العرب، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨١.

٦٤- محمد عزة دروزة: حول الحركة العربية الحديثة، الجزء الثاني، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٤٩.

٦٥- محمد علي الشوابكة، أنور أبو سويلم: معجم مصطلحات العروض والقافية، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩١.

٦٦- محمد كامل جمعة: الأسلوب، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٩٦٣.

٦٧ محمد مصطفى زيدان، محمود محمد بلال: القومية العربية بين القوميات والمذاهب السياسية المعاصرة منشورات منشأة المعارف، الاسكندرية،١٩٦٧.

٦٨- محمد المومني: الحرب العراقية -الإيرانية، ١٩٨٨.

٦٩- محمود مهيدات: اتجاهات شعراء شمالي الأردن، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٨٥.

٧٠- مختارات من الشعر الحديث في الأردن، منشورات دار البيرق، عمان، ط١، ١٩٨٣.

٧١- مدحت سعد الجبار: الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤.

٧٢- المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ٤٢١هـ): شرح ديوان الحماسة، القسم الأول، نشره أحمد أمين، عبدالسلام هارون، دارالجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١.

٧٣- مصطفى عبدالغني: البنية الشعرية عند فاروق شوشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢.

٧٤- مصطفى ناصف: الصورة الأدبية، بيروت، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨١.

٧٥- معن أبو نوار: بين القومية والوطنية، دار اللام، لندن، ١٩٩١.

٧٦- ناصر الدين الأسد: الشعر الحديث في فلسطين والأردن، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، ١٩٦١.

٧٧- نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط٨، ١٩٨٩.

٧٨- ناصيف اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت.

٧٩- نعيم اليافي: مقدمة لدراسة الصورة الفنية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٢.

٨٠- وليم الخازن: الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٨.

٨١- الولي محمد: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠.

٨٢- يعقوب العودات: عرار شاعر الأردن، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠.

٨٣- يوسف بكار: بناء القصيدة العربية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٩.

٨٤- يوسف أبو صبيح: المضامين التراثية في الشعر الأردني المعاصر، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط١، ١٩٩٠.

٨٥- يوسف كعوش: الدروس المستفادة من الحروب العربية الإسرائيلية، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ط١، ١٩٨٧.

جـ- الدواوين والمجموعات الشعرية.

١- إبراهيم الخطيب:
- ذي قار الأخرى، دار الينابيع للنشر والتوزيع، إربد، ١٩٩٢.
- غنِّ لي غدي، دار الجاحظ للنشر والتوزيع، إربد، ١٩٨٤.

٢- إبراهيم خليل: تداعيات ابن زريق البغدادي الأخيرة، دار آسيا للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٨٤.

٣- إبراهيم العجلوني: طائر المستحيل، دار قدسية للنشر، إربد، ط١، ١٩٩٢.

٤- إبراهيم نصرالله: جسدي كان الغربال، مكتبة الشباب، عمان.

٥- إبراهيم اليازجي: العقد، دار مارون عبود، (طبعة جديدة)، ١٩٨٣.

٦- أحمد الخطيب (جمع وتقديم): ديوان الانتفاضة، منشورات لجنة الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، سفارة دولة فلسطين، الرياض، ط٢، ١٩٩٢.

٧- ديوان أحمد محرم، الجزء الثاني، جمع وتحقيق محمود أحمد محرم، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٩٨٤.

٨- أحمد المصلح: أصوات من النافذة الغربية، وزارة الثقافة والشباب، عمان، ١٩٨٠.

٩- أحمد نصرالله: لعينيك يا قدس، دار الكتاب الذهبي للنشر والتوزيع، عمان، ط٢، ١٩٨٥.

١٠- إدوارد عويس: رواء المساء، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، ط١، ١٩٨٥.

١١- أديب نفاع: قلبي عليك يا وطن، دار الكرمل، عمان، ط١، ١٩٨٨.

١٢- أم المعارك (الديوان الشعري)، الجزء الثاني، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩١.

١٣- باسل رفايعة: خماسين الوطن، ١٩٨٧.

١٤- باسل طلوزي: بقية المنفى، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٨٥.

١٥- تيسير عطالله: قصائد من الخندق، مديرية المطابع العسكرية، عمان، ط١، ١٩٩١.

١٦- ديوان جميل صدقي الزهاوي، المجلد الأول، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩.

١٧- جميل علّوش:
- جراح ودماء ط٦، ١٩٨٥
- ديوان صوت الشعر، منشورات دار الينابيع للنشر والتوزيع، ١٩٩١.

١٨- حبيب الزيودي: الشيخ يحلم بالمطر، شقير وعكشة للطباعة والنشر، عمان، ١٩٨٦.

١٩- حسني رشيد الكيلاني: أطياف وأغاريد، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط١، ١٩٤٦.

٢٠- حسني فريز: هياكل الحب، الجزء الثاني، مطبعة الشرق، عمان، ط١، ١٩٨٦.

٢١- حسين خريس: حكاية وجدان، المكتبة العصرية، صيدا -لبنان، ١٩٧٢.

٢٢- حسين غرايبة: أصالة هاشمية، دار الخواجا، عمان، ١٩٩٢، ط١،؟

٢٣- حيدر محمود:
- الأعمال الشعرية الكاملة، مكتبة عمان، عمان، ١٩٩٠.
- المنازلة، دار الكرمل، عمان، ط١، ١٩٩١.

٢٤- خالد الساكت:
- المخاض، عمان، ١٩٨٧.
- الذي يأتي العراق، دار الينابيع، إربد، ١٩٩٢.

٢٥- خالد محادين:
-الأعمال الكاملة، مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية، عمان، ١٩٩٠.

٢٦- خلف خصاونة: المزاريب، الديوان دون تعريف.

٢٧- خليل العبويني: البحث عن الزنبقة البرية، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، عمان ١٩٧٩.

٢٨- ديوان خليل مردم بك، تقديم جميل صليبا، المجمع العلمي العربي، دمشق.

٢٩- داود معلا: الطريق إلى القدس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٨٤.

٣٠- دلال الخالدي: الأقصى الجريح، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٧.

٣١- راشد عيسى: بكائية قمر الشتاء، دار الإبداع للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٢.

٣٢- ديوان رشيد سليم الخوري، الجزء الثاني، بيروت، ط٥، ١٩٧٨.

٣٣- زكي محمود الخصاونة: من ظلال القضية، دار عمار، عمان، ط١، ١٩٨٨.

٣٤- سلوى السعيد:
- اشتعالات إمرأة كنعانية، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٨٨.
- صرخات على جدار الصمت، شقير وعكشة للطباعة والنشر والتوزيع (دار كتابكم)، عمان، ١٩٨٧.

٣٥- سليمان عويس:
- العنقود، مطابع دار الشعب، عمان، ١٩٧٨.
- عنيّت بغداد، دار المهد للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨١.

٣٦- ديوان سميح القاسم، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧.

٣٧- سهيل السيد أحمد: الخروج على معاوية، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٩٢.

٣٨- عائشة الخواجا الرازم:
- الأردن في الفكر والوجدان، دار الخواجا للنشر، عمان، ط١، ١٩٩٠.
- حسن الفلسطيني وثورة الحجارة، دار ابن رشد، عمان، ط٢، ١٩٨٨.

٣٩- عبدالله منصور:
- رباعية اغتيال القمر، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ط١، ١٩٨٦
- طيور الشمس، دار الكرمل، عمان، ط١، ١٩٩٢.

٤٠- عبد الجبار داود (إعداد): رئة الشعر وملتقى المبدعين (المربد الثامن)، الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ١٩٨٨.

٤١- عبدالرحيم عمر:
- الأعمال الكاملة، منشورات مكتبة عمان، عمان، ١٩٨٩.
- قصائد مؤرقة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٩.
- تيه ونار، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط١، ١٩٩٣.

٤٢- عبدالعزيز أبو غوش: انتفاضة شعب، عمان، ١٩٨٨.

٤٣- عبدالمنعم الرفاعي: المسافر، الدار المتحدة للنشر، ط١، ١٩٧٩.

٤٤- عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٤.

٤٥- علي الفزاع: مرثية للمحطة الثالثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

٤٦- عمر شبانة: احتفال الشبابيك بالعاصفة، ط١، ١٩٨٣.

٤٧- عيسى بطارسة: الآخر البعيد، مشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، ط١، ١٩٩٤.

٤٨- عيسى الناعوري:
- أناشيد أخرى، دائرة الثقافة والفنون، عمان، ١٩٨٣.
- همسات الشلال مطبعة الشرق، عمان، ط١، ١٩٨٤.

٤٩ ديوان فؤاد الخطيب، دار المعارف، مصر، ط١ ، ١٩٥٩.

٥٠- فايز التلاوي: بيروت تصرخ، مطبعة الصفدي، عمّان.

٥١- كمال رشيد:
- شدو الغرباء، عمان، ط٤، ١٩٨٣.
- عيون في الظلام، مكتبة المنار، الزرقاء، ط١، ١٩٨٤.

٥٢- مؤيد عتيلي: بيان خاص، دار الأفق الجديد للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٨٢.

٥٣- محمد إبراهيم لافي:
- مواويل على دروب الغربة، مطبعة عمان، ١٩٧٣.
- الانحدار من كهف الرقيم، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ط١، ١٩٩٣.

٥٤- محمد حسين العزة: صوت الانتفاضة أرض وثورة، (د . ت)، عمان، ١٩٩١.

٥٥- محمد سلام جميعان: عصافير الرماد، دار النهضة للنشر، عمان، ط١، ١٩٩٣.

٥٦- محمد سمحان: أنت أو الموت، مطبعة الزرقاء الحديثة، الزرقاء، ط١، ١٩٨٠.

٥٧- محمد الظاهر: قمر المذبحة يمامة الوطن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٨.

٥٨- محمد العامري: معراج القلق، دار الكندي للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٩٠.

٥٩- محمد عيسى الحوراني: بيادر الرماد، دار النسر للنشر والتوزيع، إربد، ١٩٩٠.

٦٠- محمد القواسمة: عبدالله بن الزبير في بيروت، ١٩٨٦.

٦١- محمد القيسي: الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

٦٢- مصطفى الصيفي: قنابل للسفر الطويل، المطبعة الاقتصادية، عمان، ط١، ١٩٧٨.

٦٣- مصطفى وهبي التل: عشيات وادي اليابس، المؤسسة الصحفية الأردنية، عمان، ١٩٧٣.

٦٤- ديوان معروف الرصافي، المجلد الثاني، دار العودة، ١٩٨٦.

٦٥- ديوان محمود درويش، المجلد الأول، دار العودة، بيروت، ط٦، ١٩٧٩.

٦٦- محمود الروسان: دموع وأناشيد، ١٩٨٠.

٦٧- محمود الشلبي:
- منازل القمر الآس، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط١، ١٩٩١.
- ويبقى الدم ساخناً، مطابع الدستور التجارية، عمان، ١٩٨٢.
- عسقلان في الذاكرة، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ط١، ١٩٧٦.
- آفاق ليست لنا، ديوان مخطوط لدى الشاعر.

٦٨- محمود فضيل التل:
- أغنيات الصمت والاغتراب، ١٩٨٢.
- جدار الانتظار، عمان، (د .ت)،ط١، ١٩٩٣.

٦٩- نايف أبو عبيد :
-أرجوان العمر، عمان، ١٩٨٩.
- سلام عليه سلام عليها، أزمنة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٤.

٧٠- نزيه القسوس: يوميات حزيران، ط١، ١٩٧٢.

٧١- يوسف العظم:
- الفتية الأبابيل، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٨٨.
- عرائس الضياء، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٨٤.

٧٢- يوسف أبولوز:
- صباح الكاتيوشا أيها المخيم، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، ط١ ، ١٩٨٣.
- نشيد الحجر، دار المهد للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٤.

٧٣- يوسف حمدان: حواس الصمت، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٨٣.

د. الموسوعات والمعاجم

١- إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، دار الفكر، ط٢، (؟)

٢- أنور الجندي: الموسوعة الإسلامية العربية، الجزء الرابع، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٧٩،

٣- جبور عبدالنور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٩.

٤- عبدالرزاق أسود: موسوعة الحرب العراقية - الإيرانية، المجلد الأول، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٩٨٤.

٥- لطفي الخوري: معجم الأساطير، الجزء الثاني، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٩٠.

٦- محمد شفيق غربال (إشراف): الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم، مؤسسة فرانكلن للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥.

٧- ابن منظور (محمد بن مكرم): لسان العرب، دار صادر، بيروت.

٨- فؤاد مطر (إشراف): موسوعة حرب الخليج، الجزء الأول (إعداد فريق عمل من الباحثين والموثقين)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٤.

٩- الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، (ج -ش)، دمشق ط١، ١٩٨٤.

١٠- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، (الندوة العالمية للشباب الإسلامي)، الرياض، ط٢، ١٩٨٩.

هـ- الدوريات والمجلات والصحف المحلية:

- أعداد مختلفة من مجلة أفكار الأردنية ، تصدرعن وزارة الثقافة .
- أعداد مختلفة من مجلة المستقبل العربي يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- مجلة الثقافة، الجامعة الأردنية، عمان، العدد ٥، ١٩٨٤
- مجلة أدب ونقد، القاهرة ، العدد ٤٨، السنة السادسة، حزيران، ١٩٨٩.
- مجلة الأقلام، العدد السادس، السنة ١٧، حزيران، تصدرها وزارة الثقافة العراقية، دار الجاحظ، بغداد، عام ١٩٨٢.
- مجلة المعرفة، وزارة الثقافة والأرشاد القومي، دمشق، العدد، ١٣١، كانون ثاني، ١٩٧٣.
- محاضرات الموسم الثقافي الثالث، جامعة مؤتة، ١٩٨٨.
- أعداد مختلفة من صحيفة الرأي الأردنية.
- أعداد مختلفة من صحيفة الدستور الأردنية.
- أعداد مختلفة من صحيفة صوت الشعب الأردنية.
- أعداد مختلفة من صحيفة اللواء الأردنية.

Abstract

This study :"The national intrest in the contemporary Jordanian Poem" approaches the period from 1967- 1991, which is considered as one of the richest political periods of the contemprary Arab world.

It handles the different forms of strife that affected the Arab area such as; the June war in 1967, the Tashreen (nov) war in 1973, the lebanese war, the Iraqi-Iranian war, the Paestinian uprising, and the second Gulf war against Iraq in 1990. The study, therefore, focuses on the national implications of pevious events. It doesnot disscuss other elements of tradtional nationalism such as, language, religion, customs and common traditions.

The study also shows that the Jordanian Poets' nanal feeling has been deeply fixed in the Poets' conscience ever nce the beginnings of the movement of the Jordanian Poetry.

The first part is a study of the national strife and eir implications such as praising bravery, exposing the ener's savage deeds and condemning them, and critisizing rules, etc.

The second chapter is a technical study of the mst important attributes of national poetry.

The first chapter approaches style in the national poem shows that poets used easy expression. Their poems tended to direct oratorical to confirm to the spirit of the age, and stringthen ties between the populace and the poem.

The second chapter handles the poetic image. It shows th poets of the previous periods tended to use tradional imag depending on simile and metaphor prior to using the hole imag which depend on partial images. This shows the organic unity the poem.

The third chapter shows that poet employed varie traditional implications (religious, historic, and literar implications); the fact that proves that Jordanian poetry inclosel related to its tradition and to its glorious past.